

الْفَيْضُ الْكَافِي

كِتَابُ الصِّيَافِ
فِي
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ



دَارُ الْإِسْلَامِ

1. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 2. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 3. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 4. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 5. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 6. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 7. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 8. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 9. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and
 10. *Chlorophyll* *a* and *b* contents were determined by the method of Arar and

1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 26

Age Group	2003	2004	2005
18-29	~75%	~78%	~82%
30-49	~65%	~68%	~72%
50-69	~55%	~58%	~62%
70+	~45%	~48%	~52%

کتاب الصیافی

یہ

تفسیر القرآن

الجزء الثاني

تأليف

العارف الحکیم والمحدث الفقیہ

محمد بن الرضی المرفی

بالمولیٰ محسن الکاشانی (ره)

۱۰۰۷-۱۰۹۱ هـ

تحقیق

السید محسن الدینی



﴿الجزء الثاني﴾

※ هوية الكتاب:

※ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

※ المؤلف: العارف الحكيم والمحدث الفقيه محمد بن مرتضى

المدعو بـ «المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

※ تحقيق: العلامة السيد محسن الحسيني الأميني.

※ الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ ش.

※ المطبعة: مروى.

※ الكمية: ٢٠٠٠

※ الناشر: دار الكتب الإسلامية - إيران - طهران - بازار سلطاني رقم ٩٩

※ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ - ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

※ شابك الجزء الثاني: ٩٦٤ - ٤٤٠ - ٠٨١. ISBN: 964 - 440 - 081.

※ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩٦٤ - ٤٤٠ - ٠٨٧ - ٩. ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.

سورة آل عمران

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

CHICAGO, ILL.

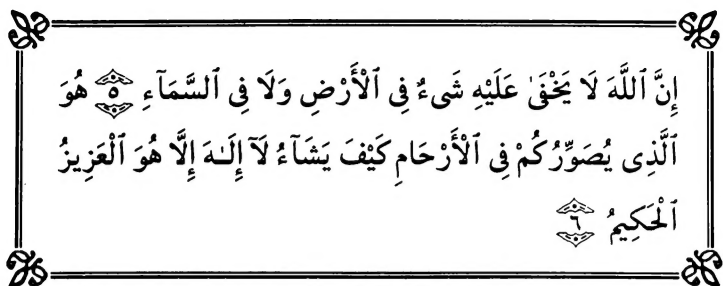
1914

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ
 بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِنْ
 قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
 لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٣﴾

سورة آل عمران: مدنية، وهي ماء تا آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ﴿الْم﴾: قد مضى الكلام في تأويله في أول سورة البقرة، وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام في حديث: وأما: ألم في آل عمران فعناه أنا الله المجيد^(١).
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ * نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ: القرآن نجومًا.
- ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والصدق، والحجج المحققة أنه من عند الله.
- ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب.
- ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: جملة على موسى وعيسى.
- ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل تنزيل القرآن.



﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: عامّة وقومها خاصّة.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾: ما يفرّق به بين الحقّ والباطل.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به ^(١).

وفي الجوامع: عنه عليه السلام: الفرقان كلّ آية محكمة في الكتاب ^(٢).

والقمي ^(٣)، والعتاشي: عنه عليه السلام: الفرقان: هو كلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن

الذي يصدّق فيه من كان قبله من الأنبياء ^(٤).

وفي العلل: عن النبي صلى الله عليه وآله: سُمّي القرآن فرقاناً لأنّه متفرّق الآيات والسور، أنزلت في

غير الألواح، وغيره من الصحف: التوراة، والإنجيل، والزبور أنزلت كلّها جملة في الألواح

والورق ^(٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: من كتبه المنزلة وغيرها.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: بسبب كفرهم.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يمنع من التعذيب.

﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾: شديد لا يقدر على مثله منتقم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: عبّر عن العالم بهما

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١١، باب النوادر. ٢- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٦. ٤- تفسير العتاشي: ج ١، ص ١٦٢، ح ١.

٥- علل الشرائع: ص ٤٧٠، ح ٣٣، باب ٢٢٢ - النوادر.

لأنَّ الحَسَّ لا يتجاوزهما.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: من الصور المختلفة من صبيح أو قبيح ذكرٍ أو أنثى فكيف يخفى عليه شيء.

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلَّ صورة بينه وبين آدم ثمَّ خلقه على صورة احداهن، فلا يقولنَّ أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي^(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي هي ممَّا أخذ عليها الميثاق من صلب آدم أو ما يبدو له فيه^(٢) ويجعلها في الرحم حرَّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتَّى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتدَّ فيه أربعين يوماً، ثمَّ تصير فيه علقة أربعين يوماً، ثمَّ تصير مضغة أربعين يوماً، ثمَّ تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة، ثمَّ يبعث الله ملكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى، ثمَّ يوحى الله إلى الملكين اكتبنا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري واشترط لي البداء فيما تكتبان فيقولان: يا ربَّ ما نكتب؟ قال: فيوحى الله عزَّ وجلَّ إليهما أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمِّه فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمِّه فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه، قال عليه السلام: فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثمَّ يختان الكتاب ويجعلانه بين عينيهِ ثمَّ يقيانه قائماً في بطن أمِّه، قال: فربَّما عتا فانقلب ولا يكون ذلك إلّا في كلِّ عات أو مارد وإذا بلغ أو ان خرج الولد

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣١٢، ح ١٥١٢ / ٢٣، باب فضل الأولاد.

٢- أي يبدو له في خلقه بأن يجعله سقطاً. منه «قدَّس سرّه».

تأماً أو غير تأم أوحى الله تعالى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه قال: فتفتح الرحم باب الولد فيبعث الله عزّ وجلّ إليه ملكاً يقال له: زاجر، فيزجره زجرة فيفرغ منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج، قال: فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفرغ منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فرعاً من الزجرة^(١).

أقول: قوله «أن يخلق النطفة» أي يخلقها بشراً تأماً، وقوله: «أو ما يبدو له فيه». أي ما يبدو له في خلقه فلا يتم خلقه بأن يجعله سقطاً.

وقوله: «حرّك الرجل» يعني بإلقاء الشهوة عليه، وإجاءه سبحانه إلى الرحم كناية عن فطرة إياها على الإطاعة طبعاً.

«فتردد»: يحذف إحدى التائين أي تتحوّل من حال إلى حال.

«يفتحان»: يدخلان بعنف.

و«الروح القديمة»: كناية عن النفس النباتيّة، وفي عطف البقاء على الحياة: دلالة على أنّ النفس الحيوانيّة مجردة عن المادة باقية في تلك النشأة، وأنّ النفس النباتيّة بمجرد ما لا تبقّى، وقد حقّقنا معنى البدء في كتابنا الموسوم بالوافي^(٢).

«وقرّع اللوح جبهة أمّه»: كأنّه كناية عن ظهور أحوال أمّه وصفاتها وأخلاقها من ناصيتها وصورتها التي خلقت عليها كأنّها جميعاً مكتوبة عليها وإنّما يستنبط الأحوال التي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناصية أمّه، ويكتب ذلك على وفق ما ثمة للمناسبة التي تكون بينه وبينها، وذلك لأنّ جوهر الروح إنّما يفيض على البدن بحسب استعدادده وقبوله إياه، واستعداد البدن تابع لأحوال نفسي الأبوين وصفاتها وأخلاقها لاسيّاً الأمّ المربيّة له على وفق ما جاء به من ظهر أبيه فناصيتها مشتملة على أحواله الأبويّة والأُمّية أعني ما يناسبها

١- الكافي: ج ٦، ص ١٣ - ١٥، ح ٤، باب بدء خلق الإنسان.

٢- الوافي: ج ١، ص ٥٠٧، باب ٥٠- البدء.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا
يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ
كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾

جميعاً بحسب مقتضى ذاته.

«وجعل الكتاب المحتوم بين عينيه» كناية عن ظهور صفاته واخلقه من ناصيته
وصورته التي خلق عليها وأنه عالم بها وقتضد بعلم بارئها بها لفنائها بعد وفناء صفاته في ربه
لعدم دخوله بعد في عالم الأسباب والصفات المستعارة والاختيار المجازي ولكنه لا يشعر
بعلمه فإن الشعور بالشيء أمر والشعور بالشعور أمر آخر.

«والعتو»: الاستكبار، ومجاوزة الحدّ ويقرب منه المروء.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله.

﴿الْعَزِيزُ﴾: في جلاله.

﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾: أحكمت عباراتها

بأن حفظت من الإجمال.

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصله يرد إليها غيرها.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾: محتملات لا يتضح مقصودها إلا بالفحص والنظر ليظهر

فيها فضل العلماء الربانيين في إستنباط معانيها وردّها إلى المحكمات، وليتوصلوا بها إلى معرفة

الله تعالى وتوحيده.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن المحكم والمتشابه، فقال: المحكم ما يعمل به، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله ^(١).

وقد سبقت أخبار أخر في تفسيرهما في المقدّمة الرابعة.

وفي الكافي ^(٢)، والعيّاشي: عنه عليه السلام في تأويله: أنّ المحكمات: أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام والمتشابهات: فلان وفلان ^(٣).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: ميل عن الحق كالمتبدعة.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾: فيتعلمون بظاهره أو بتأويل باطل.

﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة

المحكم بالمتشابه. وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: إنّ الفتنة هنا: الكفر ^(٤).

﴿وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾: وطلب أن يأولوه على ما يشتهونه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾: الذي يجب أن يحمل عليه.

﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: الذين تثبتوا وتمكّنوا فيه.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: يعني تأويل القرآن كلّ ^(٥).

وفي الكافي ^(٦)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله ^(٧).

وفي رواية: فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله عزّ وجلّ، جميع

١- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٢، ح ٣.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٥، ح ١٤، باب فيه نكت ونف من التزليل، في الولاية.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٢، ح ٢. ٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤١٠.

٥- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٤، ح ٦.

٦- الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١، باب إنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السلام.

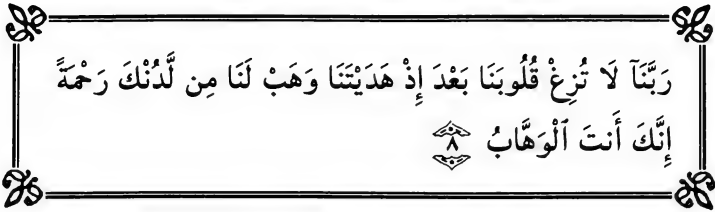
٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٤، ح ٨.

ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله^(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: إن الراسخين^(٢) في العلم: من لا يختلف في علمه^(٣). وفي الاحتجاج: عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث قال: ثم إن الله جلّ ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلفه وعلمه بما يحدثه المبطلون من تغيير كلامه قسم ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفي ذهنه ولطف حسّه وصحّ تميّزه بمنّ شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأنبياءه والراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الكتاب ما لم يجعله لهم وليقودهم الإضطرار إلى الإبتار بمنّ ولّاه أمرهم فاستكبروا عن إطاعته تعزّراً^(٤)، وافتراءً على الله عزّ وجلّ واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم، وعاند الله جلّ اسمه ورسوله صلى الله عليه وآله^(٥).

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾: هؤلاء الراسخون العالمون بالتأويل يقولون آمناً بالمتشابه.
 ﴿كُلُّ﴾: من المحكم والمتشابه.
 ﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا﴾: من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه.
 ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾: مدح للراسخين بمجودة الذهن، وحسن التدبّر، وإشارة إلى ما استعدّوا به للإهتداء إلى تأويله وهو تجرّد العقل عن غواشي الحسّ.

-
- ١- الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ٢، باب إن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام، وقريب منه ما أخرجه العياشي في تفسيره: ج ١، ص ١٦٤، ح ٦.
 - ٢- وفي نسخة: [والراسخون].
 - ٣- الكافي: ج ١، ص ٢٤٥، قطعة من ح ١، باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها.
 - ٤- العزّة: المغالبة والممانعة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٦، مادة «عزّز».
 - ٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦، احتجاجه عليه السلام، على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهه التي تحتاج إلى التأويل. وفيه: «فاستكبروا عن طاعته تعزّراً» وعزّرت: منعت كما ذكره الطريحي في مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠١، مادة «عزّز».



في التوحيد^(١)، والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الإقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا: «آمنّا به كلّ من عند ربّنا» فمدح الله عزّ وجلّ اعترافهم بالعجز عن تناول مالم يحيطوا به علماً، وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخاً فاقتصر على ذلك ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين^(٢).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام قال: من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم، ثمّ قال عليه السلام: إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكم كمحكم القرآن فردّوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبّعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا^(٣).

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: عن نهج الحقّ إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه، وإنّا أضيف الزيف إلى الله لأنّه مسبب عن امتحانه وخذلانه.

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: إلى الحقّ.

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾: بالتوفيق والمعونة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾: لكلّ سؤال، في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في حديث هشام: يا هشام إن الله قد حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: «ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنّك أنت الوهّاب» حين علموا أنّ القلوب تزيع وتعود إلى عباها ورداها أنّه لم

١- التوحيد: ص ٥٥، ح ١٣، والحديث طويل، باب ٢- التوحيد ونفي التشبيه.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٣، ح ٥.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٩.

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ
النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابِ ۖ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويحد
حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً، وسره لعلانيته موافقاً
لأن الله تعالى لم يدل على الباطل الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه (١).
والعباشي: عن الصادق عليه السلام: أكرهوا من أن تقولوا «رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا»
ولا تأمنوا الزيف (٢).

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: لحساب يوم وجزائه.
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في وقوعه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: الموعد، لأن الإلهية تنافيه.
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ * كَذَّابِ ۖ آلِ فِرْعَوْنَ: كشأنهم، وأصل الدأب: الكدح (٣).
﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ

١- الكافي: ج ١، ص ١٨، ذيل حديث طويل ١٢، باب العقل والجهل.

٢- العبّاشي: ج ١، ص ١٦٤، ح ٩.

٣- كدح في العمل، كمنع: سعى لنفسه خيراً أو شراً، والكدح بفتح الكاف وسكون الدال المهملة: العمل
والسعي والكسب لآخرته ودنياه، مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٠٦.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ
 الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا تَبَتُّوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ
 وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي
 الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾

الْعِقَابِ: تهويل للمواخذه وزيادة تخويف للكفرة.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: وقرئ
 بالياء فيهما. في الجمع: نسب إلى رواية أصحابنا أنه لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً ببدر
 وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قَيْنُقَاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل
 بقريش يوم بدر، وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك
 في كتابكم، فقالوا: يا محمد لا يغرنك إنك لقيت قوماً أغماراً^(١) لا علم لهم بالحرب فأصبحت
 منهم فرصة، أما والله لو قاتلتنا لعرفت إننا نحن الناس فأنزل الله هذه الآية، وقد فعل الله ذلك
 وصدق وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير، وفتح خيبر، ووضع الجزية على من بقي
 منهم، وغلب المشركون وهو من دلائل النبوة^(٢).

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: دلالة معجزة على صدق محمد ﷺ.

﴿فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا﴾: يوم بدر.

﴿فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في دينه وطاعته وهم الرسول وأصحابه.

١- رجل غُفِرَ: لم يجرب الأمور. الصحاح: ج ٢، ص ٧٧٢.

٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤١٣.

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ
وَالْحَزْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
الْأَكْبَابِ ﴿١٤﴾

﴿و﴾: وفرقة.

﴿أُخْرَى كَافِرَةٌ﴾: وهم مشركوا مكة.

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ﴾: يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين، وكانوا قريب ألف أو مثلي عدد المسلمين، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان ذلك بعد ما قللهم في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا إليهم فلما لا قوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مدداً من الله للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله: «فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ»^(١) ويؤيده قراءة التاء كذا قيل^(٢).

وإنما يصح التأييد إذا كان الخطاب للمؤمنين دون المشركين.

﴿رَأَى الْغَيْنَ﴾: رؤية ظاهرة معاينة.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: كما أيد أهل بدر.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾: في التقليل والتكثير^(٣).

﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: لعظة لذوي البصائر.

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: أي المشتبهات سماها شهوات مبالغة وإيماء إلى

قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

أَتَمَّ انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى حكاية من سليمان: «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ»^(١).

﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطَرِ الْمَقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾: القنطار ملى مسك ثور ذهباً كذا في الجمع عنها عليه السلام^(٢).

والمقنطرة: مأخوذة منه للتأكيد، كقولهم ألف مؤلف.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلّمة أو المرعية.

﴿وَالْأَنْعَمِ﴾: الإبل والبقر والغنم.

﴿وَالْأَحْزَرِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾: المرجع

وهو تحريص على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة^(٣) الفانية.

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ﴾: يريد به تقرير أن ثواب الله خير من مستلذات

الدنيا.

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: مما يستقدر من النساء.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤١٧.

١- ص: ٣٢.

٣- أخذت الناقه، إذا جاءت بولدها ناقص الخلق. الصحاح: ج ١، ص ٣٠٩. وفي مجمع البحرين: ج ٢، ص

٢٩٠ في الخبر «كل صلاة لا يقرأ فيها بفتحها الكتاب فهي خداج» أي نقصان وصفت بالمصدر للمبالغة.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَسِيطِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾

المسيء على قدر استحقاقها.

في الكافي^(١) والعياشي: عن الصادق عليه السلام: ما تلذذ الناس في الدنيا والآخرة بلذة أكبر لهم من لذة النساء وهو قول الله تعالى: «رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ»^(٢) إلى آخر الآية. ثم قال: وإن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام ولا شراب^(٣).

قيل: قد نبه بهذه الآية على مراتب نعمه، فأدناها: متاع الدنيا، وأعلاها: رضوان الله لقوله: «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ»^(٤) وأوسطها الجنة ونعيمها^(٥).

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَسِيطِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾: المصلين وقت السحر.

كذا في المجمع: عن الصادق عليه السلام^(٦).

وقال: من استغفر سبعين مرة في وقت السحر فهو من أهل هذه الآية^(٧).

١- الكافي: ج ٥، ص ٣٢١، ح ١٠، باب حب النساء.

٢- آل عمران: ١٤. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٤، ح ١٠.

٤- التوبة: ٧٢.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٣، س ٥.

٦- مجمع البيان: ج ١، ص ٤١٩. ٧- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ص ٤١٩.

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

وفي الفقيه^(١)، والخصال: عنه عليه السلام: من قال في وتره إذا أوتر: أستغفر الله وأتوب إليه سبعين مرة وهو قائم فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة كتبه الله عنده من المستغفرين بالأسحار، ووجبت له المغفرة من الله تعالى^(٢).

قيل: تخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادَةَ حينئذ أشقّ والنفس أصنى والروع أجمع سبباً للمتجهدين^(٣).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: بين وحدانيته لقوم بظهوره في كل شيء وتعرفه ذاته في كل نور وفي، ولقوم بنصب الدلائل الدالة عليها، ولقوم بإنزال الآيات الناطقة بها. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: بالإقرار ذاتاً لقوم، وفعلاً لقوم، وقولاً لقوم.

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾: بالإيمان والعيان والبيان، شبه الظهور والإظهار في الإنكشاف والكشف بشهادة الشاهد.

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: إن أولى العلم: الأنبياء والأوصياء، وهم قيام بالقسط، والقسط: هو العدل^(٤).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد وتمهيد لقوله.

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٠٩، ح ٤ / ١٤٠٨، باب ٧٢- دعاء قنوت الوتر.

٢- الخصال: ج ٢، ص ٥٨١، ح ٣.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٢، س ١٣.

٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٦، ح ١٨.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ: لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إِنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، وعليه يتوارثون ويتناكحون، والإيمان عليه يثابون^(١).

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: في الإسلام.
﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: حسداً وطلباً للرئاسة لا لشبهة فيه.
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: وعيد لمن كفر منهم.
﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: في الدين وجادلوك فيه بعدما أقمت لهم الحجج.
﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أخلصت نفسي وجملي له لا أشرك فيها غيره.
قيل: عبر عن النفس بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس^(٢).
﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾: واسلم من اتبعني.

١ - الكافي: ج ١، ص ١٧٣، في ضمن حديث طويل ٣ باب الاضطرار إلى الحجة.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٣، س ١٢.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾: الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب.
﴿ءَاسَلَّمْتُمْ﴾: كما أسلمت لما أوضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره
قوله: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»^(١).

﴿فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾: فقد نفخوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال.
﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾: فلم يضروك إذا ما عليك إلا أن تبلغ وقد بلغت.
﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: وعد ووعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: قيل: هم أهل الكتاب
الذين في عصره ﷺ قتل أوائلهم الأنبياء ومتابعيهم من عبّاد بني إسرائيل، وهم رضوابه
وقصدوا قتل النبي ﷺ والمؤمنين، ولكن الله عصمهم^(٢).

وقد سبق مثله في سورة البقرة^(٣)، وقرىء يقاتلون الذين.

في المجمع: عن النبي ﷺ: أنه سئل أي الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل
نبيّاً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ ﷻ: «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ».

١- المائدة: ٩١.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٣، س ١٧. وراجع تفسير أبي السعود، ج ٢،
ص ١٩. والكشاف: ج ١، ص ٣٤٧. ٣- البقرة: ٦١.

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

ثم قال ﷺ: قتل بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام
مائة رجل واثنان عشر رجلاً من عبّاد بني اسرائيل فأمرُوا من قتلهم بالمعروف ونهوا عن
المنكر، فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، وهو الذي ذكره الله تعالى (١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: إذ لم ينالوا بها المدح
والثناء، ولم تحقن دماؤهم وأموالهم، ولم يستحقوا بها الأجر والثواب.

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾: يدفعون عنهم العذاب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ قيل: يريد به أحبار اليهود،
أعطوا حظاً وافراً من التوراة أو من جنس الكتب المنزلة (٢).

﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: وهو التوراة.

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: يعني في نبوة نبيّنا ﷺ (٣)، وقيل: إن رسول الله ﷺ دخل

مدارسهم فدعاهم فقال له بعضهم: على أي دين أنت؟ قال: على ملّة إبراهيم عليه السلام، فقالوا: إن
إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، فقال: إن بيننا وبينكم التوراة فأبوا (٤).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٢٣.

٢- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٣٤٨.

٣- القائل هو أبو مسلم وجماعة كما في مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٢٤، س ٣٠.

٤- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٣٤٨. وهكذا انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٤.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
 فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا
 رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

وقيل: نزلت في الرجم^(١) وقد اختلفوا فيه، وله قصة يأتي ذكرها عند تفسير قوله سبحانه «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ» من سورة المائدة^(٢).

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب. وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: عن اتباع الحق.

﴿ذَلِكَ﴾: التولي والإعراض.

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾: بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم.

﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من أن النار لن تمسهم إلا أياماً قلائل أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، أو أنه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة للقسم يعني قوله عز وجل: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣) وما أشير إليه بقوله سبحانه: «وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا»^(٤).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: استعظام لما يحيق بهم في الآخرة

١- انظر مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٢٤، س ٣٢.

٢- السجدة: ١٣.

٣- المائدة: ١٥.

٤- مريم: ٧١.

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
 الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِسِيدِكَ
 الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
 وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ
 مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

وتكذيب لقولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا».

روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمرهم إلى النار^(١).

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: جزاء ما كسبت.

﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ * قُلِ اللَّهُمَّ: الميم فيه عوض من ياء ولذلك لا يجتمعان.

﴿مَلِكُ الْمُلْكِ﴾: أي يملك جنس الملك، يتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكونه.

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾: تعطي ما تشاء من الملك.

﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ﴾: تسترد ما تشاء منه.

﴿مِمَّنْ تَشَاءُ﴾: فالملك الأول عام، والآخران خاصان بعضان من الكل.

﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾: في الدنيا والدين.

﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِسِيدِكَ الْخَيْرِ﴾: تؤتيه أوليائك على رغم من أعدائك.

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ:

أي تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادة في النهار، وتنقص من النهار وتجعل ذلك

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَهُ
وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

النقصان زيادة في الليل.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: المؤمن من الكافر.

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: والكافر من المؤمن كذا في المجمع: عن الباقر،

والصادق عليه السلام (١).

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام: إن المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً وإن الميِّت هو الكافر (٢) ثم

فسر الآية بما ذكر.

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بلا تقتير ولا مخافة نقصان.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: نهوا عن موالاتهم لقرباة أو صداقة

جاهليّة أو نحوها حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلّا في الله، وقد كرّر ذلك في القرآن: «لَا

تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ» (٣) «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» الآية (٤).

والحب في الله، والبغض في الله أصل كبير من أصول الإيمان.

﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: المعنى إن لهم في موالات المؤمنين مندوحة (٥) عن موالاته

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٢٨.

٢- معاني الأخبار: ص ٢٩٠، ح ١٠، باب معنى الموت.

٣- المائدة: ٥١. ٤- المجادلة: ٢٢.

٥- المندوحة أي فسحة وسعة أخذاً من ندحته إذا وسعته، أو من الندح وهو الموضع المتسع من الأرض مجمع

البحرين: ج ٢، ص ٤١٧ مادة «ندح».

الكافرين فلا تؤثرهم عليهم.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: أي ليس من ولاية الله في شيء يعني إنه منسلخ عن ولاية الله رأساً وهذا أمر معقول لأن مصادقة الصديق، ومصادقة عدوه متنافيتان كما قيل:

تودّ عدوّي وتزعم أنني صديقك إن الرأي منك لعازب^(١).
 ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَةً﴾: ألا أن تخافوا من جهتهم خوفاً، أو أمراً يجب أن يخاف منه، وقرئ تقية منع من موالاتهم ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالة حينئذ جائز بالمخالفة.
 كما قيل: كن وسطاً وامش جانباً^(٢).

في الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: وأمر أن تستعمل التقية في دينك فإن الله يقول: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ» الآية، قال: وإياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك، وأن تترك التقية التي أمرت بها فإنك شائط^(٣) بدمك ودماء إخوانك، معرض لنعمك ولنعمهم للزوال^(٤). مذلهم في أيدي أعداء دين الله وقد أمرك الله تعالى باعزازهم^(٥).

١- لم نعثر عليه، بل ما في الكشف: ج ١، ص ٣٥١، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٢٣، وتفسير البيضاوي: ج ١، ص ١٥٥، الشعر هكذا:

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب

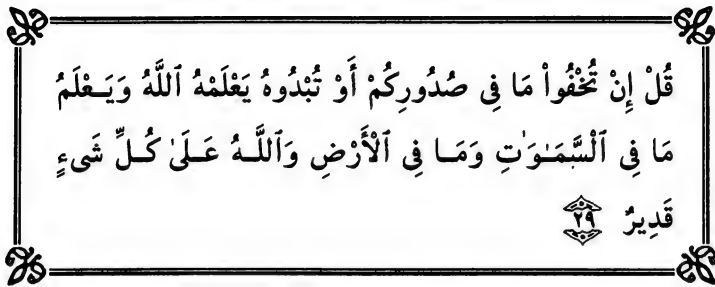
النوك: الحق. والعازب: البعيد. أي لا ينبغي لصديق الإنسان أن يصادق عدوه، فإن فعل الفالحق عنه ليس ببعيد.

٢- القائل هو عيسى بن مريم عليه السلام، كما نسب إليه في أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٥.

٣- الشائط من الشوط، وهو المجري إلى الغاية مرة واحدة، ومنه «طاف صلى الله عليه وآله بالبيت سبعة أشواط» نقلاً عن هامش المخطوط منه. تَبَيَّنَ.

٤- وفي نسخة أخرى [معرض لزوال نعمك ونعمهم].

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٥٤ - ٣٥٥، في حديث طويل عند احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الطبيب اليوناني وفيه: «معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال».



والعياشي: عن الصادق عليه السلام: قال: كان رسول الله ﷺ يقول: لا إيمان لمن لا تقية له، ويقول: قال الله: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» (١).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: التقية ترس الله بينه وبين خلقه (٢).

وفيه: عن الباقر عليه السلام: قال: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم، وقد أحل الله له (٣).

والأخبار في ذلك مما لا يحصى.

﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة

أحكامه وموالاة أعدائه، وهذا تهديد عظيم، ووعيد شديد.

﴿قُلْ إِنْ تُخْشَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: من ولاية الكفار وغيرها.

﴿أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾: لم يخف عليه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: فيعلم سرركم وعلنكم.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه.

قيل: الآية بيان لقوله تعالى: «﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾» فكانه قال: ويحذركم نفسه لأنها

متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها، وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا

على عصيانه، إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (٤).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٦-١٦٧، ح ٢٤.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ١٩، باب التقية. ٣- الكافي: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ١٨، باب التقية.

٤- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٦.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾: «يوم» ظرف لتودّ، أي تتمنى كلّ نفس يوم تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها من الخير والشرّ حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدًا بعيدًا أو لمضمر نحو أذكر، وتودّ حال من الضمير في عملت من سوء، أو خبر لما عملت من سوء، وتجد مقصور على ما عملت من خير.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: كرّر للتأكيد والتذكير.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: إشارة إلى أنّه تعالى إنّما نهاهم وحذّره رأفة بهم، ومراعاةً لصلاحهم، وإنّه ل ذو مغفرة وذو عقاب يرجى رحمته ويخشى عذابه.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾: في الكافي^(١)، والعياشي، عن الصادق عليه السلام: هل الدين إلّا الحبّ، ثم تلا هذه الآية^(٢).

أقول: المحبة من العبد: ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقرّبها إليه، ومن الله رضاه عن العبد وكشف الحجاب عن قلبه، والعبد إذا علم أنّ الكمال الحقيقي ليس إلّا لله وأن كلّ ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلّا لله وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرّب به إليه، فعلامة المحبة إرادة

١- الكافي: ج ٨، ص ٧٩-٨٠، ح ٣٥، باب وصيّة النبي ﷺ لأُمير المؤمنين عليه السلام.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٧-١٦٨، ح ٢٨.

الطاعة والعبادة والإجتهاد البليغ في اتباع من كان وسيلة له إلى معرفة الله تعالى ومحبة ممن كان عارفاً بالله محباً إياه محبوباً له، فإن من هذه صفاته إنما نال هذه الصفات بالطاعة على الوجه المخصوص. وهو رسول الله ﷺ ومن يحذو حذوه، فمن أحب الله لا بد له من اتباع الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتى يحبه الله، فإن بذلك يحصل التقرب إلى الله وبالتقرب يحصل محبة الله تعالى إياه كما قال سبحانه: «وإن العبد ليتقرب إلى بالأنواف حتى أحبه»^(١).

وأيضاً لما كان الرسول حبيب الله فكل من يدعي محبة الله لزمه محبة الرسول، لأن محبوب المحبوب محبوب، ومحبة الرسول إنما تكون بمتابعته وسلوك سبيله قولاً، وفعلًا، وعملاً، وخلقاً، وحالاً، وسيرةً، وعقيدةً، ولا يتمشى دعوى محبة الله إلا بهذا فإنه قطب المحبة ومظهرها، فمن لم يكن له من متابعته نصيب، لم يكن له من المحبة نصيب، ومن تابعه حق المتابعة ناسب باطنه وسره وقلبه ونفسه باطن الرسول وسره وقلبه ونفسه، وهو مظهر محبة الله فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبة الله بقدر نصيبه من المتابعة فيلقى الله محبته عليه، ويسري من باطن روح الرسول نور تلك المحبة إليه فيكون محبوباً لله محباً له، ومن لم يتابعه يخالف باطنه باطن الرسول فبعد عن وصف المحبوبة، وزوال المحبة عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبه الله لم يكن محباً له، وفي حكم الرسول من أمر الله والرسول بحبه واتباعه وهم الأئمة والأوصياء.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث: من سره أن يعلم أن الله يحبه فليعمل بطاعته^(٢) وليتبعنا، ألم تسمع قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» والله لا يطيع الله عبد أبداً إلا أدخل الله عليه في طاعته إتباعنا، ولا والله يتبعنا عبد أبداً إلا أحبه الله، ولا والله لا يدع أحد أتباعنا أبداً إلا أبغضناه.

١ - الكافي: ج ٢، ص ٣٥٢، ح ٨، باب من أذى المسلمين واحتقرهم.

٢ - وفي نسخة [بطاعة الله] كما في المصدر.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

ولا والله لا يبغيضنا أحد أبداً إلا عصى الله، ومن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكتبه على وجهه في النار^(١).

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: بالتجاوز عما فرط منكم.
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لمن تحبب إليه بطاعته واتباع نبيه، واتباع من أمر الله ونبيه باتباعه.

روي إنها نزلت لما قالت اليهود: «نحن أبناء الله وأحباؤه»^(٢).
وقيل: نزلت في وفد نجران لما قالوا: «أئما نعبد المسيح حباً لله»^(٣).
وقيل: في أقوام زعموا على عهد ﷺ أنهم يحبون الله فامروا أن يجعلوا قولهم تصديقاً من العمل^(٤).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: يحتمل الماضي والمضاربة بمعنى فإن تتولوا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾: لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم.
قيل: أئما لم يقل ولا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر، وأنه بهذه الحيثية يبنى محبة الله تعالى، وإن محبته مخصوصة بالمؤمنين^(٥).

١- الكافي: ج ٨، ص ١٤. ذيل ح ١، باب رسالة أبي عبد الله إلى جماعة الشيعة.

٢- تفسير البغوي: ج ١، ص ٢٩٣، وتفسير روح المعاني: ج ٣، ص ١٣٠. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٦.

٣- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٣٢ في شأن النزول. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٦.

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٦٩، والكشاف: ج ١، ص ٣٥٣، وتفسير روح المعاني: ج ٣، ص ١٣٠.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٦.

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾:

الرسالة، والخصائص الروحانية، والفضائل الجسمانية، ولذلك قوّوا على ما لم يقوّ عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل، وبين أنها الجالية لمحبة الله تعالى، عقّب ذلك ببيان مناقبهم، تحريصاً عليها، وبه استدللّ على فضلهم على الملائكة، وآل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق وأولادهما، وآل عمران: موسى وهارون ابنا عمران بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، أو عيسى وأمه مريم: بنت عمران بن ماثان، وماثان ينتهي بسبعة وعشرين أباً إلى يهودا بن يعقوب وبين العمرانيين ألف وثمانمائة سنة كذا قيل^(١).

أقول: وقد دخل في آل إبراهيم نبيّنا وأهل بيته (صلوات الله عليهم).

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: أنه تلا هذه الآية فقال: نحن منهم، ونحن بقيّة تلك العترة^(٢). وفي المجالس: عن الصادق عليه السلام قال: قال محمد بن أشعث بن قيس الكندي لعنة الله عليه للحسين عليه السلام: يا حسين بن فاطمة (صلوات الله عليها) أيّة حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك؟ فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذَرْيَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» الآية. ثم قال: والله إن محمداً صلى الله عليه وآله لمن آل إبراهيم، وإن العترة الهادية لمن آل محمد صلوات الله عليهم^(٣).

وفي العيون: في حديث الفرق بين العترة والأئمة فقال المأمون: هل فضل الله العترة على

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧.

٢ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٨، ح ٢٩.

٣ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٣٤، المجلس الثلاثون.

سائر الناس ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبَانُ فَضْلُ الْعَتَرَةِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ لَهُ الْمُآمُونُ: أَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ الرِّضَا عليه السلام: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(١).

والقَمِّي: قَالَ الْعَالَمُ عليه السلام^(٢): نَزَلَ وَآلُ إِبْرَاهِيمَ وَآلُ عِمْرَانَ، وَآلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فَاسْقَطُوا آلَ مُحَمَّدٍ: مِنَ الْكِتَابِ^(٣).

والعِيَّاشِي: عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: وَآلُ مُحَمَّدٍ كَانَتْ فَمَحُوهَا^(٤).

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: قَالَ: هُوَ وَآلُ إِبْرَاهِيمَ، وَآلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فَوَضَعُوا اسْمًا مَكَانَ اسْمِ^(٥).

وَفِي الْمَجْمَعِ: وَفِي قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ: وَآلُ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَقَالُوا أَيْضًا: إِنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام هُمُ آلُ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُهُ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مُطَهَّرِينَ مَعْصُومِينَ مُزَكَّاهِينَ عَنِ الْقَبَائِحِ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَخْتَارُ وَلَا يَصْطَفِي إِلَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ^(٦). انْتَهَى كَلَامُهُ.

أَقُولُ: وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَكُونُ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ كَعَطْفِ آلِ عِمْرَانَ بِكُلِّ مَعْنِيَةٍ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ:.

وَفِي الْمَعَانِي: عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقَالَ: آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ نِكَاحَهُ^(٧).

وَعَنْهُ عليه السلام: إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: ذُرِّيَّتُهُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ: الْأُئِمَّةُ الْأَوْصِيَاءُ،

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٣٠، ح ١، باب ٢٢، في الفرق بين العترة والأئمة.

٢ - العالم: لقب لمحمد النبي عليه السلام. كذا في هامش المخطوط منه.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٠. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٩، ح ٣٤.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٨، ح ٣٠. ٦ - مجمع البيان: ج ١، ص ٤٣٣.

٧ - معاني الأخبار: ص ٩٣ - ٩٤، ح ١، باب معنى الآل والأهل والعترة والأئمة.

ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ
 أَمْرَأْتُ عِمْرَانُ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ
 مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾

وعترته: أصحاب العباء، وأمته: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله المتمسكون،
 بالنقلين: الذين أمروا بالتمسك بهما: كتاب الله، وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم
 الرجس وطهرهم تطهيراً، وهما الخليفتان على الأمة بعده (١).

﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ الذرّية: يقع على الواحد والجمع، يعني إنهم ذرّية
 واحدة متسلسلة بعضها متشعبة من بعض.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام في بيانه: إنّ الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل
 بعض (٢).

والعياشي: عنه عليه السلام: إنّ قيل له: ما الحجّة في كتاب الله إنّ آل محمد هم أهل بيته
 صلوات الله عليهم؟ قال: قول الله عزّ وجلّ: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ
 عِمْرَانَ وَآلَ مُحَمَّدٍ» هكذا نزلت «عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قال: لا
 يكون الذرّية من القوم إلّا نسلهم من أصلابهم (٣).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بأقوال الناس.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾: واذكر إذ قالت، أو سمع بقول امرأة عمران عليّ بنيتها إذ قالت:

١- معاني الأخبار: ص ٩٤، ح ٣، باب معنى الآل والأهل والعرة والأمة.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦٩ - ١٧٠، ح ٣٥.

٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٣٣.

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
 وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا
 بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣١﴾

﴿أَمْرَاتُ عِمْرَانَ﴾: هي امرأة عمران بن ماثان، أمّ مريم البتول، جدّة عيسى، بنت
 حاقوذ^(١).

والمشهور: إنّ اسمها حنّة كما يأتي عن الصادق عليه السلام^(٢).
 وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام: أنّه قال لنصراني: أمّا أمّ مريم فاسمها مرثان وهي وهّيبّة
 بالعربيّة^(٣).

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا أشغله
 بشيء..

﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي﴾: ما نذرته.
 ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لقولي.
 ﴿الْعَلِيمُ﴾: بنبّتي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾:
 اعتراض وهو قول الله.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾: من تتمّة كلام امرأة عمران، وقرئ بمّا وَضَعْتَ
 على أنّه من كلامها تسليّة لنفسها، أي ولعلّ لله فيه سرّاً أو الأنثى كان خيراً، ورواها في

١- وفي الكشف: ج ١، ص ٣٥٥ [فاقوذ]. وفي تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٢٧ [فاقوذ] وهكذا في تفسير

أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٧ [فاقوذ]. ٢- راجع الكافي: ج ١، ص ٥٣٥، ح ١.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤٧٩، ح ٤. وفيه [مرثا].

المجمع: عن عليّ عليه السلام ^(١).

في الكافي ^(٢)، والقمي: عن الصادق عليه السلام: قال: إنَّ الله أوحى إلى عمران إنِّي واهب لك ذكراً سوياً مباركاً يرى الأكمه والأبرص، ويحيي الموق بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدث عمران امرأته حنة بذلك، وهي أمُّ مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً، «فلما وضعتها قالت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ» لا تكون البنت رسولا، يقول الله تعالى: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» فلما وهب الله لمريم عيسى عليها السلام كان هو الذي بشر به عمران، ووعدته إياه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك ^(٣).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه ^(٤).

وعن الصادق صلوات الله عليه: أنَّ المحرَّر يكون في الكنيسة لا يخرج منها، فلما وضعتها، قالت: «رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ.... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ» إنَّ الأُنْثَى تحيض فتخرج من المسجد، والمحرَّر لا يخرج من المسجد ^(٥).

وعن أحدهما عليه السلام: نذرت ما في بطنها للكنيسة أن يخدم العباد، وليس الذكر كالأنثى في الخدمة قال: فشَبَّتْ ^(٦) وكانت تخدمهم وتناولهم حتَّى بلغت، فأمر زكريّا أن يتخذ لها حجاباً دون العباد ^(٧).

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: إمّا قالت ذلك تقريباً إلى الله، وطلباً لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لإسمها، فإنَّ مريم في لغتهم بمعنى العابدة.

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٣٤- ٤٣٥.

٢- الكافي: ج ١، ص ٥٣٥، ح ١، باب في انه إذا قيل في الرجل شيء.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٠- ١٠١. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧١، ح ٣٩.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٠، ح ٣٧.

٦- شب الصبي - من باب ضرب - شباباً وشبيبة: فهو شاب. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٨٥.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٠، ح ٣٨.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ
يَسْمُرِيْمُ أَأَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: اجبرها بحفظك.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: المطرود، وأصل الرجم: الرمي بالحجارة.

في الجمع: عن النبي ﷺ: ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستلّه صارخاً من مسّه إلا مريم وابنها^(١).

قيل: معناه أنّ الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإنّ الله عصمها ببركة هذه الاستعاذة^(٢).

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: فرضي بها في النذر مكان الذكر.

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذّكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسّدانة^(٣).

روي إنّ حنّة لما ولدتها لفتها في خرقه وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار، وقالت: دونكم هذه المندورة فتنافسوا فيها لأنّها كانت بنت إمامهم، وصاحب قربانهم، فإنّ بني مائنان كانت رؤوساء بني إسرائيل، وملوكهم، فقال زكريّا: أنا أحقّ بها، عندي خالتها،

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٣٥.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٧ - ١٥٨.

٣- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٨، وفيه: «مقام الذّكر أو تسلمها».

فأبوا إلا القرعة، وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفأ قلم زكريّا ورسبت أقلامهم فتكفلها^(١).

أقول: وفي رواية أصحابنا إنّ زوجة زكريّا كانت اختها لا خالتها رواه القسّمي^(٢)، والعيّاشي عن الباقر^(٣)، ويأتي من تفسير الإمام^(٤) أيضاً ما يدلّ عليه^(٥).

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها.

﴿وَكَفَّلَهَا﴾: وقرئ بالتشديد، أي الله.

﴿زَكَرِيَّا﴾: وقرئ بالقصر حيث وقع.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾: أي الغرفة التي بنيت لها أو المسجد أو أشرف

مواضعه ومقدمها، سمي به لآنه محلّ محاربة الشيطان كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس.

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾: جواب كلّما، روي أنّه كان لا يدخل عليها غيره، وإذا خرج

أغلق عليها سبعة أبواب، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس^(٥).

أقول: ويأتي مثله في رواية أصحابنا^(٦).

﴿قَالَ يَسْمُرُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾: من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أوانه والأبواب

مغلّقة عليك؟.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: فلا تستبعد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: العيّاشي: عن الباقر^(٧) قال: إنّ

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٣٦، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٨، والكشاف: ج ١، ص ٣٥٧. وفيه: «هذه

النذيرة... وكانت بنو ماثان رؤوس». ٢- تفسير القسّمي: ج ٢ ص ٤٨.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٧٠، ح ٣٦. ٤- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٦١.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٨.

٦- راجع مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٣٦، س ٢٧، وتفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٧٠، ح ٣٦.

فاطمة ضمنت لعلِّي عليه السلام عمل البيت والعجن والخبز، وقم البيت^(١)، وضمن لها عليّ (عليه الصلاة والسلام) ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: لا والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نريك به، قال: أفلا أخبرني؟ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لا تسألني ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفو^(٢)، وآلا فلا تسأليه، قال: فخرج عليّ عليه السلام فلقي رجلاً فاستقرض منه ديناراً ثم أقبل به وقد أمسى فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين، قال: فهو أخرجني، وقد استقرضت ديناراً وسأوترك به، فدفعه إليه فأقبل فوجد رسول الله جالساً وفاطمة تصلّي وبينهما شيء مغطّى فلما فرغت اختبرت ذلك فإذا جفنة^(٣) من خبز ولحم، قال: يا فاطمة «أنتي لك هذا؟» قالت: «هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى، قال: مثل زكريّا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقاً قال: «يا مريم أنتي لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب» فأكلوا منها شهراً، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم صلوات الله عليه وهي عندنا^(٤).

وفي الكافي: أورد هذا الخبر بنحو آخر^(٥)، ومن طريق العامة بنحو ثالث أوردتها الزمخشري^(٦) والبيضاوي^(٧)، وغيرهما في تفاسيرهم^(٨).

١- وقمت البيت: كنسته. الصحاح: ج ٥، ص ٢٠١٥. مادة «قم».

٢- عَفُو المال: ما يفضل عن النفقة. يقال: أعطيته عَفْوَ المال: يعني بغير مسألة. الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٣٢. مادة عَفَا.

٣- الجفان - بالكسر - قصاع كبار واحداها جفنة ككلاب وكلبة مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٢٥ مادة «جفن».

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧١، ح ٤١.

٥- الكافي: ج ١، ص ٤٦٠، ح ٧، باب مولد الزهراء فاطمة عليها السلام.

٦- الكشف: ج ١، ص ٣٥٨. ٧- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٨.

٨- راجع تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٣٠، وتفسير ابن كثير: ج ١، ص ٣١٠-٣١١.

هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

﴿هَٰذَاكَ﴾: في ذلك المكان أو الوقت.

﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾: لما رأى كرامة مريم، ومنزلتها من الله.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: إنها كانت أجمل النساء، وكانت تصلي فيضياء المحراب
لنورها فدخل عليها زكريا فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء،
فقال: «أَنْتِ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» هنالك دعا زكريا ربّه (١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة: إن زكريا عليه السلام قال في نفسه: إن الذي يقدر أن
يأتي مريم بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء لقادر أن يهب لي ولداً وإن كنت
شيخاً وكانت امرأتى عاقراً، فهنالك دعا زكريا ربّه (٢).

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولداً مباركاً وهبتها لحنّة.

قيل: كانت عنده ايشاع بنت عمران بن ماثان أخت حنّة فرغب أن يكون له ولد منها
مثل ولد أختها حنّة في الكرامة على الله (٣).

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾: مجيبه.

﴿فَنَادَتْهُ﴾: وقرئ فناده بالتذكير.

﴿الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ﴾: وقرئ بكسر الهمزة.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٠، ح ٣٦. ٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٦٠.

٣- تفسير الكشاف: ج ١، ص ٣٥٩.

﴿يُبَشِّرُكَ﴾: وقرئ بفتح الياء وضمّ الشين، وكذا فيما يأتي.

﴿يَبْخِيْ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: يعني بعيسى كما يأتي عن قريب.

﴿وَسَيِّدًا﴾: يسود قومهم ويفوقهم، وكان فائقاً للناس كلّهم في أنّه ما همّ بمعصية، وفي

تفسير الإمام عليه السلام يعني رئيساً في طاعة الله على أهل طاعته ^(١).

﴿وَحَصُورًا﴾: مبالغاً في حصر النفس عن الشهوات والملاهي، روي أنّه مرّ في صباه

بصبيان فدعوه إلى اللّعب، فقال: ما للّعب خلقت ^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: هو الذي لا يأتي النساء ^(٣).

ويأتي ذكر الروايتين في سورة مريم إن شاء الله.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾: كائناً من عدادهم أو ناشئاً منهم.

في تفسير الإمام عليه السلام عند قوله: «وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رَّجَالِكُمُ» ما ألحق الله

صبياً بأرجال كاملي العقل ^(٤) إلّا هؤلاء الأربعة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريّا، والحسن،

والحسين عليهم الصلاة والسلام، ثم ذكر قصّتهم ^(٥).

ثمّ قال: وكان أوّل تصديق يحيى بعيسى إنّ زكريّا كان لا يصعد إلى مريم في تلك

الصومعة غيره يصعد إليها بسلّم فإذا نزل أقفل عليها ثم فتح لها من فوق الباب كوة صغيرة

يدخل عليها منها الريح، فلمّا وجد مريم وقد حبّلت ساء ذلك، وقال في نفسه: ما كان يصعد إلى

هذه أحد غيري وقد حبّلت، والآن أفتضح في بني اسرائيل لا يشكّون إنّني أحبّلتها فجاء إلى

إمرأته وقال لها: ذلك، فقالت: يا زكريّا لا تحف فإنّ الله لن يصنع بك إلّا خيراً فأتني بريم أنظر

إليها وأسألها عن حالها فجاء بها زكريّا إلى امرأته فكفى الله مريم مؤونة الجواب عن السؤال،

ولمّا دخلت إلى أختها وهي الكبرى ومريم الصغرى لم تقم إليها امرأة زكريّا فأذن الله تعالى

١- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٦٠.

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٩، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٣٢.

٣- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٠٨، ص ٤٣٨.

٤- وفي نسخة: [العقول] كما في المصدر.

٥- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٥٩.

قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ
 قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
 قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذُنُكَ رَبُّكَ
 كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالنَّعْثِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾

ليحيى وهو في بطن أمه فنخس^(١) بيده في بطنها وأزعجها ونادها يا أمه تدخل إليك سيّدة نساء العالمين مشتملة على سيّد رجال العالمين فلا تقومين لها؟ فانزعجت وقامت إليها، وسجد يحيى وهو في بطن أمه لعيسى بن مريم. فذلك كان أوّل تصديقه له فذلك قول رسول الله ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام: إنهما سيّدا شباب أهل الجنة إلّا ما كان من ابني الحالة عيسى ويحيى عليهما السلام^(٢).

﴿قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ﴾: استبعاد عادي واستفهام.

﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾: أثر في السنّ وأضعفني.

﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ﴾: لا تلد من العقر بمعنى القطع.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: مثل خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر.

﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: من العجائب الخارقة للعادة.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: علامة أعرف بها الحمل لأستقبله بالشكر.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً،

قيل: وأنما حبس لسانه عن مكالمتهن خاصّة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاءً لحقّ النعمة

١ - نخست الدابة، نخساً - من باب قَتَلَ - طعنته بعود أو غيره. المصباح المنير: ص ٥٩٦ وفي تاج العروس: ج

١٦، ص ٥٤٢ نخس الدابة كنصر نخساً: غَزَزَ مؤخرها أو جنبها بعود ونحوها.

٢ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٦٠ - ٦٦١.

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾

وكأنه قال: آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر^(١).

العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: إن زكريا لما دعا ربه أن يهب له ولداً، فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم أن ذلك الصوت من الله، فأوحى إليه أن آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام فلما أمسك لسانه ولم يتكلم علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وذلك قول الله: «رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً»^(٢).

﴿إِلَّا رَمَزاً﴾: إشارة.

العياشي: عن أحدهما عليه السلام فكان يؤمِّي برأسه^(٣).

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً﴾ قيل: يعني في أيام العجز عن تكلم الناس^(٤) وهو مؤكّد لما قبله مبين للغرض منه^(٥).

﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ﴾: من الزوال أو العصر إلى الغروب.

﴿وَالْأَبْكَرِ﴾: من طلوع الفجر إلى الضحى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾: كلّموها شفاهاً لأنها كانت محدّثة تحدّثهم ويجدّثونها.

قيل: الإصطفاء الأوّل تقبّلها من أمّها ولم تقبل قبلها انثى وتفرّغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب، وتطهيرها عمّا يستقذر من النساء، والثاني: هدايتها وإرسال الملائكة إليها وتخصيصها بالكرامات السنّية كالولد من غير أب وتبرّأتها عمّا قدّفته اليهود بإنطاق

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٢، ح ٤٣.

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٥٩.

٤- الكشف: ج ١، ص ٣٦٠.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٢، ح ٤٤.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٠.

يَسْمَرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾
 ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
 يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين^(١).

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام معنى الآية: اصطفاك من ذرية الأنبياء، وطهرتك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى من غير فعل^(٢).

﴿يَسْمَرِيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: في جماعتهم، أو كوني في عدادهم امرت بالصلاة بذكر أركانها.

القَمِّي: إنما هو اركعي واسجدي، وعده مما وقع فيه التقديم والتأخير من القرآن^(٣).

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام: قال: سَمِيَتْ فَاطِمَةُ مُحَدَّثَةً لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنَادِيهَا كَمَا تَنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا فَاطِمَةُ اقْنَتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ، فَتَحَدِّثُهُمْ وَيَحَدِّثُونَهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ: أَلَيْسَتِ الْمَفْضَلَةُ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ سَيِّدَةً نِسَاءِ عَالَمِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ جَلَالَهُ جَعَلَكِ سَيِّدَةً نِسَاءِ عَالَمِكِ وَعَالَمِهَا، وَسَيِّدَةً نِسَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ^(٤).

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٠.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٤٤٠. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٢.

٤- علل الشرائع: ص ١٨٢، ح ١، باب ١٤٦، العلة التي من أجلها سَمِيَتْ فَاطِمَةُ مُحَدَّثَةً.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

أَيْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴿﴾ العياشي: عن الباقر عليه السلام: يقرعون بها حين ايتمت من أبيها^(١).

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: تنافساً في كفالتها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾: قيل:

أصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك^(٢).

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قيل: هو معرَّب ايشوع^(٣).

﴿وَجِيهًا﴾: القمي: ذو وجه وجاه^(٤).

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: بالنبوة والرسالة.

﴿وَالْآخِرَةِ﴾: بالشفاعة وعلو المرتبة^(٥).

﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾: من الله برفعه إلى السماء، وصحبة الملائكة، وعلو درجته في

الجنة.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾: كلام الأنبياء.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٣، ح ٤٧.

٢- انظر: أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٠، والكشاف: ج ١، ص ٣٦٣، وجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٤٣.

٣- انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٠، والكشاف: ج ١، ص ٣٦٣.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٢.

٥- وفي نسخة: [الرتبة].

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
 اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
 وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾

﴿فِي الْمُهْدِ﴾: حال كونه طفلاً.

﴿وَكَهْلًا﴾: من غير تفاوت، قيل: فيه دليل على نزوله لأنه رفع قبل أن

يكتهل^(١).

﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قيل: ذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشاد إلى أنه بمعزل عن

الأنبياء^(٢).

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
 اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: كما
 يقدر أن يخلق الأشياء مدرّجاً بأسباب وموادّ يقدر أن يخلقها دفعة من غير
 ذلك.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾: وقرئ بالنون.

﴿الْكِتَابَ﴾: الكتابة أو جنس الكتب المنزلة.

﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: خصّ الكتابان لفضلها.

١- انظر: مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٤٣، س ٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦١، س ٦.

٢- انظر: أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦١، س ٦. وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٣٧، س ١٥.

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي
أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

﴿وَرَسُولًا﴾: ويرسله رسولاً.

﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: في الإكمال: عن الباقر عليه السلام: أنه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة،
وكانت نبوته ببيت المقدس ^(١).

﴿أَنِّي﴾: بأني.

﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حجة شاهدة على صحة نبوتي.

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾: أقدر وأصور شيئاً وقرئ إني بالكسر.

﴿مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾: مثل صورته.

﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾: حياً طياراً، وقرئ طائراً.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره، نبيه على أن الإحياء من الله لا منه، وقرئ طائراً.

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾: الأعشى.

﴿وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: كرر بإذن الله دفعاً لوهم الألوهية فإن

الإحياء ليس من جنس الأفعال البشرية.

١- كمال الدين: ج ١، ص ٢٢٠، ذيل ح ١، باب ٢٢ - اتصال الوصية من لدن آدم، وإن الأرض لا تخلو من
حجة.

﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: بالمغيبات من أحوالكم التي

لا تشكّون فيها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: مصدّقين غير معاندين.

القمّي: عن الباقر (عليه السلام): إنّ عيسى (عليه السلام) كان يقول لبني اسرائيل: إنّ رسول الله إليكم وإني أخلق لكم من الطين كهينة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص، والأكمه: هو الأعمى، قالوا: ما نرى الذي تصنع إلّا سحراً فأرنا آية نعلم أنّك صادق، قال: أرأيتمكم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قبل أن تخرجوا وما ادّخرتم بالليل تعلمون أي صادق؟ قالوا: نعم، وكان يقول: أنت أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين^(١).

والعياشي: مقطوعاً قال: مكث عيسى (عليه السلام) حتى بلغ سبع سنين أو ثمان سنين فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى ويرى الأكمه والأبرص ويعلمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لما أراد الله عليهم حجة^(٢).

ومرفوعاً قال: إنّ أصحاب عيسى (عليه السلام) سألوه أن يحيي لهم ميتاً فأتى بهم إلى قبر سام ابن نوح فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح، قال: فانشق القبر، ثم أعاد الكلام فحرك، ثم أعاد الكلام فخرج سام بن نوح (عليه السلام) فقال له عيسى: أيها أحب إليك تبقى أو تعود؟ قال: فقال: يا روح الله بل أعود، إني لأجد حرقة الموت أو قال لذعة الموت في جوفي إلى يومي هذا^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعياشي: عن الصادق (عليه السلام): أنّه سئل هل كان عيسى بن مريم

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٤، ح ٤٩.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٢.

٤- الكافي: ج ٨، ص ٣٣٧، ح ٥٣٢.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٤، ح ٥٠.

أحیی أحدًا بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدةٌ وولد ؟ فقال: نعم إنه كان له صديق مواخ له في الله تعالى، وكان عيسى عليه السلام يربّه وينزل عليه وأنّ عيسى عليه السلام غاب عنه حيناً ثمّ مرّ به ليسلم عليه فخرجت إليه أمّه فسألها عنه فقالت: مات يا رسول الله، قال: أفتحبين أن تربيه ؟ قالت: نعم، فقال لها: فإذا كان غداً فأتيك حتى أحييه لك بإذن الله تعالى، فلما كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ثمّ دعا الله عزّ وجلّ فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رآته أمّه ورآها بكيا فرحمها عيسى فقال أحبّ أن تبقى مع أمّك في الدنيا ؟ فقال: يا نبيّ الله بأكل ورزق ومدة أم بغير أكل ولا رزق ولا مدة ؟ فقال له عيسى عليه السلام: بأكل ورزق ومدة، تعمر عشرين سنة وتزوّج ويولد لك، قال: نعم إذاً، فدفعه عيسى إلى أمّه فعاش عشرين سنة وولد له ^(١).

أقول: وقد صدر عن نبيّنا صلّى الله عليه وآله أمثال ما صدر عن عيسى عليه السلام وأكثر منها وأعجب كما رواه في الاحتجاج عن الحسين بن عليّ عليه السلام ^(٢).

وفي التوحيد: عن الرضا عليه السلام في حديث له: لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجّه معهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال له: إذهب إلى الجبّانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلا صوتك يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد صلّى الله عليه وآله: قوموا بإذن الله تعالى، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثمّ أخبروهم أنّ محمداً صلّى الله عليه وآله قد بعث نبياً، وقالوا وددنا أن كنّا أدركناه فنؤمّن به، قال عليه السلام: ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين، وكلمّته البهائم والطير والجنّ والشیاطين ولم تتخذهُ ربّاً من دون الله عزّ وجلّ ^(٣).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٤، ح ٥١.

٢- الاحتجاج: ج ١، ص ٣٣١ - ٣٣٥ والحديث طويل جداً.

٣- التوحيد: ص ٤٢٣، باب ٦٥، ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ
الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: في شريعة موسى ﷺ كالشحوم، والثروب^(١)، والسّمك، ولحوم الإبل، والعمل بالسبت كذا قيل^(٢).

والعياشي: عن الصادق ﷺ قال: كان بين داود وعيسى بن مريم عليهم السّلام أربعمئة سنة، وكانت شريعة عيسى ﷺ أَنَّهُ بَعَثَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَبِمَا أَوْصَى بِهِ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَ عَلَى النَّبِيِّينَ، وَشَرَعَ لَهُ فِي الْكِتَابِ أَقَامَ الصَّلَاةَ مَعَ الدِّينِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَحْرِيمَ الْحَرَامِ، وَتَحْلِيلَ الْحَلَالِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي الْإِنْجِيلِ مَوَاعِظَ وَأَمْثَالَ وَحُدُودَ^(٣)، وَلَيْسَ فِيهَا قِصَاصٌ وَلَا أَحْكَامٌ حُدُودَ، وَلَا فَرَضَ مَوَارِيثَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ تَخْفِيفَ مَا كَانَ عَلَى مُوسَى ﷺ فِي التَّوْرَةِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِي قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» وَأَمَرَ عِيسَى ﷺ مَنْ مَعَهُ مِمَّنْ أَتْبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِشَرِيعَةِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ^(٤).

أقول: نسخ بعض أحكام التوراة لا ينافي تصديقه، كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض

١- الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. منه ثرب، وقال الجوهري: الثرب: شحم قد غش الكرش والأمعاء رقيق. الصحاح: ج ١، ص ٩٢، مادة «ثرب».

٢- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ١، ص ٣٦٥.

٣- لعل المراد بالحدود المنزلة فيه: يجعل العقوبات وأحكامها الغير المنزلة: تفصيلها. منه ثرب.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٥٢.

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾
 فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

عليه بتناقض، وذلك لأن النسخ في الحقيقة بيان لانتها مدة الحكم وتخصيص في الأزمان.
﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: لعله كرر هذا القول لأن الأول كان تمهيداً للحجة
 والثاني تقريباً للحكم ولهذا رتب عليه ما بعده بالفاء.

وقيل: بل المراد قد جئتمكم بحجة أخرى شاهدة على صحة نبوتي وهي قوله: «إِنَّ اللَّهَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ» فإنه دعوة الحق المجمع عليها بين الرسل الفارق بين النبي والساحر وما بينهما
 اعتراض^(١).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾: فاتقوا الله في المخالفة، واطيعوني فيما أدعوكم إليه.
﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: إشارة إلى إكمال العلم بالإعتقاد الحق الذي غايته
 التوحيد.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: إشارة إلى إكمال العمل بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر
 والإنهاء عن المناهي.

﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: إشارة إلى أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له
 بالاستقامة.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾: لما سمع ورأى أنهم يكفرون كذا رواه القمي

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
وَمَكِّرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٨﴾

عن الصادق عليه السلام (١).

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: من أعواني إلى سبيله.

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾: حوارِي الرجل: خالصته من الحور، وهو البياض الخالص.

في العيون: عن الرضا عليه السلام أنه سئل لم سمي الحواريون الحواريين؟ قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قَصَّارِينَ يَخْلَصُونَ الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتق من الخبز الحوار (٢)، وأما عندنا فسمي الحواريون الحواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم، ومخلصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير (٣).

وفي التوحيد: عنه عليه السلام: أنهم كانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم الوقا (٤).

﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾: انصار دينه.

﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: كن شهيداً لنا عند الله يوم القيامة حين

يشهد الرسل لقومهم وعليهم.

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾:

بوحدانيتك أو مع الشاهدين على الناس ولهم.

﴿وَمَكِّرُوا﴾: أي الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٣.

٢- قال الجزري في النهاية: ج ١، ص ٥٨: ومنه «الخبز الحواري» نُحِّلَ مَرَّةً بعد مَرَّةً.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٩، ج ١٠، باب ٣٢- ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٤- التوحيد: ج ١، ص ٤٢١، في حديث طويل من باب ٦٥- ذكر مجلس الرضا.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَونَكَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

يقتله غيلة.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾: حين رفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل بدلاً منه كما روته العامة (١).

ومضى عن تفسير الإمام عليه السلام أيضاً في سورة البقرة (٢) أو على أحد من خواصه ليكون معه في درجته كما ذكره القمي (٣) ويأتي عن قريب.

والمكر: من حيث أنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله تعالى إلا على سبيل المقابلة والإزدواج أو بمعنى المجازاة كما مر عن الرضا عليه السلام (٤).

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾: أقواهم مكرًا، وأنفذهم كيدًا، وأقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَونَكَ﴾: مستوفي أجلك، ومؤخرَكَ إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم، أو قابضك من الأرض من توقيت مالي، أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت.

﴿وَرَافِعَكَ إِلَىٰ﴾: إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي.
﴿وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من سوء جوارهم.

١- تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٤٢.

٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٣٧٢.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٣.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٦، ذيل ح ١٩.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾: من المسلمين والناصرى.

﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من اليهود والمكذبين.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: يغلبونهم بالحجة والسيف.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: من أمر الدين.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ: تفسير
للحكم وتفصيل له، وقرئ فتوفّيهم بالناء.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: في الإكمال: عن النبي ﷺ بعث الله عيسى بن مريم،

واستودعه النور والعلم والحكم وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل، وبعثه الى بيت المقدس
إلى بني اسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله فأبى أكثرهم إلا طغياناً
وكفراً. فلما لم يؤمنوا دعا ربه وعزم عليه فسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم
ذلك إلا طغياناً وكفراً فأتى بيت المقدس فكان يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاثة وثلاثين
سنة حتى طلبته اليهود، وادّعت أنها عذّبتة ودفنته في الأرض حياً، وادّعى بعضهم أنهم قتلوه
وصلّبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه وإنما شبه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا
على قتله وصلبه لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله: «ولكن رفعه الله بعد أن توفاه»^(١).

١ - كمال الدين وتمام النعمة: ج ١، ص ٢٢٥ في حديث طويل ٢٠ باب ٢٢ - اتصال الوصية من لدن آدم، وإن

الأرض لا تخلو من الحجّة.

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

والقَمِّي: عن الباقر صلوات الله عليه قال: إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدَ أَصْحَابَهُ لَيْلَةَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فَأَدْخَلَهُمْ بَيْتًا ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنِ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْمَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ رَافِعِي إِلَيْهِ السَّاعَةَ وَمُطَهِّرِي مِنَ الْيَهُودِ فَأَيْتَكُمْ يَلْقَى عَلَيْهِ شَبَحِي فَيَقْتُلُ وَيَصْلُبُ وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي، فَقَالَ شَابٌّ مِنْهُمْ: أَنَا يَا رُوحَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَنْتَ هُوَذَا، فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ اثْنَتِي عَشْرَةَ كُفْرَةً، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَنَا هُوَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَالَ عِيسَى: إِنْ تَحَسَّ بِذَلِكَ فِي نَفْسِكَ فَلْتَكُنْ هُوَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ عِيسَى: أَمَا إِنَّكُمْ سَتَفْتَرِقُونَ بَعْدِي عَلَى ثَلَاثَةِ فِرَقٍ، فِرْقَتَيْنِ مَفْتَرَتَيْنِ عَلَى اللَّهِ فِي النَّارِ، وَفِرْقَةً تَتَّبِعُ شَمْعُونَ صَادِقَةً عَلَى اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ رَفَعَ اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْيَهُودَ جَاءَتْ فِي طَلَبِ عِيسَى مِنْ لَيْلَتِهِمْ فَأَخَذُوا الرَّجُلَ الَّذِي قَالَ لَهُ عِيسَى إِنَّ مِنْكُمْ لِمَنْ يَكْفُرُ بِي قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ اثْنَتِي عَشْرَةَ كُفْرَةً وَأَخَذُوا الشَّابَّ الَّذِي أَلْقَى عَلَيْهِ شَبَحَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاقْتُلُوا وَصَلَبُوا وَكَفَرُوا الَّذِي قَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْفُرُ قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ اثْنَتِي عَشْرَةَ كُفْرَةً (١).

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره.

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: المشتمل على الحكم أو المحكم

المنوع من تطرق الخلل إليه، يريد به القرآن أو اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: أي شأنه الغريب كشأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَلْ لُغْتًا لِّلَّهِ عَلَى الْكَذِبِينَ ﴿٦١﴾

﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾: جملة مفسرة للتمثيل مبيّنة لما له الشبه، وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم، شبه حاله بما هو أقرب افحاماً^(١) للخصم، وقطعاً لمواد الشبه، والمعنى خلق قلبه من التراب.

﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾: أي أنشأ بشراً كقوله: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»^(٢) وقدّر تكوينه من التراب ثم كونه.

﴿فَيَكُونُ﴾: أي فكان في الحال.

﴿الْحَقُّ﴾: هو الحق.

﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: من النصارى.

﴿فِيهِ﴾: في عيسى عليه السلام.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: من البينات الموجبة للعلم.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾: هلموا بالرأي والعزم.

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: أي يدع

كلّ منا، ومنكم نفسه، وأعرّة أهله، وألصقهم بقلبه إلى المباهلة، ويحمل عليها وأما قدمهم على النفس لأنّ الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم.

١ - وكَلَّمْتُهُ حَتَّى أَفْحَشْتُهُ: إِذَا أَسْكَنَهُ فِي خُصُومَةٍ أَوْ غَيْرِهَا. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٣٠، مادة «فحم».

﴿ثُمَّ نَبَّهْلُ﴾: أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منّا، والبهلة - بالضم والفتح - : اللعنة، وأصله الترك، من قولهم: بهّلت الناقة إذا تركتها بلا صرار، والصرار: خيط يشدّ فوق الحِلْف^(١) لئلا يرضعها ولدها.

﴿فَتَجْعَلُ لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾: عطف فيه بيان، روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا: حتى ننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: وما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوّته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما بهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين عليه الصلاة والسلام آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تشي خلفه، وعليّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمتوا^(٢) فقال أسقفهم^(٣): يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا، فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألتي حلّة حمراء وثلاثين درعاً من حديد، فقال عليّ: والذي نفسي بيده لو تباهلوا المسخوا قردة وخنازير، ولا يضرم عليهم الوادي ناراً، ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر^(٤).

كذا روته العامة وهو دليل على نبوّته، وفضل من أتى بهم من أهل بيته، وشرفهم شرفاً لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس عليّ ﷺ كنفسه.

وفي العيون: عن الكاظم عليه الصلاة والسلام: لم يدّع أحد أنّه أدخله النبي ﷺ تحت الكساء عند المباهلة للنصارى إلا علي بن أبي طالب ﷺ، وفاطمة، والحسن، والحسين: كان

١ - الخلف - بالكسر -: حَلَمَة ضرع الناقة القادمين والآخرا. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٥٥، مادة «خلف».

٢ - وأمنت على الدعاء تأمينا: قلت عنده: آمين. وآمين بالمد والقصر لغة، بمعنى «اللهم استجب». مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٠٧، مادة «أمن».

٣ - أسقف النصارى - كاردن، وقطرب، وقُفْل -: الرئيس لهم في الدين أو الملك المتخاضع في مشيته، أو العالم أو هو فوق القسيس ودون المطران. القاموس المحيط: ج ٣، ص ١٥٣، مادة «سقف».

٤ - الكشف: ج ١، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

تأويل قوله عز وجل: «أُتِنَاءَنَا» الحسن، والحسين، و«نِسَاءَنَا»: فاطمة و«أَنْفُسَنَا»: علي بن أبي طالب عليهم صلوات الله^(١).

والقمي: عن الصادق عليه السلام: أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان سيدهم الأهم، والعاقب، والسيد، وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم فلما فرغوا دنوا من رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق يأكل ويشرب، ويحدث، قالوا: فمن أبوه، فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قل لهم: ما تقولون في آدم أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟ فبهتوا، فأنزل الله «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» الآية، وقوله «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» إلى قوله «فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فباهلوني فإن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أنزلت عليّ.

فقالوا: أنصفت فتواعدوا للمباهلة. فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم السيد، والعاقب، والأهم: إن باهلنا بقومه باهلنا، فإنه ليس بنبي، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات الله عليهم.

فقال النصاري: من هؤلاء؟ ف قيل لهم: إن هذا ابن عمه، ووصيه، وختنه علي بن أبي طالب، وهذه بنته فاطمة، وهذان ابناه الحسن والحسين صلوات الله عليهم، فتفرقوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على الجزية وانصرفوا^(٢).

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٨٥، ذيل ح ٩، باب ٧، جمل من أخبار موسى عليه السلام مع هارون الرشيد.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٤.

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
 بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
 بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

وفي العلل: عن الجواد عليه السلام ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا
 يجيبون للمباهلة، وقد عرف الله أن نبيه ﷺ مؤدّي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك
 عرف النبي ﷺ أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه (١).

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾: أتى بـ«من» الزائدة
 للاستغراق تأكيداً للردّ على النصارى في تثليثهم.
 ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة، والحكمة
 البالغة ليشاركة في الألوهية.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: وعيد لهم، وضع المظهر موضع المضر
 ليدلّ على أن التولي عن الحجب، والاعراض عن التوحيد افساد للدين، ويؤدّي إلى إفساد
 النفس، بل وإلى إفساد العالم.

﴿قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا
 اللَّهَ﴾: أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها.

يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ
وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾: ولا نجعل غيره شريكاً له في العبادة.

﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: ولا نقول عزيزاً ابن الله، ولا

المسيح ابن الله، ولا نطيع الأبحار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل، لأنَّ كلاً منهم بشر مثلنا. في المجمع: روي أنهم لما نزلت: «اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١).

قال عدي بن حاتم: ما كنّا نعبدهم يا رسول الله؟ قال: أليس كانوا يحلّون لكم ويحرّمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم، قال: هو ذاك^(٢).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن التوحيد.

﴿فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: أي لزمتمكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مسلمون دونكم.

قيل: انظر إلى ما راعى في هذه القصّة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرّج في الحجاج، بين أوّل أحوال عيسى وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهيّة، ثمّ ذكر ما يحل عقدتهم ويميز شهبتهم، فلمّا رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز، ثمّ لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الإنقياد عاد عليهم بالإرشاد، وسلك طريقاً أسهل، والزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى عليه السلام والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب، ثمّ لما لم يجد ذلك أيضاً عليهم^(٣) وعلم أنّ الآيات والنذر لا تغني عنهم، أعرض عن ذلك، وقال: «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»^(٤).

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٥٥.

١- التوبة: ٣١.

٣- وفي نسخة [فيهم] كما في هامش المخطوط. وهو الأظهر.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٥.

هَآأَنُتُمْ هَؤَلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا
لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا كَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٧﴾

مِنْ بَعْدِهِ ﴿٩٦﴾: قيل: تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم، وزعم كل فريق أنه منهم، فترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت، والمعنى: إن اليهودية والنصرانية حدثت بزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السلام، وكان إبراهيم عليه السلام قبل موسى بألف سنة، وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما؟ (١)(٢).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: فتدعون المحال.

﴿هَآأَنُتُمْ هَؤَلَاءِ حَبَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: بهوا بحرف التنبيه عن حالهم التي غفلوا عنها، أي أنتم هؤلاء الحمقى، وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً، أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به، ولا ذكر له في كتابكم من دين إبراهيم؟
وقيل: «هؤلاء» بمعنى الذين (٣)، وقيل: عطف بيان لأنتم (٤).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما حاججتم فيه من شأن إبراهيم عليه السلام ودينه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: فلا تتكلموا فيه.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾: تصرّح بمقتضى ما قرره.

١- يكون عليهما: أي على ملتهما منه ﷺ. ٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٥.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٥.

٤- راجع مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٥٦.

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
ءَأْمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن العقائد الزائفة.

﴿مُسْلِمًا﴾: منقاداً لله تعالى، وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان^(١).

والعياشي: عنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يهودياً يصلي إلى المغرب ولا نصرانياً يصلي إلى المشرق، ولكن كان حنيفاً مسلماً على دين محمد ﷺ^(٢).

أقول: يعني كان يصلي إلى الكعبة ما بين المشرق والمغرب، وكان دينه موافقاً لدين

محمد ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيزاً والمسيح،

ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة إبراهيم.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾: أن أخصهم به وأقربهم منه من الولي، وهو القرب.

﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: من أمته.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾: خصوصاً.

﴿وَالَّذِينَ ءَأْمَنُوا﴾: من أمته لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة

في الكافي^(٣)، والعياشي عن الصادق عليه السلام: هم الأئمة ومن اتبعهم^(٤).

والقمي^(٥)، والعياشي: عن عمر بن يزيد، عنه عليه السلام قال: أنتم واللّه من آل محمد ﷺ،

١- الكافي: ج ٢، ص ١٥، ح ١، باب الاخلاص. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٧-١٧٨، ح ٦٠.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤١٦، ح ٢٠، باب فيه نكت وتنف من التنزيل.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٧-١٧٨، ح ٦٢.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٥. وفيه: فقلت من أنفسهم جعلت فداك؟

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِئَايَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

فقلت: جعلت فداك من أنفسهم؟ قال: نعم، والله من أنفسهم ثلاثاً، ثم نظر إليّ ونظرت إليه فقال: يا عمر إن الله تعالى يقول في كتابه: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ» (١) الآية.

وفي المجمع: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به، ثم تلا هذه الآية، قال: إن وليّ محمد ﷺ من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدوّ محمد ﷺ من عصى الله وإن قربت قرابته (٢).

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾: يتولّى نصرتهم.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾: قيل: نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة، وعماراً، ومعاذاً، إلى اليهودية (٣).

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: وما يتخطأهم الإضلال ولا يعود وباله إلا عليهم، إذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلون إلا أمثالهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: وزره، واختصاص ضرره بهم.

﴿يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بما نطقت من التوراة والإنجيل،

ودلت على نبوة محمد ﷺ.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: إنها آيات الله، أو بما يتلى عليكم من القرآن، وأنتم تشهدون

نعمته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق أو بالمعجزات، وأنتم تشهدون أن ظهور

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٦١. ٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ح ٤٥٨.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٦٦.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾

المعجزات يدلّ على صدق الرسالة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: بالتحريف وإبراز الباطل في

صورته، أو بالتقصير في المميز بينها.

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾: نبوة محمد ﷺ، أو نعته.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: عالمون بما تكتُمونه.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا

وَجْهَ النَّهَارِ﴾: أي أظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار.

﴿وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يَشْكُونَ في دينهم ظناً بأنكم قد رجعتم لخلل

ظهر لكم. والقمي: عن الباقر عليه السلام: إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وهو يصلي نحو بيت

المقدس أعجب ذلك القوم، فلما صرفه الله عن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام وجدت (١)

اليهود من ذلك، وكان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا: صلى محمد الغداة واستقبل قبلتنا،

فآمنوا بالذي أنزل على محمد ﷺ وجه النهار، وآكفروا آخره يعنون القبلة حين استقبل

رسول الله ﷺ المسجد الحرام لعلهم يرجعون إلى قبلتنا (٢).

١ - تَوَجَّدَتْ لِفُلَانٍ: حُزِنْتُ لَهُ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٥٥، مادة «وجد».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٥.

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ
يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ
الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمِهِ ﴿٧٣﴾

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ قيل: هذا من تنمّة كلام اليهود، أي لا تصدّقوا ولا تقرّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتِيتُمْ إِلَّا لأهل دينكم^(١).

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾: اعتراض بين المفعول وفعله من كلام الله تعالى، ومعناه: إنّ الدّين: دين الله.

﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾: يعني من العلم، والحكمة، والكتاب، والحجّة، والمن، والسلوى، والفضائل، والكرامات، وقرئ «أن يؤتى» بالمدّ على الاستفهام^(٢).

﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: عطف على قوله: «أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ» والواو ضمير أحد لأنّه في معنى الجمع، والمعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجّوكم عند ربّكم لأنكم أصحّ ديناً منهم، فلا تكون لهم الحجّة عليكم. وفي الآية وجوه آخر، وهي من المتشابهات التي لم يصل إلينا عن أهل البيت: شيء.

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾: أي الهداية، والتوفيق منه.

١- راجع مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٦١.

٢- وقيل: «أن يؤتى» متعلق بمحذوف، أي دبرتم ذلك، وقلتم: أن يؤتى أحد، والمعنى: إن الحسد حملكم على ذلك وقراءة «أن يؤتى» على الاستفهام للتفريع يؤيد هذا التفسير.

وقيل: «أن يؤتى» خبران على أن الهدى الله بدل عن الهدى فيكون معنى أو يحاجّوكم فيدحض حجّتهم.

وقيل: فيه أقوال أخر والعلم عند الله منه ﷻ والقائل في هذه الموارد هو البيضاوي راجع أنوار التنزيل: ج ١،

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ
 تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ
 إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا: إلا مدة دوامك على رأسه
 تطالبه بالعنف.

﴿ذَلِكَ﴾: يعني ترك الأداء.

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾: بسبب قولهم.

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾: أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل
 الكتاب ولم يكونوا على ديننا عقاب وذم.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: يادّعونهم ذلك.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون وذلك لأنهم استحلّوا ظلم من خالفهم، وقالوا: لم
 يجعل لهم في التوراة حرمة.

وفي الجمع: عن النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية قال: كذب أعداء الله ما من شيء كان في
 الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البرّ والفاجر^(١).

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَلَا يَزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿بَلَىٰ﴾: اثبات لما نفوه، أي بلى عليهم سبيل.

﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾: استيناف أي كل من أوفى بما
عاهد عليه، أي عهد كان، واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه، في وضع الظاهر
موضع المضمر اشعار بأن التقوى ملاك الأمر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون.

﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: بما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالرسول والوفاء بالأمانات.

﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾: وبما حلفوا به.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدنيا من الرياسة، وأخذ الرشوة، والذهب بمال أخيه المسلم،

ونحو ذلك.

﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾: لا نصيب لهم.

﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: كناية عن

سخطه عليهم، واستهائته بهم.

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يعني لا يصيهم بخير قال: وقد

تقول العرب: والله ما ينظر إلينا فلان وإنما يعنون بذلك أنه لا يصيبنا منه بخير^(١).

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ
 الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ قيل: ولا يثني عليهم^(١).

وفي تفسير الإمام عليّ: ولا يزكّيهم من ذنوبهم كما مرّ^(٢).

﴿وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾: في الأمالي: قال النبي ﷺ: من حلف على يمين يقطع بها مال
 أخيه لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديقه في كتابه: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ»
 الآية^(٣).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾: يفترونها بقراءته فيميلونها عن
 المنزل إلى المحرف.

﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: تأكيد وزيادة تشنيع عليهم.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب
 على الله، والتعمّد فيه.

القمي: مقطوعاً قال: كان اليهود يفترون شيئاً ليس في التوراة، ويقولون: هو في التوراة

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٣٧٦.

٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٥٨٦، ذيل الآية ١٧٤ من سورة البقرة.

٣- الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٣٥٨، ح ٧٤٣ / ٨٣. وفيه من حلف ميناً يقطع.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾

فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ (١).

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: في المجمع: قيل: إن أبا رافع القرظي، والسيد النجراني قالوا: يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله أن يعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني؛ فنزلت (٢).

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: ولكن يقول: «كونوا ربّانيتين» والربّاني: منسوب إلى الربّ بزيادة الألف والنون، وهو الكامل في العلم والعمل.

والقمي: أي أن عيسى لم يقل للناس إني خلقتكم وكونوا عباداً لي من دون الله ولكن قال لهم: «كونوا ربّانيتين» أي علماء (٣).

﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: بسبب كونكم معلمين الكتاب ودارسين له فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للإعتقاد والعمل، وقرئ بالتخفيف أي بسبب كونكم عالمين.

في العيون: عن النبي ﷺ قال: لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً، ثم تلا هذه الآية (٤).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٦، س ٩. ٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٦٦ في شأن النزول.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٦.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠١، ح ١، باب ٤٦ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة.

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ
بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنٰكُمْ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنٰكُمْ
مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ وَأَخَذْتُكُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا
أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: يهلك في إثنان ولا ذنب لي: محب مفراط، ومبغض مفراط، وأنا
لبراء إلى الله تعالى ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى (١).
﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾: وقرئ بنصب الراء.

﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾: القمّي مقطوعاً: كان قوم يعبدون الملائكة، وقوم من النصارى زعموا أن
عيسى عليه السلام رب، واليهود قالوا: «عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ» (٢)، فقال الله: «ولا يأمركم» الآية (٣).

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنٰكُمْ﴾: وقرئ بكسر اللام وأتيناكم.
﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾: في الجوامع (٤)، والمجمع: عن الصادق عليه السلام: معناه وإذا أخذ الله ميثاق أمم النبيين
كل أمة بتصديق نبيها، والعمل بما جاءهم به، فما وفوا به وتركوا كثيراً من شرائعهم وحرّفوا

١- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠١، ح ١، باب ٤٦ ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة:

٢- التوبة: ٣٠.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠٦.

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٨٦-١٨٧.

كثيراً منها^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: ما في معناه مبسوطاً، وقال: هكذا أنزلها الله يعني طرح منها أمم^(٢).

وفي الجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ نَبِيِّنَا عليه السلام أَنْ يَخْبِرُوا أُمَّهَمَ بِمَبْعَثِهِ وَنَعْتَهُ وَيُبَشِّرُوهُمْ بِهِ وَيَأْمُرُوهُمْ بِتَصْدِيقِهِ^(٣).

وعنه عليه السلام: إِنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا عليه السلام وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْعَهْدَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْمِهِ^(٤).

والقمي^(٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلّم جرّاً إلّا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين وهو قوله: «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» يعني رسول الله عليه السلام «وَلَتَنْصُرَنَّهُ» يعني أمير المؤمنين عليهما السلام^(٦).

وفي كتاب الواحدة: عن الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَدٌ وَاحِدٌ تَفَرَّدَ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ نُوراً، ثُمَّ خَلَقَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ مُحَمَّدًا عليه السلام وَخَلَقَنِي وَذَرِيتِي، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ فَصَارَتْ رُوحاً فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ النُّورِ وَأَسْكَنَهُ فِي أَبْدَانِنَا، فَنَحْنُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَاتُهُ، فَبِنَا احْتَجَبَ عَلَى خَلْقِهِ، فَازَلْنَا فِي ظِلَّةِ خَضِرَاءَ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ وَلَا لَيْلَ وَلَا نَهَارَ، وَلَا عَيْنَ تَطْرَفُ، نَعْبُدُهُ وَنَقْدُسُهُ وَنَسَبِّحُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، وَأَخَذَ مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيمَانِ وَالنَّصْرَةِ لَنَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرَنَّهُ» يعني لتؤمننَّ بمحمد عليه السلام ولتنصرنَّ وصيّه وسيُصرونه جميعاً، وَإِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقِي مَعَ مِيثَاقِ مُحَمَّدٍ عليه السلام بِنَصْرَةِ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، فَقَدْ نَصَرْتُ مُحَمَّدًا عليه السلام وَجَاهَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَتَلْتُ عَدُوَّهُ،

١- جمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٦٨. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٠، ح ٧٣.

٣- جمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٦٨. ٤- جمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٦٨.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٦.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨١، ح ٧٤ نقلاً بالمضمون.

ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد ﷺ، ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها الى مغربها وليبعثهم الله أحياء من آدم إلى محمد ﷺ كل نبي مرسل يضربون بين يديّ بالسيف هامّ الأموات والأحياء والثقلين جميعاً، فيا عجباه، وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبّون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعي الله قد أظّلوا بسكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة وجابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله عزّ وجلّ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خُوفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا»^(١) أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً في عبادتي ليس عندهم تقية، وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات، وصاحب الصولات والنقعات، والدولات العجيبات، وأنا قرن^(٢) جديد^(٣) الحديث.

﴿قَالَ ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾: أي عهدي.

﴿قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: القميّ: عن

الصادق عليه السلام: قال لهم في الذر: «ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي» أي عهدي قالوا: «أَقْرَضْنَا»، قال الله للملائكة: «فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^(٤) (٥).

١- النور: ٥٥.

٢- وفي نسخة: [وأنا قرن من حديد].

٣- لا يوجد لدينا هذا الكتاب. وذكر العلامة الطهراني في الذريعة بأن نسخة منه كانت موجودة عند ابن طاووس نقل عنه في تصانيفه، راجع ج ٢٥، ص ٨-٩، وهذا الكتاب ثمانية أجزاء في الأخبار والمناقب والمطالب

كما ذكره ابن نديم في فهرسته ص ٢٧٨. ٤- تفسير القميّ: ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

٥- القميّ هذه الآية مع الآية التي في سورة الأحزاب: ٧ «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نَرَحْ». والآية التي في سورة الأعراف: ١٧٢ «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» وقد كتبت هذه الثلاث آيات في ثلاث سور. ج ١ ص ١٠٧. منه يَبَيَّنُ.

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ
 اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
 وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أقررتهم وأخذتم العهد بذلك على أممكم، قالوا: أي قال الأنبياء وأممهم: أقرنا بما أمرتنا بالإقرار به، قال الله تعالى فاشهدوا بذلك على أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أممكم»^(١).

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: الميثاق والتوكيد.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: المتمرّدون من الكفار.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: في التوحيد^(٢).

والعياشي: عن الصادق عليه الصلاة والسلام وهو توحيدهم لله عزّ وجلّ^(٣).

وفي المجمع: عنه عليه السلام إنّ معناه أكره أقوام على الإسلام، وجاء أقوام طائعين قال: كرهاً أي فرقاً من السيف^(٤).

أقول: لعلّ المراد: أنّ ذلك في زمان القائم عليه السلام كما رواه العياشي عنه عليه السلام إنّها نزلت في القائم عليه السلام^(٥).

وفي رواية تلاها فقال: إذا قام القائم عليه الصلاة والسلام لا تبقى أرض إلّا نودي فيها

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٦٨.

٢- التوحيد: ص ٤٦، ح ٧، باب التوحيد ونفي التشبيه.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٢- ١٨٣، ح ٧٨.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٧٠.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٣، ح ٨٢.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾

بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (١).

﴿وَالِيهِ يُرْجَعُونَ﴾: وقرئ بالياء.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾:
أمر الرسول ﷺ بأن يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايان.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بالتصديق والتكذيب.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: منقادون مخلصون في عبادته.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾: أي غير التوحيد والإتيقاد لحكم الله تعالى.

﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: بإبطاله الفطرة السليمة التي

فطر الناس عليها.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
 يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا
 كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَضَالُونَ ﴿٩٠﴾

وَجَاءَهُمْ أَلْبَيِّنَاتٌ: استبعاد لأن يهديهم الله فإنَّ الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك^(١) في الضلال بعيد عن الرشاد وشهدوا عطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل أو حال باضمار (قد).
 ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ: يقبل توبتهم.
 ﴿رَحِيمٌ﴾: يتفضل عليهم. في الجمع: عن الصادق عليه السلام نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له: الحارث بن سويد بن الصامت، وكان قتل المحذر بن زياد البلوي غدراً، وهرب وارتدَّ عن الاسلام، ولحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله هل لي من توبة؟ فسألوا فنزلت الآية فحملها رجل من قومه إليه فقال: إني لأعلم أنك لصدوق، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله صدق منك، وإن الله تعالى أصدق الثلاثة، ورجع إلى المدينة وتاب وحسن إسلامه^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾: كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام

١- انهمك الرجل في الشيء: أي جدَّ وج. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٩٩، مادة «همك».

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٧١.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ
مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

والإنجيل بعد الإيمان بموسى عليه السلام والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بحمد الله عليه السلام، والقرآن أو كفروا بحمد الله عليه السلام بعدما آمنوا به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بالإصرار، والعناد، والطعن فيه، والصد عن الإيمان، ونقض الميثاق، وكقوم ارتدوا ولحقوا بمكة، ثم ازدادوا كفراً بقولهم: «نتربص بحمد الله عليه السلام ريب المنون» أو نرجع إليه ونناقضه بإظهار التوبة

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: لأنها لا تكون عن الإخلاص، أو لأنها لا تكون إلا عند اليأس ومعينة الموت.

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الضَّالُّونَ﴾: الثابتون على الضلال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾: ما يملأ الأرض من الذهب.

﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾: نفسه من العذاب، قيل: تقديره فلن يقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً^(١).

ويحتمل أن يكون المراد: فلن يقبل من أحدهم انفاقه في سبيل الله بملء الأرض ذهباً في الدنيا، ولو كان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ * لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: لن

كُلُّ الْأَطْعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى
نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّورَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّورَةِ
فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾

تبلغوا حقيقته ولا تكونوا أبراراً.

﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: من المال والجاه والمهجة وغيرها في طاعة الله.
في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» قال:
هكذا فاقراها^(٢).

وفي المجمع: اشترى علي صلوات الله عليه ثوباً فأعجبه فتصدَّق به، وقال: سمعت
رسول الله ﷺ يقول: من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة، ومن أحب شيئاً فجعله
له قال الله يوم القيامة: قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة^(٣).
وعن الحسين بن علي، والصادق صلوات الله عليهم إنيهما كانا يتصدَّقان بالسكر
ويقولان: إنَّه أحبُّ الأشياء إلينا، وقد قال الله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ»^(٤).

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾: محبوب أو غيره.
﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: فيجازيكم بحسبه.
﴿كُلُّ الْأَطْعَامِ﴾: أي المطعومات.

١- الكافي: ج ٨، ص ١٨٣، ح ٢٠٩.

٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٧٣.

٣- راجع عوالي النالتي: ج ٢، ص ٧٤، ح ١٩٦. والحديث عن الحسن عليه السلام. وراجع بحار الأنوار: ج ٤٦،

ص ٨٩ والحديث عن علي بن الحسين عليه السلام. وراجع الكافي: ج ٤، ص ٦١، ح ٣، باب النوادر.

﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: كان أكلها حلالاً لهم، والحلّ مصدر نعت به.
﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾: يعقوب.

﴿عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾: في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إن إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هَيَّج عليه وجع الحاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك قبل أن تنزل التوراة، فلما نزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله^(٢).
أقول: يعني لم يحرمه موسى ولم يأكله، أو لم تحرمه التوراة ولم تؤكّله أي أهمل ولم تندب إلى أكله من التأكيل.

والقميّ: إن يعقوب كان يصيبه عرق النساء فحرّم على نفسه لحم الجمل، فقالت اليهود: إن الجمل محرّم في التوراة، فقال الله عزّ وجلّ لهم: «قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أمّا حرّم هذا إسرائيل على نفسه ولم يحرمه على الناس^(٣).

ومحصل المعنى إن المطاعم كلّها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة، وتحريم ما حرّم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الذي حرّمه إسرائيل على نفسه، وهذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم في قوله: «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ»^(٤) وقوله: «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ»^(٥) فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، وقد كانت محرّمة على نوح وإبراهيم، ومن بعده من بني إسرائيل إلى ان انتهى التحريم إلينا فكذبهم الله.

﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أمر بمحاجّتهم بكتابهم وتبكيّتهم^(٦) بما فيه حتّى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم، لا تحريم قديم كما

١- الكافي: ج ٥، ص ٣٠٦، ح ٩، باب النوادر. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٨٤، ح ٨٦.

٣- تفسير القميّ: ج ١، ص ١٠٧-١٠٨. ٤- الأنعام: ١٤٦.

٥- النساء: ١٦٠.

٦- كبّته يَكْبِتُهُ: صرعه وأخزاه وصرفه وكسره، ورد العدو بغیظه وأذله. والمكبت الممتلئ نجماً. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٥٥، مادة «كبت».

فَن أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾

زعموا فلم يجسروا على إخراج التوراة فبهتوا.

﴿فَن أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾: بزعمه أن ذلك كان محرماً على الأنبياء، وعلى
بني إسرائيل قبل إنزال التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ما لزمهم الحجة.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: لأنفسهم لمكابرتهم الحق من بعد وضوحه.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾: تعريض بكذبهم، أي ثبت أن الله صادق فيما أنزله وأنتم الكاذبون.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ﷺ ومن آمن

معه، ثم برأ سبحانه إبراهيم مما كان ينسبه اليهود والمشركون إليه من كونه على دينهم، فقال:

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ: ليكون متعبداً لهم.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: البيت الذي ببكة وهو الكعبة.

في الكافي^(١) عنها عليه السلام، وفي الفقيه^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: لما أراد الله

تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجاً، ثم ازبد فصار زبداً
واحداً فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلاً من زبد، ثم دحى الأرض من تحته وهو قول الله

١- الكافي: ج ٤، ص ١٨٩ - ١٩٠، ح ٧، باب إن أول ما خلق الله من الأرضين موضع البيت وكيف كان أول ما
خلق.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٦، ح ١٦٧٠، باب ٦٤ - ابتداء الكعبة وفضلها.

تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا»^(١).

وزاد في الفقيه: فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة ثم مدّت الأرض منها^(٢).

وفيه: إن الله اختار من كلّ شيء شيئاً اختار من الأرض موضع الكعبة^(٣).

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام: إنما سميت مكة بكّة لأنّ الناس يباكون فيها^(٤) يعني

يزدهمون.

وفي رواية أخرى: لبكاء الناس حولها وفيها^(٥).

وقيل: لأنها تبك أعناق الجبابرة يعني تدقّها^(٦).

وعنه عليه السلام: موضع البيت بكّة والقرية مكّة^(٧).

وعن الباقر عليه السلام: أمّا سميت مكة بكّة: لأنّه يبكّ بها الرجال والنساء والمرأة تصلي بين

يديك، وعن يمينك، وعن شمالك، وعن يسارك، ومعك، ولا بأس بذلك لأنّه إنّما يكره في سائر

البلدان^{(٨)(٩)}.

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام: أسماء مكة خمسة: أمّ القرى، ومكّة، وبكّة والبساسة^(١٠)

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٦، ح ٩١.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٦ ذيل حديث ١/٦٧٠، باب ٦٤- ابتداء الكعبة وفضلها.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٧، ح ١٠/٦٧٩، باب ٦٤- ابتداء الكعبة وفضلها.

٤- علل الشرائع: ص ٣٩٧، ح ١ باب ١٣٧- العلّة التي من أجلها سميت مكة بكّة.

٥- علل الشرائع: ص ٣٩٧، ح ٢ باب ١٣٧- العلّة التي من أجلها سميت مكة بكّة.

٦- تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٦٠.

٧- علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٩٧، ح ٣، باب ١٣٧- العلّة التي سميت من أجلها مكة بكّة.

٨- علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٩٧-٣٩٨، ح ٤، باب ١٣٧- العلّة التي سميت من أجلها مكة بكّة.

٩- وفي رواية الكافي: كانت تسمّى بكّة لأنها تبك أعناق الباغين إذا بغوا فيها راجع الكافي: ج ٤، ص ٢١١،

ح ١٨ والعياشي عن الصادق عليه السلام: سميت بكّة لأنّ الناس يبك بعضهم بعضاً بالأيدي، وعن الباقر عليه السلام: إن بكّة

موضع البيت، ومكة جميع ما اكتنفه الحرم راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٧، ح ٩٥ و٩٦ منه يؤخذ.

١٠- والبس- بالموحدة-: الحطم، ويروى بالنون من النس: أي الطرد، ويروى بهما. منه يؤخذ.

إذا ظلموا بها بسّتهم أي أخرجتهم وأهلكتهم، وأمّ رُحم^(١) كانوا إذا لزموها رحموا^(٢) ومثله في الفقيه مرسلًا^(٣).

وفيه: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزله لآدم من الجنة وكانت درّة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أسنه، وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله عزّ وجلّ إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما لبيان البيت على القواعد^(٤).

وفي الكافي عنه عليه السلام قال كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتّى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودّت، فلما نزل آدم رفع الله تعالى له الأرض كلّها حتّى رآها، ثم قال: هذه لك كلّها، قال: يا ربّ ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟ قال: هي حرمي في أرضي، وقد جعلت عليك أن تطوف بها في كل يوم سبعائة طواف^(٥).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام قال: وجد في حجر إنيّ أنا الله ذو بكتّة صنعتها يوم خلقت السماوات والأرض، ويوم خلقت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حقاً مباركاً لأهلها في الماء واللبن يأتيها رزقها من ثلاثة سبل من أعلاها وأسفلها والثنية^(٦) بعده^(٧).

﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير والنفع لمن حجّه، واعتمره، واعتكف عنده، وطاف حوله،

١- والرُّحْم - بالضم - : الرحمة. قال الله تعالى: «وأقرب رحماً» الكهف: ٨١، وربما تحرك منه «قدّس سرّه».

٢- الخصال: ص ٢٧٨، ح ٢٢، باب الخمسة - أسماء مكة خمسة.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٦٦، ح ٧٢٥ / ٥٦، باب ٦٤ - ابتداء الكعبة وفضلها.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٧، ح ٦٧٥ / ٦، باب ٦٤ - ابتداء الكعبة وفضلها.

٥- الكافي: ج ٤، ص ١٨٩، ح ٤، باب ان أول ما خلق الله من الأرضيين موضع البيت وكيف كان أول ما خلق.

٦- الثنية: موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية. وقيل: لكلّ عقبة أو طريق إلى العقبة، والبارز في بعضها يعود إلى الأسفل يعني أنّها على الترتيب، منه يَنْبُذُ.

وقال الطريحي: الثنية: الطريق العالي في الجبل، وقيل: كالعقبة فيه، ومنه مكة يأتيها رزقها من أعلاها وأسفلها، والثنية يريد المعلّى والسفلى وعقبة المدنيين، مجمع البحرين: ج ١، ص ٧٧، مادة «ثنا».

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٨، ح ٦٨٤ / ١٥، باب ٦٤ - ابتداء الكعبة وفضلها.

فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرِهُيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

وقصد نحوه من مضاعفة الثواب، وتكفير الذنوب، ونفي الفقر، وكثرة الرزق.

﴿وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾: لأنه قبلتهم ومتعبدهم.

﴿فِيهِ ءَايَتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: كقهره^(١) لمن تعرّض له من الجابرة بسوء كأصحاب الفيل

وغير ذلك.

﴿مِّمَّا يُرِهُيمَ﴾: أي منها مقام إبراهيم، في الكافي^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام:

أنه سئل ما هذه الآيات البينات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه،
والحجر الأسود، ومنزل إسماعيل^(٣).

أقول: أمّا كون المقام آية فلما ذكر، ولا ارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتى كان أطول من الجبال
كما يأتي ذكره في سورة الحج إن شاء الله، وأمّا كون الحجر الأسود آية فلما ظهر منه للأنبياء
والأوصياء عليهم السلام من العجائب، إذ كان جوهرة جعله الله مع آدم في الجنة وإذ كان ملكاً من

١ - عن ابن عباس أنه قرأ «آية بيّنة مقام إبراهيم» فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآية، وقال: أثر قدميه في المقام
آية بيّنة كذا في المجمع: ج ١ - ٢، ص ٤٧٨ وقيل: الشاعر كلها آيات بينات لآزدحام الناس عليها وتعظيمهم لها،
ويحكي أن الطواف بالبيت لا ينقطع أبداً، ولا تخرف الطير عن موازاة البيت، ومخالطة الصيود في الحرم
لضواري السباع واستيناسها بالناس، ولا نخاق الجمار على كثرة الرماة فلولا أنه ترفع لكان يجتمع هناك من
الحجارة مثل الجبال إلى غير ذلك. منه رحمه الله.

٢ - الكافي: ج ٤، ص ٢٢٣، ح ١، باب في قوله تعالى: «فيه آيات بينات».

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٧ - ١٨٨، ح ٩٩.

عظاء الملائكة ألقمه الله الميثاق وأودعه عنده، ويأتي يوم القيامة له لسان ناطق وعينان يعرفه الخلق يشهد لمن وافاه بالموافة، ولمن أدّى إليه الميثاق بالأداء، وعلى من جحدته بالإنكار، إلى غير ذلك كما ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ^(١).

ولما ظهر لطائفة من تنطقه لبعض المعصومين عليهم السلام كالسجاد عليه السلام حيث نازعه عمّه محمد بن الحنفية في أمر الإمامة كما ورد في الروايات ^(٢).

ومن عدم طاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه كما جرّب غير مرّة، وأما كون منزل إسماعيل آية: فلائّه أنزل به من غير ماء فنبع له الماء، وأما خصّ المقام بالذكر في القرآن وطوى ذكر غيره، لأنّه أظهر آية اليوم للناس.

فيل: سبب هذا الأثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكّن من رفع الحجارة فغاضت ^(٣) فيه قدماه ^(٤).

وقيل: أنه لما جاء زائراً من الشام إلى مكّة فقالت له امرأة إسماعيل انزل حتّى تغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعت على شقّه الأيمن فوضع قدمه عليه حتّى غسّلت شقّ رأسه، ثم حوّله إلى شقّه الأيسر حتّى غسّلت الشقّ الآخر، فبقي أثر قدميه عليه ^(٥).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام وكان موضع المقام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام عند جدار البيت فلم يزل هناك حتّى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكّة ردّه إلى الموضع الذي وضعه إبراهيم عليه السلام، فلم يزل هناك إلى أن وليّ عمر بن الخطّاب فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام؟ فقال رجل: أنا

١- راجع علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٢٥-٤٢٧، ح ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ باب ١٦١ - علة استلام الحجر الأسود، وعلة استلام ركن اليماني والمستجار. وص ٤٢٩-٤٣١، باب ١٦٤ - العلة التي من أجلها وضع الله الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١١١-١١٣، ح ٣ و ٤ و ٥ و راجع اثبات الهدى: ج ٣، ص ٦، ح ٤.

٣- وفي نسخة: [فغاصت]. ٤ و ٥- انظر تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٦٠.

قد أخذت مقداره بنسج^(١) فهو عندي فقال: تأتيني به فأتاه به فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان^(٢).

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾: في العلل: عن الصادق عليه السلام: انه قال لأبي حنيفة: أخبرني عن قول الله عز وجل: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة، قال: أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها؟ قال: فسكت، فسئل عليه السلام عن الجواب، فقال: من بايع قائمنا، ودخل معه، ومسح على يده، ودخل في عقد أصحابه كان آمناً^(٣).

والعياشي: عنه عليه السلام: من دخله وهو عارف بمحقنا كما هو عارف به خرج من ذنوبه وكُفي هم الدنيا والآخرة^(٤).

وفي الكافي^(٥)، والعياشي: عنه عليه السلام: قال: من أم هذا البيت وهو يعلم أنه البيت الذي أمره الله عز وجل به، وعرفنا أهل البيت حق معرفتنا كان آمناً في الدنيا والآخرة^(٦). وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: إن من دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم^(٧).

وفي الكافي: عن الصادق عليه الصلاة والسلام في أدعية دخول البيت اللهم: أنك قلت: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» فأمني من عذاب النار^(٨).

وفيه^(٩)، والعياشي عنه عليه السلام: قال: من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن به من

١- النسج - بالسین المهملتين، وبالكسر - سير ينسج عريضاً يشد به الرحال. منه يَنْسَجُ.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٢٢٣، ح ٢، باب في قوله تعالى: «فيه آيات بينات».

٣- علل الشرائع: ج ١، ص ٩٠، ح ٥ والحديث طويل جداً باب ٨١ - علّة المראה في الاذنين.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٩، ح ١٠٢. ٥- الكافي: ج ٤، ص ٥٤٥، ح ٢٥، باب النوادر.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٩ - ١٩٠، ح ١٠٦.

٧- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٧٨. ٨- الكافي: ج ٤، ص ٥٢٨، ح ٣، باب دخول الكعبة.

٩- الكافي: ج ٤، ص ٢٢٦، ح ١، باب: «ومن دخله كان آمناً».

سخط الله، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم^(١).
وعنه عليه السلام قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جنابة ثم فرّ إلى الحرم لم ينبغ لأحد أن يأخذه في الحرم، ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإنّه اذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جنابة أقيم عليه الحدّ في الحرم^(٢).
وزاد في الكافي لأنّه لم يرع للحرم حرمة^(٣).

وفي رواية: إن سرق سارق بغير مكّة أو جنى جنابة على نفسه ففرّ إلى مكّة لم يؤخذ مادام في الحرم حتى يخرج منه، ولكن يمنع من السوق فلا يبايع ولا يجالس حتى يخرج منه فيؤخذ، وإن أحدث في الحرم ذلك الحدث أخذ فيه^(٤).

وفي الكافي عنه عليه السلام وقد سأله سماعة عن رجل لي عليه مال فغاب عني بزمان فرأيتّه يطوف حول الكعبة أفأقتاضه مالي؟ قال: لا، لا تسلّم عليه ولا تروّعه حتى يخرج من الحرم^(٥).

وعنه عليه السلام من دفن في الحرم أمّن من الفزع الأكبر فليل له: من برّ الناس وفاجرهم؟ قال: من برّ الناس وفاجرهم^(٦).

وفي الفقيه: من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين، ومن مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان، ومن دفن في الحرم أمّن من الفزع الأكبر^(٧).

﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾: يعني قصده للمناسك المخصوصة. وقرئ بكسر

الحاء.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٩، ح ١٠١. ٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٩، ح ١٠٥.

٣ - الكافي: ج ٤، ص ٢٢٦، ح ٢، باب: «ومن دخله كان آمناً».

٤ - الكافي: ج ٤، ص ٢٢٧، ح ٢، باب: «ومن دخله كان آمناً».

٥ - الكافي: ج ٤، ص ٢٤١، ح ١، باب فيمن رأى غريمه في الحرم.

٦ - الكافي: ج ٤، ص ٢٥٨، ح ٢٦، باب فيمن رأى غريمه في الحرم.

٧ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٤٧، ح ١٠٠/٦٥٠، باب ٦٢ - فضائل الحج.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام يعني به الحج والعمرة جميعاً لأنها مفروضان^(١).

﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ العياشي: عن الصادق عليه السلام: أنه سئل عن هذه الآية فقال: الصحة في بدنه، والقدرة في ماله^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عنه عليه السلام أنه سئل ما السبيل؟ قال: أن يكون له ما يحج به، قال: قلت: من عرض عليه ما يحج به فاستحى من ذلك أهو ممن يستطيع إليه سبيلاً؟ قال: نعم ما شأنه يستحى، ولو يحج على حمار أجدع أتر^(٤) فإن كان يطيق أن يمشي بعضاً ويركب بعضاً فليحج^(٥).

وفي رواية: يخرج ويمشي إن لم يكن عنده، قلت: لا يقدر على المشي، قال: يمشي ويركب، قلت: لا يقدر على ذلك، قال: يخدم القوم ويخرج معهم^(٦).

وفي رواية: أنه عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال: من كان صحيحاً في بدنه، مخلى سربه^(٧)، وله زاد وراحلة، فهو ممن يستطيع الحج، أو قال: ممن كان له مال^(٨).

وفي رواية: أنه عليه السلام سئل عن هذه الآية؟ فقال: ما يقول الناس؟ فقيل: الزاد والراحلة، فقال: قد سئل أبو جعفر عليه السلام عن هذا؟ فقال: هلك الناس إذاً لئن كان من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت به عياله ويستغني به عن الناس ينطلق إليهم فيسألهم إياه لقد هلكوا، فقيل له: وما السبيل؟ قال: فقال: السعة في المال إذا كان يحج ببعض ويبقى بعضاً يقوت به عياله، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلا على من يملك مائتي درهم^(٩).

١- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، ح ١، باب فرض الحج والعمرة.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٣، ح ١١٧. ٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ١، باب استطاعة الحج.

٤- الأجدع - بالمهملتين بعد الجيم -: مقطوع اللذانين. والأتر: مقطوع الذنب. منه حديث.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٣، ح ١١٤.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٣، ح ١١٦. ٧- السرب: الطريق. منه حديث.

٨- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٧، ح ٢، باب استطاعة الحج.

٩- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٧، ح ٣، باب استطاعة الحج.

أقول: معنى الحديث لئن كان من كان له قدر ما يقوت به عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد والراحلة، ثم ينطلق إلى الناس يسألهم قوت عياله هلك الناس إذاً. وينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في جهات الإستطاعة، ودرجات التوكل، ومراتب القوة والضعف، «بل الانسان على نفسه بصيرة»^(١).

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: قيل: وضع كفر موضع من لم يحج تأكيداً لوجوبه وتغليظاً على تاركة^(٢).

وفي الفقيه في وصية النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ تارك الحجّ وهو مستطيع كافر، قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» يا علي من سوف الحجّ حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام من مات ولم يحجّ حجة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف^(٥) به، أو مرض لا يطيق فيه الحجّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً، أو نصرانياً^(٦).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام في قوله تعالى: «ومن كفر» قال: يعني من ترك^(٧).

وعن الكاظم عليه السلام وقد سأله أخوه عليّ: من لم يحجّ ممّا فقد كفر؟ قال: لا، ولكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر^(٨).

١ - القيامة: ١٤.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٣، س ١٨.

٣ - من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٦٦، ح ٨٢١ / ١، باب ١٧٦ - النوادر.

٤ - الكافي: ج ٤، ص ٢٦٨، ح ١، باب من سوف الحجّ وهو مستطيع.

٥ - تجحف - بتقديم الجيم: أي تفقره أو تدنو منه أو تقاربه. منه يَجُحِفُّ.

٦ - تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٧، ح ٤٩ / ٢، باب ٢ - كيفية لزوم فرض الحج من الزمان.

٧ - تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٨، ح ٥٢ / ٤، باب ٢ - كيفية لزوم فرض الحج من الزمان.

٨ - الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٦، ح ٥، باب فرض الحجّ والعمرة.

قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾

أقول: وذلك لأنّ الكفر يرجع إلى الاعتقاد دون العمل، فقلوه تعالى: «ومن كفر» أي ومن لم يعتقد فرضه أو لم يبال بتركه فإنّ عدم المبالاة يرجع إلى عدم الاعتقاد. والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: هو كفر ^(١) النعم ^(٢)، وقال: يعني من ترك ^(٣). وروى أنّه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أرباب الملل فخطبهم، وقال: إنّ الله كتب عليكم الحجّ فحجّوا، فأمنت به ملّة واحدة، وكفرت خمس ملل، فنزلت: «وَمَنْ كَفَرَ» ^(٤). قيل: وقد أكّد أمر الحجّ في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في صورة الإسميّة وإيراده على وجه يفيد أنّه حقّ واجب لله تعالى في رقاب الناس، وتعميم الحكم أولاً وتخصيصه فأنّه كما يوضح بعد إيهام، وتثنية وتكرير للمراد، وتسميّة ترك الحجّ كفراً، من حيث أنّه فعل الكفرة، وذكر الاستغناء في هذا الموضع ممّا يدلّ على المقت والخذلان، وقوله: «عن العالمين» يدلّ عنه لما فيه من مبالغة التعميم، والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان، والإشعار بعظم السخط لأنّه تكليف شاقّ جامع بين كسر النفس، واتعاب البدن، وصرف المال، والتجرّد عن الشهوات، والإقبال على الله تعالى ^(٥).

﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي بآياته السمعيّة، والعقليّة الدالّة على صدق محمد صلى الله عليه وآله فيما يدّعيه من وجوب الحجّ وغيره، وتخصيص أهل الكتاب

١- لأنّ امتثال أمر الله شكر لنعمته، وترك المأمور به كفر لنعمته.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٣، ح ١١٥. ٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٢، ح ١١٢.

٤- تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٦٢، والكشاف: ج ١، ص ٣٩١، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٣.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٣.

قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ
تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح، وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بها.

﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والإسمرار^(١).

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ﴾: كرّر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقرّيع ونفي العذر لهم، وإشعاراً بأن كلّ واحد من الأمرين مستقبح في نفسه، مستقلّ باستجلاب العذاب.

وسبيل الله: دينه الحقّ المأمور بسلوكه، وهو: الاسلام.

قيل: كانوا يفتنون المؤمنين ويحرّشون^(٢) بينهم حتّى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهليّة من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدّهم عنه^(٣).

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: طالبيها لها إعوجاجاً بأن تلبسوا على الناس وتوهّموا أن فيه عوجاً عن الحقّ بمنع النسخ، وتغيير صفة رسول الله ﷺ ونحوهما أو بأن يحرّشوا بين المؤمنين لتختلف كلماتهم، ويختل أمر دينهم.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أنّها سبيل الله تعالى، والصدّ عنها: ضلال وإضلال، أو أنّتم عدول عند أهل ملّتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا.

١- استسروا: استتروا: القاموس المحيط: ج ٢، ص ٤٧.

٢- التحريش: الإغراء بين القوم والكلاب، وتهيج بعضها على بعض. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٣٣، مائة

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٤، س ٦. «حرش».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠٠﴾

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وعيد لهم، ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله: «والله شهيد» ولما كان في هذه الآية صدقهم المؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال الله: «وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ﴾: قيل: نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فرَّ بهم شاس بن قيس اليهودي فغاضه تألفهم وإجتاعهم، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعث^(١) وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال: أتدعون الجاهليَّة وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم، الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهليَّة، وآلف بينكم؟ فعملوا أنها نزغة^(٢) من الشيطان وكيد من عدوهم، فآلقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع الرسول ﷺ، وأنما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول ﷺ، بأن يخاطب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم، وإشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله تعالى ويكلّمهم^(٣).

١ - بعث - بالعين المهملة -: وهو موضع بالمدينة، منه ﷺ، وقال الفيومي: بُعث - كغراب -: موضع بالمدينة وتأتيه أكثر ويومه معروف، أي من أيام الأوس والخزرج، بين المبعث والهجرة، وكان الظفر للأوس. المصباح المنير: ص ٥٢، وذكر الفيروزآبادي: بعث - بالعين وبالفين كغراب -: موضع بقرب المدينة ويومه معروف. القاموس المحيط: ج ١، ص ١٦٢، مادة «بعث».

٢ - النزغ شبيه النخس، وكان الشيطان ينخس الإنسان: أي يحركه ويبعثه على بعض المعاصي، ولا يكون النزغ إلّا في الشر. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٧. ٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٤.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾: انكار
وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر.
﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ﴾: ومن يستمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره.
﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: فقد اهتدى لا محالة.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾: حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم.
وفي المعاني^(١)، والعيّاشي: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية؟ قال: يطاع ولا يعصى،
ويذكر فلا ينسى، ويشكر ولا يكفر^(٢).
والعيّاشي: عنه عليه السلام أنه سئل عنها فقال: منسوخة، قيل: وما نسخها؟ قال: قول الله
عز وجل: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(٣) (٤).
﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: ولا تكوننّ على حال سوى حال الإسلام إذا
أدرّكم الموت.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام: وانتم مسلمون بالتشديد، ومعناه مستسلمون لما أتى

١- معاني الأخبار: ص ٢٤٠، ح ١، باب معنى اتقاء الله حقّ تقاته.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٤، ح ١٢٠. ٣- التباين: ١٦.

٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٤، ح ١٢١.

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

النبي ﷺ به منقادون له (١).

والعياشي: عن الكاظم عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: كيف تقرأ هذه الآية «يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَوَتَّنِ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ماذا؟ قال (٢): مسلمون. فقال:
سبحان الله يوقع عليهم الإيمان فيسميهم مؤمنين، ثم يسألهم الإسلام! والإيمان فوق الإسلام؟
قال (٣): هكذا يقرأ في قراءة زيد، قال: إنما هي في قراءة علي صلوات الله عليه وهو التنزيل
الذي نزل به جبرئيل على محمد ﷺ «إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ثم الإمام من
بعده» (٤).

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: قيل: بدينه الإسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة
والسلام: «القرآن حبل الله المتين» (٥) إستعار له الحبل، والموثوق به الإعتصام من حيث أن
التمسك به سبب النجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل الموثوق به سبب السلامة عن
التردي (٦).

١ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٨٢.

٢ - أي ذلك البعض من الأصحاب.

٣ - أي ذلك البعض من الأصحاب.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤، ح ١١٩.

٥ - تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٦٦، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٥.

٦ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٥، س ٥.

والقَمِّي: الحبل: التوحيد، والولاية^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: آل محمد صلوات الله عليهم: هم حبل الله المتين الذي أمر بالإعتصام به، فقال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»^(٢).

وعن الكاظم عليه السلام: علي بن أبي طالب عليه السلام: حبل الله المتين^(٣).

وفي الأمالي: عن الصادق عليه السلام: نحن الحبل^(٤).

وفي المعاني: عن السجاد عليه السلام قال: الإمام من لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوباً، ف قيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله: هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^{(٥)(٦)}.

أقول: ومآل الكل واحد، يفسره قول النبي صلى الله عليه وآله: «حبلين ممدودين طرف منهما بيد الله، وطرف بأيديكم وانهما لن يفرقا»^(٧).

﴿جَمِيعاً﴾: مجتمعين عليه.

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: ولا تفرقوا عن الحق بإيقاع الاختلاف بينكم.

والقَمِّي: عن الباقر عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبئهم ويختلفون فنهاهم عن التفرق، كما نهى من كان قبلهم فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد صلوات الله عليهم ولا يفرقوا^(٨).

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾: في الجاهلية متقاتلين.

١- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠٨. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٤، ح ١٢٣.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٤، ح ١٢٢.

٤- الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٢٧٢، ح ٥١٠ / ٤٨، المجلس العاشر.

٥- الإسراء: ٩.

٦- معاني الأخبار: ص ١٣٢، ح ١، باب معنى عصمة الإمام.

٧- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٨٢. ٨- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠٨.

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: بالإسلام.

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: متحابين مجتمعين على الأخوة في الله تعالى.

وقيل: كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوق بين أولادهما العداوة، وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفاها الله تعالى بالإسلام وألف بينهم برسوله ^(١).

﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتهم في النار.

﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هكذا والله أنزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله ^(٢).

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إرادة ثباتكم على الهدى وإزديادكم

فيه.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ﴾: بعضكم

﴿أُمَّةٌ﴾: في المجمع قرأ الصادق عليه السلام أُمَّة ^(٣).

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: في الكافي:

عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: لا، فقليل له؛ ولم؟ قال: إنما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٨٢- ٤٨٣ وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٦٦، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٥.

٢- الكافي: ج ٨، ص ١٥٩، ح ٢٠٨. ٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٨٤.

الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أي من أي، يقول إلى الحق من الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» فهذا خاص غير عام كما قال الله تعالى: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون»^(١) ولم يقل: على «أمة موسى» ولا على كل قوم وهم يومئذ أمة مختلفة، والأمة واحد، فصاعداً كما قال الله سبحانه: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ»^(٢) يقول: مطيعاً لله وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة^(٣).

وسئل عليه السلام عن الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر ما معناه؟ قال: هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه، والآ فلا^(٤). وعنه عليه السلام: إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم، فأما صاحب سوط أو سيف فلا^(٥).

والقمي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: فهذه لآل محمد صلوات الله عليهم، ومن تابعهم يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر^(٦). وفي نهج البلاغة قال علي عليه السلام: «وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي»^(٧).

وقال عليه السلام: لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والتاهين عن المنكر العاملين به^(٨). ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: المخصوصون بكمال الفلاح الأحقَاء به.

١- الأعراف: ١٥٩. ٢- النحل: ١٢٠.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٥٩، ح ١٦، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- الكافي: ج ٥، ص ٦٠، ذيل ح ١٦، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- الكافي: ج ٥، ص ٦٠، ح ٢، باب انكار المنكر بالقلب.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٩.

٧- نهج البلاغة: ص ١٥٢ ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات الرسول.

٨- نهج البلاغة: ص ١٨٨، ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازن.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: خلقان من خلق الله تعالى، فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلها خذله الله ^(١).

وفي التهذيب: عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء ^(٢).

وفيها ^(٣) عن الباقر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يتّبع فيهم قوم مراؤون ^(٤) يتقرّأون ^(٥) ويتنسّكون، حدثاء ^(٦) سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص ^(٧) والمعاذير، يتّبعون زلّات العلماء وفساد علمهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم ^(٨) في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها.

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عليهم ويعمّهم ببقائه فيهلك الأبرار في دار الفجّار، والصغار في دار الكبار. إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة

١- الكافي: ج ٥، ص ٥٩، ح ١١، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨١، ح ٣٧٣، باب ٨٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٥٥- ٥٦، ح ١، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- المروءة: الإنسانية، ولك أن تشدد. ومزوّ الرجل: صار ذا مروءة الصحاح: ج ١، ص ٧٢.

٥- تقرأ: تعبد، وتنسك من النسك مثلثة وبضمتين: العبادة وكل حق لله عزوجل. منه صلى الله عليه وآله. وتقرأ: تنسك، ويقال قرأت أي صرت قارئاً ناسكاً. لسان العرب: ج ١١، ص ٧٩.

٦- حدثاء: جمع حديث، كسفهاء جمع سفيه، أي جدد، وكأنّ المراد ان طريقتهم حادثة مستحدثة ليست طريقة قديماً أصحابهم أو سببهم سبب ما كان حدث السن لا سبب الكهول. منه صلى الله عليه وآله.

٧- الرخصة في الأمر: خلاف التشديد فيه، وقد رخص له في كذا ترخيصاً، فترخص هو فيه، أي لم يستقص. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٤١.

٨- ولا يكلمهم: أي لا يجرحهم من الكلم. وهو الجراحة فلا يضرهم في أنفسهم ولا في أموالهم. منه صلى الله عليه وآله.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمُر الأرض، ويتنصف من الأعداء، ويستقيم الأمر، فانكروا بقلوبكم وألفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتّعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(١) هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً، ولا باغين مالاً، ولا مريدين بالظلم ظفرًا^(٢)، حتّى يفيؤوا إلى أمر الله، ويمضوا على طاعته.

قال أبو جعفر عليه السلام وأوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم.
فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه أنهم داهنوا أهل المعاصي، ولم يفضبوا الغضبي^(٣).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾: كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد، والتنزيه، وأحوال الآخرة.
﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الآيات والحجج المبيّنة للحقّ الموجبة للإتفاق عليه.

١- الشورى: ٤٢.

٢- يعني غير متوصلين إلى الظفر عليهم بالظلم بل بالعدل. منه ﴿فَرَّقُوا﴾.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨٠-١٨١، ح ٢١/٣٧٢، باب ٨٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وعيد للذين تفرقوا، وتهديد على التشبه بهم.
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: كنايةان عن ظهور بهجة السرور، وكآبة
الخوف فيه، وقيل: يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة، وإشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه، وأهل الباطل بأضداد ذلك^(١).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: على ارادة القول، أي
فيقال لهم: أكفرتم؟ والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم.
في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: هم أهل البدع والأهواء والآراء الباطلة من هذه
الأمّة^(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: والذي نفسي بيده ليردنّ عليّ الحوض ممّن صحبني أقوام حتّى إذا
رأيتهم اختلجوا دوني فلا قولنّ أصحابي أصحابي فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك
إنهم ارتدّوا على أعقابهم القهقري^(٣)، ذكره الثعلبي في تفسيره^(٤).
﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: أمر إهانة.
﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: بسبب كفركم.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٨٥

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٧٦.

٣- أي اجتذبوا واقتطعوا. منه صلى الله عليه وآله.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٤٨٥، نقلاً عن تفسير الثعلبي.

وَأَمَّا الَّذِينَ آيِضْتُ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آيِضْتُ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: يعني الجنة والثواب المخلّد، عبّر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله.

وقيل: كان حقّ الترتيب أن يقدّم ذكرهم ولكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (١).

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقال: هم فيها خالدون.

والقمتي: عن أبي ذر قال: لما نزلت هذه الآية «يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهُ وَتَسْوَدُّ وَجُوهُ» قال رسول الله ﷺ: يرد عليّ أمّتي يوم القيامة على خمس رآيات: فراية مع عجل هذه الأمة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرقناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعادينا، وأبغضناه، وظلمناه، فأقول: ردّوا النار ظمأً مظمين مسوّدّة وجوهكم، ثمّ يرد عليّ راية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فحرقناه ومزقناه وخالفناه، وأمّا الأصغر: فعادينا، وقتلناه، فأقول ردّوا النار ظمأً مظمين مسوّدّة وجوهكم، ثمّ يرد عليّ راية مع سامري هذه الأمة، فأقول: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر: فعصيناه وتركناه، وأمّا الأصغر: فخذلناه وضيّعناه، فأقول: ردّوا النار ظمأً مظمين مسوّدّة وجوهكم، ثمّ يرد عليّ راية ذي الشدية مع أول الخوارج وآخرهم فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر: فزقناه وبرئنا

تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى
 اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
 تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ
 ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
 الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

منه، وأما الأصغر: فقاتلناه، وقتلناه، فأقول: ردوا النار ظمأً مظمئين مسودةً وجوهكم، ثم
 يرد عليّ راية إمام المتقين، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، ووصيّ رسول ربّ العالمين،
 فأقول لهم: ماذا فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أما الأكبر: فاتبعناه وأطعناه، وأما
 الأصغر: فأحببناه وواليناه، ونصرناه، حتّى أهرىقت به دماؤنا، فأقول: ردوا الجنة رواء
 مرويين مبيضةً وجوهكم ثم تلا رسول الله ﷺ: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ» إلى قوله: «خَالِدُونَ»^(١).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾: الواردة في وعده ووعيده.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: متلبسة بالحق لا شبهة فيها.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾: إذ يستحيل الظلم منه، إذ فاعل الظلم: إما

جاهل بقبحه، أو محتاج إلى فعله، وتعالى الله عن الجهل والحاجة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً ومُلكاً وخلقاً.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيجازي كلّ بما وعده وأوعده.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: الكون فيها يعمّ الأزمنة غير متخصّص بالماضي كقوله تعالى:

«وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا»^(١).

﴿أُخْرِجَتْ﴾: أظهرت.

﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: استيناف بين به كونهم خير أمة أو خير ثان لـ «كنتم».

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: يتضمّن الايمان بكلّ ما يجب أن يؤمن به، لأنّ الايمان به إنّما يحقّ ويعتدّ به إذا حصل الايمان بكلّ ما أمر أن يؤمن به، وإنّما آخره وحقه أن يقدم لأنّه قصد بذكره الدلالة على أنّهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر إيماناً باللّهِ وتصديقاً به وإظهاراً لدينه. القمّي: عن الصادق عليه السلام: إنّهُ قرئ عليه كنتم خير أمة. فقال: خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهم؟ فقال: القاري جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال: نزلت كنتم خير أمة أخرجت للناس، ألا ترى مدح الله لهم؟ «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام قال: في قراءة علي عليه السلام «كنتم خير أمة أخرجت للناس» قال: هم آل محمد^(٣).

وعنه عليه السلام: إنّما نزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله فيه وفي الأوصياء خاصّة فقال: «أنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» هكذا واللّه نزل بها جبرئيل، وما عني بها إلّا محمداً صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليه السلام^(٤).

وعنه عليه السلام: في هذه الآية قال: يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم فهم الأمة التي بعث الله فيها ومنها وإليها، وهم الأمة الوسطى، وهم «خير أمة أخرجت للناس»^(٥).

وفي المناقب: عن الباقر عليه السلام: أنتم خير أمة بالألف نزل بها جبرئيل، وما عني بها إلّا محمداً صلى الله عليه وآله وعليّاً والأوصياء من ولده عليه السلام^(٦).

١- النساء: ٩٦. ٢- تفسير القمّي: ج ١، ص ١١٠.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٥، ح ١٢٨. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٥، ح ١٢٩.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٥، ح ١٣٠. ٦- مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٢.

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾: كعبد الله بن سلام، وأصحابه.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: المتمردون في الكفر.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾: ضرراً يسيراً كطعن وتهديد.

﴿وَإِنْ يُقْتَلُوا يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾: ينهزموا ولا يضربوكم بقتل وأسر.

﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾: ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم، وكان الأمر كذلك.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ﴾: فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله، والذلة: هدر النفس والمال والأهل، أو ذلة التمسك بالباطل والحزبية.

﴿أَيْنَ مَا ثَقِفُوا﴾: وجدوا.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: الحبل

من الله: كتاب الله، والحبل من الناس: علي بن أبي طالب صلوات الله عليه^(١).

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ
 ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

﴿وَبَاءٌ وَبَغَضٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا به مستوجبين له
 ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: في الكافي (١)،
 والعياشي: عن الصادق عليه السلام: واللّه ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيا فهم، ولكنهم سمعوا
 أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومعصية (٢).
 قيل: التقييد: «بغير حق» مع أنّه كذلك في نفس الأمر للدلالة على أنّه لم يكن حقاً
 بحسب اعتقادهم أيضاً (٣).

﴿لَيْسُوا﴾: يعني أهل الكتاب.

﴿سَوَاءً﴾: في دينهم.

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: على الحقّ وهم الذين أسلموا منهم.
 ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يعني يتلونّها في تهجدهم.
 ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: وصفهم بصفات ليست في اليهود فإنّهم منحرفون عن الحقّ

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، ح ٦، باب الإذاعة.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٦، ح ١٣٢. وفيه: «ولكن سمعوا أحاديثهم وأسرارهم».

٣- قاله العمادي في تفسيره أبي السعود: ج ٢، ص ٧٢.

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا
 يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ
 حَرَّتِ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ
 أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

غير متعبدین باللَّیل، مشرکون باللَّه ملحدون فی صفاته، واصفون الیوم الآخر بخلاف صفته
 مداهنون فی الإحتساب متباطئون عن الخیرات.

﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ: فلن
 یضیع ولا ینقص ثوابه، وقرئ بالباء فیها، سَمِیَ ذلك کفراناً کما سَمِیَ توفیة الثواب شکرًا.

فی العلل: عن الصادق عليه السلام: إِنْ المؤمن مکفرٌ، وذلك إِنْ معروفه یصعد إلی الله فلا ینتشر
 فی الناس، والکافر مشکور، وذلك إِنْ معروفه للناس ینتشر فی الناس ولا یصعد إلی السماء ^(١).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: بشارة لهم وإشعار بأن التقوی مبدأ الخیر وحسن العمل.
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
 وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ: برد شدید.

﴿أَصَابَتْ حَرَّتِ قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالکفر والمعصیة.

﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾: عقوبة لهم شبّه ما أنفقوا فی ضیاعه بحرث کفار ضربته برد شدید من

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ
خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَآأُنْتُمْ أَوَّلَاءِ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِّنَ
الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

سخط الله فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾: أي المنفقين بضياح نفقاتهم. ٥

﴿وَلَكِن أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾: وليجة^(١) وهو الذي يعرفه الرجل

أسراره ثقة به، شبهه ببطانة الثوب كما يشبهه بالشعار.

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون المسلمين.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يقصرون لكم في الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي من كلامهم لأنهم لا يتألمون أنفسهم

لفرط بغضهم.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: مما بدا.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * هَآأُنْتُمْ أَوَّلَاءِ: الخاطئون في

١ - الوليجة: كل شيء أدخلته في شيء أو ليس منه، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم.

ووليجة الرجل: بطانته ودخلاؤه وخاصته وما يتخذها معتمداً عليه. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٣٥ مادة «ولج».

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧٠﴾

موالاة الكفار.

﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ﴾: مجنس الكتاب.

﴿كُلِّهِ﴾: كتابكم وكتائبهم وغيرهما، والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتائبهم أيضاً، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتائبكم، وفيه: توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم.

﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾: نفاقاً وتعزيراً.

﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأُتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾: تأسفاً وتحسراً حيث رأوا إئتلافكم، واجتماع كلمتكم ولم يجدوا إلى التشتي سبيلاً.

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بدوام الغيظ إلى أن يموتوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: من خير أو شر فيعلم غيظهم وحنقهم وأخفى مما يخفونه، وهو إما من جملة المقول أو مستأنف.

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾: نعمة من ألفة، أو ظفر على الأعداء.

﴿تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: محنة من فرقة، أو إصابة عدو منكم.

﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾: بيان لتناهي عداوتهم.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾: على عداوتهم.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: موالاتهم ومخالطتهم.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾: لما وعد الله الصابرين والمتقين من الحفظ، وقرئ

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

بكسر الضاد وجزم الراء.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ * وَإِذْ غَدَوْتَ: واذكر إذ غدوت.
﴿مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: تهبيء لهم.
﴿مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواقف وأماكن له.
﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم.
﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: سبب نزول هذه الآية إن قريشاً خرجت من مكة تريد حرب رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ يبتغي موضعاً للقتال (١).
وفي المجمع: عن القمّي، عنه عليه السلام قال: سبب غزوة أحد إن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ولأنهم قتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا نسائكم يبيكين على قتلاكم فإنّ الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والعداوة لمحمد ﷺ فلما غزوا رسول الله ﷺ يوم أحد أذنوا للنسائهم بالبكاء والنوح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، وأخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه وحثهم على الجهاد، فقال عبد الله بن أبي: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أردنا قوم قطّ فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا على عدوّ لنا قطّ إلا كان لهم الظفر علينا، فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس، فقال: يا رسول

الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا وأنت فينا؟ لا حتى نخرج إليهم ونقاتلهم، فمن قتل منا كان شهيداً ومن نجا منا كان مجاهداً في سبيل الله، فقبل رسول الله ﷺ رأيته وخرج مع نفر من أصحابه يتبوؤون موضع القتال كما قال سبحانه: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ» الآية وقعد عنه عبدالله بن أبي وجاعة من الخزرج اتبعوا رأيته، ووافت قريش إلى أحد وكان رسول الله ﷺ عباً^(١) أصحابه، وكانوا سبعائة رجل، فوضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب^(٢) وأشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان فقال رسول الله ﷺ لعبدالله بن جبير وأصحابه: إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وإلزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم، وعباً رسول الله ﷺ أصحابه ودفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهمزوا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم، وانخط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع، ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ﷺ يذهبون سواد القوم فقالوا لعبدالله بن جبير: قد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإن رسول الله ﷺ قد تقدم إلينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه وأقبلوا ينسل^(٣) رجل فرجل حتى أدخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً، وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدى من بني عبد الدار، فقتله علي عليه السلام فأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله حتى قتل تسعة من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم إلى

١ - عباً الجيش - كمنع - وبالتشديد: جهرة. منه يَنْزِعُ.

٢ - الشعب - بالكسر -: الطريق في الجبل، ومسيل الماء في بطن أرض، وما انفرج بين الجبلين. القاموس المحيط:

ج ١، ص ٨٨، مادة «شعب».

٣ - يَنْسِلُ - بتشديد اللام - أي ينطلق في إستخفاء. منه يَنْزِعُ.

عبد لهم أسود يقال له صَوَّاب فاتتهى إليه عليّ ففقطعه يده فأخذ الراية باليسرى فضرب يسراه ففقطعها فاعتنقها بالجذماوين^(١) إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال: هل أعذرت في بني عبد الدار؟ فضربه عليّ عليه السلام على رأسه فقتله، فسقط اللّواء فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها وانحطّ^(٢) خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب، ثم أتى المسلمين من أديارهم، ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم أصحاب رسول الله ﷺ هزيمة عظيمة وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه، فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، وقال: إليّ أنا رسول الله إليّ أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ قال: وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر وكلّما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلةً وقالت: أنما أنت امرأة فاكثحل بهذا، وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد.

وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً ﷺ أو عليّاً أو حمزة صلوات الله عليهما لأعطيتك^(٣) كذا وكذا وكان وحشي عبد الجبير بن مطعم حبشياً، فقال: وحشي أمّا محمد ﷺ فلا أقدر عليه، وأمّا عليّ فرأيت أنه حذراً كثير الالتفات فلا مطعم فيه، فكمن لحمزة، قال الوحشي: فرأيت أنه يهذّ الناس هذا^(٤) فرّ بي فوطئ على جرف نهر فسقط فأخذت حربتي فهزرتها ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنته^(٥) فسقط فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده وجئت

١- الجذم - بالفتح - القطع، وجذمت إليه جذماً: قطعت، المصباح المنير: ص ٩٤.

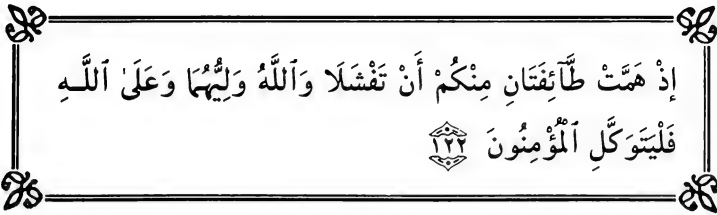
والمراد هنا: ضمّ العبد الراية إلى صدره بيديه المقطوعتين. وفي هامش المخطوط: الجذماوان - بالجيم والذال المعجمة -: اليدان المقطوعتان، وفي بعض النسخ فسقطت الراية فاحتفظها بيديه المقطوعتين، منه ﷺ.

٢- حططت الرجل وغيره حطاً من باب قتل: أنزلته من علو إلى أسفل، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٢.

٣- وفي نسخة: [لأعطيتك] كما في المصدر.

٤- الهذ بالذال المعجمة المشددة: سرعة القطع. مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٩٢، مادة «هذ».

٥- الثنت بالضم: العانة.



به إلى هند فقلت: هذه كبد حمزة فأخذتها في فيها فلاكتها^(١) فجعلها الله في فيها مثل الداغصة وهي: عظم رأس الركبة فلفظتها ورمت بها، قال رسول الله: فبعث الله ملكاً فحملة وردّه إلى موضعه قال: فجاءت إليه فقطعت مذاكيره، وقطعت أذنيه، وقطعت يده ورجله، ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سمّك بن خرشة، وعليّ عليه السلام فكلما حملت طائفة على رسول الله ﷺ استقبلهم عليّ عليه السلام فدفعهم عنه حتى انقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار وانحاز^(٢) رسول الله ﷺ إلى ناحية أحد فوقف، وكان القتال من وجه واحد، فلم يزل عليّ يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة، قال: فقال جبرئيل: إنّ هذه هي المواساة يا محمد، فقال له: إنّني متيّ وأنا منه، قال الصادق عليه السلام: نظر رسول الله إلى جبرئيل بين السماء والأرض على كرسيّ من ذهب وهو يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ^(٣).

وروي أنّ سبب إنهمزاهم نداء إبليس فيهم أنّ محمداً ﷺ قد قتل، وكان النبي ﷺ حينئذ في زحام الناس وكانوا لا يرونه^(٤).

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾: القمّي: يعني عبد الله بن أبي وأصحابه وقومه^(٥).

١ - فلاكتها: أي مضغتها وأدارتها في الفم، منه يَفْشَلُ، وقال الطريحي: اللقمة يلوكها لوكاً من باب قال: مضغها.

واللوك: إدارة الشيء في الفم. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٨٧.

٢ - وانحاز عنه: عدل. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧، مادة «حيز».

٣ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٩٥ - ٤٩٧.

٤ - اعلام الوری: ص ٨١. وراجع بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٦، و٦٣ و٩٤ و٩٥ و١١٦. والمناقب لابن

٥ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١١٠.

شهر آشوب: ج ٣، ص ١٢٣.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام هما بنو سلمة، وبنو حارثة، حيّان من الأنصار^(١).
وقيل: هما بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر^(٢).
﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾: ان تجبنا وتضعفا.
﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهِنَّ﴾: ناصرهما.
﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليعتمدوا عليه في الكفاية.
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: تذكير ببعض ما أفادهم التوكل.
وبدر: ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرًا فسمي به.
﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: القمّي^(٣)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: وما كانوا أذلة وفيهم رسول
الله، وإنما نزل وأنتم ضعفاء^(٤).
والعيّاشي: عنه عليه السلام: وقد قرأ عنده أبو بصير الآية فقال: مه ليس هكذا أنزلها الله إنما
أنزلت «وأنتم قليل»^(٥).
وفي رواية: ما أذل الله رسوله قطّ وإنما أنزلت «وأنتم قليل»^(٦).
وفي غير واحد من الأخبار المعصومية ان عدّتهم كانت ثلاث مائة، وثلاثة عشر^(٧).

١- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٤٩٥.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٠.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٢٢. ٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٦، ح ١٣٥.

٥- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٦، ح ١٣٣. ٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٦، ح ١٣٤.

٧- انظر إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٥٤، ح ٢١ وص ٦٧١-٦٧٣، ح ٢٢ و ٢٥. والتبيان في تفسير

القرآن: ج ٢، ص ٥٧٨.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ
 ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
 وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُدْعَكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
 وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في الثبات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ما أنعم به عليكم.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَفٍ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾: وقرئ مشددة الزاي.

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾: أي المشركون.

﴿مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾: من ساعتهم هذه.

﴿يُدْعِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾: في حال إتيانهم بلا تراخ.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين من التسويم بمعنى إظهار سياء الشيء، وقرئ بكسر الواو.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام كانت على الملائكة العائم البيض المرسله يوم بدر^(١).

وعنه عليه السلام: إن الملائكة الذين نصروا محمداً صلى الله عليه وآله يوم بدر ما سعدوا بعد ولا يصعدون

حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف^(٢).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾: وما جعل إمدادكم من الملائكة.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا
خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ
يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾: إلا بشارة لكم بالنصر.
﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾: ولتسكن إليه من الخوف.
﴿وَمَا أَلْتَصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: لا من العدة والعدة، وفيه تنبيه على أنه لا حاجة
إلى مدد وإنما أمدهم ووعد لهم بشارة لهم، وربطاً على قلوبهم من حيث إن نظر العامة إلى
الأسباب أكثر، وحتاً على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم.
﴿الْعَزِيزِ﴾: الذي لا يغالب في أقضيته.
﴿الْحَكِيمِ﴾: الذي ينصر ويخذل على مقتضى الحكمة والمصلحة.
﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نصركم لينتقص منهم بقتل بعض وأسر بعض
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم، كما مرّت الإشارة إليه، ويأتي
تمام القصة في سورة الأنفال إن شاء الله.
﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يخزيهم، والكبت: شدة غيظ أو وهن يقع في القلب، و «أو»
للتنوين.

﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: فينهمزوا منقطعي الآمال.
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: اعتراض.
﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: إن أسلموا وقرئ «أن يتوب عليهم».
﴿أَوْ يُعَذِّبُهُمْ﴾: بالتاء فيها وعنه عنه انه قرأ «أو يعذبهم»^(١) إن أصروا.

﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: قد استحقّوا التعذيب^(١) بظلمهم.

العيّاشي عن الباقر عليه السلام: أنّه قرأ أن تتوب عليهم أو تعذبهم بالتاء فيها^(٢).

وعنه عليه السلام: إنّهُ قرئ عنده «ليس لك من الأمر شيء» قال: بلى والله إنّ له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً، وليس حيث ذهب، ولكنّي أخبرك أنّ الله تعالى لما أخبر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يظهر ولاية عليّ ففكر في عداوة قومه له فيما فضّله الله به عليهم في جميع خصاله وحسدهم له عليها ضاق عن ذلك فأخبر الله أنّه ليس له من هذا الأمر شيء إنّما الأمر فيه إلى الله أن يصير عليّاً عليه السلام وصيّهُ ووليّ الأمر بعده، وهذا عنى الله وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال وما حرّم فهو حرام قوله: «ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا»^(٣) (٤).

وعنه عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً على أن يكون عليّ عليه السلام من بعده على الناس، وكان عند الله خلاف ما أراد فقال له: ليس لك من الأمر شيء يا محمد في عليّ، الأمر إليّ في عليّ وفي غيره، ألم أنزل عليك يا محمد فيما أنزلت من كتابي إليك: «ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^(٥) الآيات؟ قال: فقوّض رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر إليه^(٦). أقول: معنى قوله عليه السلام: «أن يكون عليّ من بعده على الناس» أن يكون خليفة له عليهم في الظاهر أيضاً من غير دافع له.

وعنه عليه السلام: انه قرأ ليس لك من الأمر شيء أن يتب عليهم أو يعذبهم^(٧).

وروت العامة أنّ عتبة بن أبي وقّاص شجّه صلى الله عليه وآله يوم أحد، وكسر رباعيته فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيّهم بالدم؟» فنزلت^(٨) وأعلّمت أنّ كثيراً منهم سيّئون.

١- وفي نسخة: [قد استحقّوا العذاب]. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤١.

٣- الحشر: ٧. ٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٧، ح ١٣٩.

٥- العنكبوت: ١ و ٢. ٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٧-١٩٨، ح ١٤٠.

٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤١. ٨- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨١.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَرَأْتُمْ لِلَّهِ تَقْوًا
تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً فله الأمر كله.
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: في المجمع، قيل: إنما
أهم الله الأمر بالتعذيب والمغفرة ليقف المكلف بين الخوف والرجاء، ويلتفت إلى هذا قول
الصادق عليه السلام: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا^(١).

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَرَأْتُمْ لِلَّهِ تَقْوًا﴾: قيل: كان
الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه إلى آخر حتى يستغرق بقليله مال المديون^(٢).
وقرئ مضعفة بتشديد العين^(٣).

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: فيها نهيته عنه.
﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: رجاء فلاحكم.
﴿وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: بالتجنب عن مثل أفعالهم.
﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: بطاعتها ولعلّ وعسى في أمثال

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٠٢، س ٥.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٢.

٣- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٢.

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾

ذلك دليل عزّة التوصل إليها.

﴿وَسَارِعُوا﴾: وبادروا، وقرئ «سارعوا» بلا واو.

﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: إلى أسباب المغفرة.

في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أداء الفرائض ^(١).

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام: إذا وضعوهما كذا وبسط يديه إحدهما مع الأخرى ^(٢).

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل: إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار؟ فقال: سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل ^(٣).

قال صاحب المجمع: هذه معارضة فيها اسقاط المسألة لأنّ القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النار حيث يشاء ^(٤).

أقول: والسّرّ فيه أن إحدى الدارين لكل إنسان إنما يكون مكان الأخرى بدلاً عنها كما في النهار والليل.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾: في الخصال: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: فإنكم لن تنالوها إلّا بالتقوى ^(٥).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٠٣.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤٢. ٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٠٤.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٠٤.

٥- الخصال: ص ٦٣٣، ح ١٠ باب أربعمئة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٣٤ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا
فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٣٥

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾: في حالتي الرخاء والشدة، يعني ينفقون في أحوالهم كلها ما تيسر لهم من قليل أو كثير.

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾: المسكين عليه الكافين عن امضائه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً^(١).

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: فيه: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله^(٢).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: في المجمع: روي إن جارية لعلي بن الحسين عليه السلام جعلت تسكب عليه الماء ليتيمأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها، فقالت له الجارية: إن الله تعالى يقول: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ» فقال لها: كظمت غيظي، قالت: «وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ»، قال: عفا الله عنك، قالت: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»، قال: إذهبي فأنت حرة لوجه الله^(٣).
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾: سيئة بالغة في القبح كالزنا.

١- الكافي: ج ٢، ص ١١، ح ٦، باب كظم الغيظ. ٢- الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، ح ٥، باب العفو.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٥٥.

أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٣﴾

﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بأن أذنبوا ذنباً أعظم من الزنا.

﴿ذَكِّرُوا اللَّهَ﴾: تذكروا وعيده أو حقه العظيم.

﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾: بالندم والتوبة.

﴿وَمَنْ يَعْفِرْ أَلْذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾: استغفام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين، والمراد

به وصفه تعالى بسعة الرحمة، وعموم المغفرة، والحث على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة.

﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾: ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين.

في الكافي^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: الإصرار أن يذنب الذنب

فلا يستغفر الله، ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: والله ما خرج عبد من ذنب بإصرار، وما خرج عبد

من ذنب إلا بالإقرار^(٣).

وعنه عليه السلام: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار^(٤).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة^(٥).

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: يعني ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْإِنْهَارُ﴾

١- الكافي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ٢، باب الإصرار على الذنب.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٨، ح ١٤٤.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤٢٦-٤٢٧، ح ٤، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١، باب الإصرار على الذنب. ٥- الكشاف: ج ١، ص ١٦٦.

خَلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾: المغفرة والجنات.

في المجالس: عن الصادق عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا: يا سيّدنا لما دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت^(١) من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال: الوسواس الخناس: أنا لها قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّهم حتّى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الإِسْتِغْفَار، فقال: أنت لها فوكّله بها إلى يوم القيامة^(٢).

وعن عبد الرحمن بن غنم الدوسي^(٣) قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً فسلم عليه، فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يا رسول الله إنّ الباب شاباً طريّ الجسد، نقيّ اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الشكلى على ولدها، يريد الدخول عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أدخل عليّ الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلم فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إنّ أخذني الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلني نار جهنّم ولا أراني إلّا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله من أن أشرك بربّي شيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرّم الله؟ قال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الجبال الرواسي، قال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرواسي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضيين السبع وبحارها، ورمالها، وأشجارها، وما فيها من الخلق، قال الشاب: فإنّها أعظم من الأرضيين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السماوات ونجومها، ومثل العرش والكرسي، قال: فإنّها أعظم من ذلك، قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله كهية الغضبان، ثمّ قال: ويحك يا شابّ ذنوبك أعظم أم ربك! فخر

١- العفريت: الناقد القوي من خبث ودهاء. مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٠٨، مادة «عفر».

٢- الأُمالي للشيخ الصدوق عليه السلام: ص ٣٧٦، ح ٥، المجلس الحادي والسبعون.

٣- ودوس: قبيلة من اليمن من الأزد. الصحاح: ج ٣، ص ٩٣١.

الشاب لوجهه، وهو يقول: سبحانه ربّي ما من شيء أعظم من ربّي، ربّي أعظم يا نبيّ الله من كلّ عظيم، فقال النبيّ ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلّا ربّ العظيم، قال الشاب: لا والله يا رسول الله، ثمّ سكّ الشاب، فقال له النبيّ ﷺ: ويحك يا شابّ ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟ قال: بلى أخبرك، إنّني كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار، فلمّا حملت إلى قبرها، ودفنت، وانصرف عنها أهلها، وجنّ عليهم الليل، أتيت قبرها فنبشتها، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركبتها مجرّدة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً، فأتاني الشيطان فأقبل يزنيها لي ويقول! أما ترى بطنها وبياضها! أما ترى وركيها^(١) فلم يزل يقول لي هذا حتّى رجعت إليها، ولم أملك نفسي حتّى جامعتها وتركبتها مكانها فإذا أنا بصوت من ورائي يقول: يا شابّ ويل لك من ديان يوم الدين، يوم يقفني وإياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفرتي، وسلبتني أكفاني وتركنتني أقوم جنبه إلى حسابي، فويل لشبابك من النار فما أظنّ إنّني أشمّ ريح الجنة أبداً يا رسول الله فما ترى لي؟ فقال النبيّ ﷺ: تنحّ عني يا فاسق إنّني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار، ثمّ لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه حتّى أمعن^(٢) من بين يديه فذهب فأتى المدينة فتزوّد منها ثمّ أتى بعض جبالها فتعبّد فيها ولبس مسحاً^(٣) وغلّ يديه جميعاً إلى عنقه ونادى: يا ربّ هذا عبدك يهلول^(٤) بين يديك مغلول، يا ربّ أنت الذي تعرفني، وقد بدا^(٥) منّي ما تعلم، سيّدي يا ربّ إنّني أصبحت من النادمين وأتيت نبيّك تائباً فطردني، وزادني

١ - الورك بالفتح والكسر ككف ما فوق الفخذ مؤنثة، الجمع أورك، والوَزَكْ محرّكة عظمتها. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٢٢. مادة «ورك».

٢ - أمعن في الأمر: أبعد والضبط في جحره غاب في أقصاه. القاموس المحيط، ج ٤، ص ٢٧٢، مادة «معن».

٣ - المسح - بالكسر فالتسكين -: واحد المسوح ويعبّر عنه بالبلّاس، وهو كساء معروف. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١٤، مادة «مسح».

٤ - يهلول من الرجال: الضحاك. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٢٧، والظاهر أنّ يهلول كان اسم لذلك الشاب.

٥ - وفي نسخة [وزلّ] وهكذا في المصدر.

خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لا تُخَيِّبَ رجائي، سيّدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك: أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلَمَّا تَمَّتْ له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ مَا فَعَلْتُ فِي حَاجَتِي إِنْ كُنْتَ اسْتَجَبْتَ دَعَائِي وَغَفَرْتَ لِي خَطِيئَتِي فَأَوْحِ إِلَى نَبِيِّكَ، وإن لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» يعني الزنا «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، وهو نبش القبور، وأخذ الأكفان «ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة، ومن يغفر الذنوب إلا الله، يقول الله عز وجل: «أناك عبيدي يا محمد تائباً فطرده فأين يذهب، وإلى من يقصد، ومن يسأل أن يغفر له ذنبه غيري، ثم قال تعالى: «وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان «أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب، فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلوله يده إلى عنقه قد اسودّ وجهه وتساقطت أشعار عينيه من البكاء وهو يقول: سيّدي قد أَحْسَنْتَ خَلْقِي وَأَحْسَنْتَ صُورَتِي فليت شعري ماذا تريد بي؟ أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني؟ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَأَنْعَمْتَ عَلَيَّ فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنة تزفني أم إلى النار تسوقني؟ اللَّهُمَّ إِنَّ خَطِيئَتِي أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر لي خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول: نحو هذا وهو يبكي ويحشو التراب على رأسه، وقد أحاطت به السباع، وصَفَتْ فوقه الطير وهم يكونون لبكائه، فدنا منه رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول أبشر فإنك عتيق الله من النار، ثم قال ﷺ لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

تداركها بهلول، ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه، وبشره بالجنة^(١).

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: وقائع سبقتها الله تعالى في الأمم المكذبة.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: لتعتبروا بما ترون

من آثار هلاكهم.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^(٢) قال: عنى بذلك انظروا في القرآن فاعلموا كيف كان عاقبة الذين

من قبلكم وما أخبركم عنه^(٣).

﴿هَذَا﴾: أي القرآن.

﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾: عامة.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: خاصة.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: ولا تضعفوا عن الجهاد بما أصابكم يوم أحد.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: على من قتل منكم تسلية لهم عما أصابهم.

﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾: وحالكم إنكم أعلى منهم شأنًا، فإنكم على الحق، وقتالكم لله،

١- الأمايلي للشيخ الصدوق: ص ٤٥ - ٤٧، ح ٣، المجلس الحادي عشر.

٢- الروم: ٤٢. وفي المصحف: «كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين».

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ذيل ح ٣٤٩.

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ
شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

وقتلاكم في الجنة، وإنهم على الباطل، وقتلهم للشيطان، وقتلهم في النار، وإنكم أصبتم منهم
يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم، وإنكم منصورون في العاقبة غالبون.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إن صح إيمانكم.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾: بالفتح والضم لغتان، وقيل: بالفتح: الجراح، وبالضم: ألمها^(١)

وقرى بها حيث وقع.

﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: يعني إن أصابوا منكم فقد أصبتم منهم.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾: أوقات النصر والغلبة.

﴿نُذَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نصرَها بينهم، نديل لهؤلاء تارة، ولهؤلاء أخرى، كما قيل:

فَيَوْمًا عَلَيْنَا وَيَوْمًا لَنَا وَيَوْمًا نُسَاءُ وَيَوْمًا نُسَرُ^(٢)

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: نداؤها ليكون كيت وكيت من المصالح، وليتميزَ

الثابتون على الإيمان من الذين على حرف، ويعلم الله ذلك حين يشاهده الناس كما يعلمه من
قبل ومن بعد^(٣).

﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾: ويكرم ناساً منكم بالشهادة^(٤).

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: اعتراض، وفيه تنبيه على أنه لا ينصرهم على

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٣، والكشاف: ج ١، ص ٤١٨، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٨٩..

٢- راجع تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٨٩، والكشاف: ج ١، ص ٤١٩، والكشاف: ج ١، ص ٤١٩، وأنوار

التنزيل: ج ١، ص ١٨٣، س ٢٢. ٣ و ٤- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.

وَلِيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

الحقيقة وإنما يدل لهم أحياناً استدراجاً لهم وإبتلاء للمؤمنين^(١).

﴿وَلِيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: ليظهرهم، ويصفّيهم من الذنوب إن كانت الدولة عليهم.

﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: ويهلكهم إن كانت عليهم، والمحق: نقص الشيء قليلاً قليلاً. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: بل أحسبتم؟ يعني لا تحسبوا.

﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: ولما يجاهد من يجاهد، ويصبر من يصبر منكم.

العياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ الله هو أعلم بما هو مكوّنه قبل أن يكونه وهم ذرّ، وعلم من يجاهد بمن لا يجاهد، كما أنه يبيت خلقه قبل أن يبيتهم ولم يرههم موتهم وهم أحياء^(٢).

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: بالشهادة.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾: من قبل أن تشاهدوه، وتعرفوا شدّته.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: معانين له حين قتل دونكم من قتل من

إخوانكم. القمي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنّ المؤمنين لما أخبرهم الله تعالى بالذي

١ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٩، ح ١٤٨.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ
أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ
يُضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

فعل بشهادتهم يوم بدر في منازلهم في الجنة رغبوا في ذلك فقالوا: اللهم أرنا قتلاً نستشهد فيه فأراهم الله آياه يوم أحد فلم يشبوا إلا من شاء الله منهم فذلك قوله: «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ» الآية (١).

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: فيخلوا كما خلوا بالموت أو القتل.

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: إنكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به. العياشي: عن الباقر عليه الصلاة والسلام أنه سئل عمّن قتل، أمات؟ قال: لا، الموت: موت، والقتل: قتل. قيل: ما أحد يقتل إلا وقد مات. فقال: قول الله أصدق من قولك، وفرق بينهما في القرآن، قال: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ» وقال: «وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قُتِلْتُمْ لَأَلِيَّ اللَّهُ مُحْشَرُونَ» (٢) وليس كما قلت: الموت موت، والقتل قتل (٣). قيل: فإن الله يقول: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (٤)، قال: من قتل لم يذوق الموت. ثم قال ﷺ لابد من أن يرجع حتى يذوق الموت (٥). ويأتي حديث آخر في هذا المعنى في أواخر هذه السورة إن شاء الله.

وفي الكافي: عن الصادق ﷺ قال: لما انهزم الناس يوم أحد عن النبي ﷺ انصرف

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١١٩. ٢- آل عمران: ١٥٨.

٣- قيل: الفرق بين الموت والقتل: إن في القتل إنما تزول الروح بزوال الجسد وفي الموت بعكس ذلك. منه يَبْرُؤُ.

٤- آل عمران: ١٨٥. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٠.

إليهم بوجهه وهو يقول: أنا محمد أنا رسول الله لم أقتل ولم أمت، فالتفت إليه فلان وفلان وقالوا: الآن يسخر بنا أيضاً وقد هزمنا، وبقي معه علي بن أبي طالب وسماك بن خزيمة أبو دجانة (١) فدعاه

١ - لا خلاف بين الشيعة حسب الأخبار المستفيضة الواردة عن أهل البيت عليه السلام بأن الخلفاء الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) قد فتروا يوم أحد عن ساحة القتال ولم يثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله أن ذلك وظاهر أكثر الأخبار أنه لم يثبت مع النبي صلى الله عليه وآله يومئذ إلا علي بن أبي طالب وأبو دجانة كما لا خلاف بين العامة بأن عثمان كان من الفارين، واختلفوا في الأول والثاني، فروى كثير منهم بأن الثاني أيضاً قد فتر ولم يثبت كما ذهب أكثرهم بأن الأول ثبت ولم يفر. قال ابن أبي الحديد: قال الواقدي - في حديث طويل - : وكانت العصاة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار.

فأما المهاجرون: فعلي بن أبي طالب، وأبو بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام. وأما الأنصار: فالحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير.

وقال الواقدي أيضاً: وبايعه يومئذ على الموت ثمانية: ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار: أما المهاجرون: فعلي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير. وأما الأنصار: فأبو دجانة، والحارث بن الصمة، والحباب بن المنذر، وعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف.

وأضاف قائلاً: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه قال: لما صاح الشيطان لعنه الله أن محمداً قد قتل يحزنهم بذلك، تفرقوا في كل وجه، وجعل الناس يميزون على النبي صلى الله عليه وآله لا يلوي عليه أحد منهم ورسول الله يدعوهم في أفراسهم، حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس.

وقال ابن أبي الحديد: قد اختلف في عمر بن الخطاب هل ثبت يومئذ أم لا؟ مع اتفاق الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت، فالواقدي ذكر أنه لم يثبت.

وروى كثير من أصحاب الحديث أن عثمان جاء بعد ثلاثة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى الاعرض، فقال: لقد ذهبت فيها عريضة.

وقال الواقدي: احتج من روى أن عمر فتر يوم أحد بما روي أنه جاءته في أيام خلافته امرأة تطلب برءاً من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر تطلب برءاً أيضاً فأعطى المرأة ورد ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: إن أب هذه ثبت يوم أحد وأب هذه فتر يوم أحد ولم يثبت.

وقال الواقدي: إنَّ عمر كان يحدث فيقول: لما صاح الشيطان: قتل محمد ﷺ قلت: أرقى في الجبل كأنِّي أريد به حيث جعل بعضهم هذا حجة في اثبات فرار عمر.

وقال الواقدي في كتاب المغازي في قصة الحديبية، قال عمر يومئذٍ: يا رسول الله أَلَمْ تكن حدثتنا إنَّك ستدخل المسجد الحرام، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتعرف مع المعرفين، وهدينا لم يصل إلى البيت، ولا نحر.

فقال: أما إنكم ستدخلونه، وأخذ مفتاح الكعبة، واحلق رأسي ورؤوسكم بطن مكة، أعرف مع المعرفين، ثم أقبل على عمر وقال: أنسيتم يوم أحد «اذ تصعدون ولا تلون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم» أنسيتم يوم الأحزاب... إلى أن قال -: فلما كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة، قال: ادعوا لي عمر بن الخطاب، فجاء فقال: هذا الذي كنت قلت لكم. قالوا: فلو لم يكن فَرَّ يوم أحد لما قال له أنسيتم يوم أحد؟ إذ تصعدون ولا تلون.

وقال الواقدي: ونظر عمر إلى عثمان بن عفان فقال: هذا ممن عفا الله عنه، وهم الذين تولوا يوم التقي الجمعان، والله ما عفا الله عن شيء فردّه.

وذكر ابن أبي الحديد عند ذكر أجوبة شيخه أبي جعفر الأسكافي عمّا ذكره الجاحظ في فضل اسلام أبي بكر على اسلام علي رضي الله عنه قال الجاحظ: وقد ثبت أبو بكر مع النبي يوم أحد كما ثبت علي رضي الله عنه فلا فخر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم.

قال شيخنا أبو جعفر: أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السيرة ينكرونه، وجمهورهم يروي أنّه لم يبق مع النبي إلا عليّ وطلحة والزبير وأبو دجانة.

وقد روي عن ابن عباس انه قال: ولهم خامس وهو عبدالله بن مسعود، ومنهم من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمر.

وروي يحيى ابن سلمة بن كهيل قال قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد؟ كل منهم يدّعيه، فقال: إثنان، قلت من هما؟ قال: علي وأبو دجانة انتهى.*

وقال العلامة المجلسي: فقد ظهر أنّه ليس ثبات أبي بكر ممّا أجمعت عليه رواتهم مع اتفاق روايات الشيعة على عدمه، وهي مخوفة بالقرائن الظاهرة، إذ من المعلوم أنّه مع ثباته لا بدّ أن ينقل منه إمّا ضرب أو طعن، والعجب منه أنّه حيث لم يكن من الطاعنين كيف لم يصّر من الطعنين، ولما لم يكن الجارحين لم يكن من المجروحين، وإن لم يتحرك لقتال مع كونه مجرّأ من المشركين ومسمع، فلم يكن يذكر في المقتولين، بل يمكن به

النبي ﷺ فقال: يا أبا دجانة انصرف وأنت في حلٍّ من بيعتك فأما عليّ ﷺ فهو أنا، وأنا هو، فتحول وجلس بين يدي النبي ﷺ وبكى وقال: لا والله ورفع رأسه إلى السماء وقال: لا والله لا جعلت نفسي في حلٍّ من بيعتي إني ببيعتك فإلى من أنصرف يا رسول الله؟ إلى زوجة تموت، أو ولد يموت، أو دار تخرب، أو مال يفنى وأجل قد اقترب، فرق له النبي ﷺ فلم يزل يقاتل حتى أشختته الجراحة وهو في وجهه، وعليّ ﷺ في وجهه، فلما أسقط احتمله عليّ ﷺ فجاء به إلى النبي ﷺ فوضعه عنده.

فقال: يا رسول الله أوفيت بيعتي؟ قال: نعم، وقال له النبي ﷺ: خيراً.

وكان الناس يحملون على النبي ﷺ الميمنة فيكشفهم عليّ ﷺ فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي ﷺ فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع فجاء إلى النبي ﷺ فطرحه بين يديه وقال: هذا سيفي قد تقطع فيومئذ أعطاه النبي ﷺ ذا الفقار^(١).

ولما رأى النبي ﷺ اختلاج^(٢) ساقيه من كثرة القتال، رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي، وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يعيك^(٣) فأقبل عليّ ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسمع دويًّا^(٤) شديداً، وأسمع أقدم حيزوم^(٥)، وما أهماً أضرب أحداً إلا سقط

حجـ أن يقال: لو كان حضر ميت تلك الواقعة لكن يُذكر منه بعض ما ينسب إلى الأحياء، ولا يدعي مثل ذلك إلا من ليس له حظ من العقل والحياء. انتهى كلامه رفع مقامه.

راجع بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ١٤٢، ومرآة العقول: ج ٢٦، ص ٤٣٤.

١ - قال ابن الأثير في الكامل: ج ٢، ص ١٥٤، وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قاله أبو رافع، قال: فلما قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين، فقال لعلي: احمل عليهم، ففرقهم وقتل منهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم وفرقهم وقتل منهم فقال جبرائيل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسول الله ﷺ إنه مني وأنا منه فقال جبرائيل وأنا منك. قال: فسمعوا صوتاً: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.

٢ - الخلج - بالتحريك - : أن يشتكي الرجل عظامه من عمل أو من طول مشي وتعب. الصحاح: ج ١، ص ٣١١.

٣ - عبي - من باب تعب، عجز عنه، ولم يمتد لوجه مراده. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣١١، مادة «عيا».

٤ - الدوي: الصوت. منه دويٌّ.

٥ - أقدم: من الإقدام.

وحيزوم - بالحاء المهملة، والزاء المعجمة بينهما ياء تحتية - : اسم فرس جبرئيل، يعني أقبل يا حيزوم. منه دويٌّ.

ميتاً قبل أن أضربه.

فقال: هذا جبرئيل وميكائيل، واسرافيل في الملائكة، ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن هذه هي المواساة^(١) فقال النبي ﷺ: إن علياً مَيِّ وأنا منه، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما، ثم انهزم الناس فقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: إمض بسيفك حتى تعارضهم فإن رأيتهم ركبوا القلاص وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وجنبوا^(٢) القلاص^(٣) فإنهم يريدون المدينة فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص فقال أبو سفيان لعلي عليه السلام: ما تريد هوذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هوذا عسكر محمد ﷺ قد أقبل، فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر، وجاء الرعاء والخطابون فدخلوا مكة فقالوا رأينا عسكر محمد ﷺ كلما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر^(٤) يطلب آثارهم فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبخونه، ثم رحل النبي ﷺ والراية مع علي عليه السلام وهو بين يديه فلما أن أشرف بالراية من العقبة ورآه الناس نادى علي عليه السلام: أيها الناس هذا محمد ﷺ لم يمت ولم يقتل، فقال صاحب الكلام الذي قال: الآن بسخر بنا وقد هزمنا هذا علي والراية بيده حتى هجم عليهم النبي ﷺ ونساء الأنصار في أفنيتهم على أبواب دورهم، وخرج الرجال إليه يلذون به ويتوبون إليه، والنساء

١ - يعني كثرة مقاتلة علي وثبات قدمه بعد انهزام الناس لهي المواساة، يعني المعاونة والنصرة بالنفس والمهجة. منه ﷺ.

٢ - وفي نسخة: [وهم يجتنبون] وفي المصدر [يجتنبون].

٣ - القلاص: جمع القلائص وهي جمع القلوص، وهي الشابة من النوق، والناقة الطويلة القوائم خاص بالإناث. منه ﷺ. وفي القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣١٤، القلوص من الإبل: الشابة أو الباقية على السير جمع قلائص، وقلص جمع الجمع قلاص.

٤ - والشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حمرة تعلو بياضاً، وفي الخيل حمرة صافية يحمر معها العرف والذنب. وفرس أشقر: الذي فيه شقرة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٥٣، مادة «شقر».

نساء الأنصار قد خدشن الوجوه، ونشرن الشعور، وجززن^(١) النواصي، وخرقن الجيوب وخرقن^(٢) البطون على النبي ﷺ فلما رأيته قال لهنّ: خيراً، وأمرهنّ أن يتسترنّ ويدخلن منازلهن، وقال: إنّ الله وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلّها، وأنزل الله على محمد ﷺ «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ» الآية^(٣).

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا﴾: بارتداده، بل يُضِرّ نفسه.

﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: كأمر المؤمنين ﷺ ومن يحذو حذوه.

في الاحتجاج في خطبة الغدير: «معاشر الناس أنذركم أنّي رسول الله إليكم قد خلت من قبلي الرسل أفان متّ أو قتلت انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين» ألا وإنّ عليّاً هو الموصوف بالصبر والشكر، ثمّ من بعدي ولده من صلبه^(٤) وفي الكافي: في خطبة الوسيلة لأمر المؤمنين ﷺ: حتّى إذا دعا الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ ورفع له إليه لم يك ذلك بعده إلّا كلمحة من خفقه أو وميض^(٥) من بركة إلى أن رجعوا على الأعقاب، وانتكصوا على الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الكتائب، وردموا الباب، وفلّوا الديار، وغيروا آثار رسول الله ﷺ، ورغبوا عن أحكامه، وبعّدوا من أنواره واستبدلوا بمستخلفه بدلاً اتّخذوه وكانوا ظالمين وزعموا أنّ من اختاروا من آل أبي قحافة عليه اللعنة أولى بمقام رسول الله ﷺ ممّن اختاره الرسول ﷺ لمقامه، وإنّ مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجري الأنصاري الرّبّاني ناموس هاشم بن عبد مناف^(٦).

١- الجز: القطع يقال: جززت الصوف والفجل أجزّه جزّاً: إذا قطعته. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٩، مادة «جزز».

٢- وفي نسخة خرمن وخرفن البطون: أي حرمن من الأكل والشرب. منه يَنْبُؤ. قال الطريحي في مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٧، الحُرْفَةُ - بالضم: الحرمان كالحرْفَةِ بالكسر.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٣١٨-٣٢٢، ح ٥٠٢.

٤- الاحتجاج: ج ١، ص ٧٧، احتجاج النبي ﷺ يوم الغدير على الخلق كلهم.

٥- ومض البرق يَمْضُ ومضاً وميضاً: لمع خفياً. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٤٨.

٦- الكافي: ج ٨، ص ٢٩، ح ٤.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

والعياشي: عن الباقر عليه الصلاة والسلام قال: كان الناس أهل ردة بعد رسول الله ﷺ إلا ثلاثة، قيل: ومن الثلاثة؟ قال: المقداد، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، رحمهم الله، ثم عرف أناس بعد يسير فقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع، وذلك قول الله: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي» (١).

وعن الصادق عليه السلام: أتدرون مات النبي أو قتل؟ إن الله يقول: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي» (٢).

يعني الإمرأتين لعنهما الله وأبويهما.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: إلا بمشيئته أو بإذنه ملك الموت في قبض روحها لا تستأخر ساعة بالأحجام (٣) عن القتال ولا تستقدم بالإقدام عليه، وفيه تحريض وتشجيع على القتال.

﴿كِتَابًا﴾: كتب الموت كتاباً.

﴿مُؤَجَّلًا﴾: موقَّتاً لا يتأخَّر ولا يتقدم.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩٩، ح ١٤٨.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٠، ح ١٥٢. وإليك نصّه: تدرون مات النبي ﷺ أو قتل؟ إن الله يقول: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي وَلَآتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ بَعْدُ سَأُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِي» (٣) عن القتال ولا تستقدم بالإقدام عليه، وفيه تحريض وتشجيع على القتال.

وفي بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٢٠ - ٢١، ح ٢٨ «إِنَّهَا سَمَاءٌ».

٣ - حجم عن الشيء: كفَّ عنه وتأخَّر. ومنه: أحجم القوم: نكصوا. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٢، مادة «حجم».

وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْأَصْبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

«وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا»: تعريض عن شغلته الغنائم يوم أحد.
 «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا»: من ثوابها.
 «وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ»: الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.
 في المجمع: عن الباقر عليه السلام أنه أصاب علياً عليه السلام يوم أحد ستون جراحة، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أم سليم وأم عطية أن تدواياه، فقالتا: إنا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان، وقد خفنا عليه، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون يعودونه وهو قرحة^(١) واحدة فجعل عليه يسحه بيده ويقول: إن رجلاً لي هذا في الله فقد أبلي وأعذر فكان القرع الذي يسحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلتم، فقال علي عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر، ف شكر الله له ذلك في موضعين من القرآن، وهو قوله: «وسيجزي الله الشاكرين» «وسنجزي الشاكرين»^(٢).
 «وَكَايْنٌ مِّنْ نَّبِيٍّ»: وكمن من نبي^(٣) وقرئ كائن ككاعن.
 «قُتِلَ مَعَهُ»: حارب وقرئ قُتِلَ بضم القاف.
 «رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ»: قيل: أي علماء وفقهاء، صبر^(٤) وقيل: المجمع^(٥).
 وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: الربيون عشرة آلاف^(٦).

١- أي كأنما جمع جسمه من كثرة الجراحات واتصال بعضها ببعض صار جراحة واحدة.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥١٥.

٣- كآين قيل: أصله «أي» دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس.

منه ربيون. ٤- قاله ابن عباس والحسن كما جاء في مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥١٧.

٥- قاله مجاهد وقتاده كما ورد في مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥١٧.

٦- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥١٧.

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي
أَمْرِنَا وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إنه قرأ «وكأين من نبي قُتل معه ربيون كثير» قال: أوف، وأوف ثم قال: أي والله يقتلون (١).

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فافتروا ولم ينكسر جدّهم من قتل من قتل منهم.

﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: في الدين وعن العدو.

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: وما خضعوا للعدو، وهو تعريض بما أصابهم عند الأرجاف (٢).

بقتله ﷺ.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام: بين الله سبحانه أنه لو كان قتل ﷺ كما أرجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا أو يهينوا كما لم يهين من كان مع الأنبياء بقتلهم (٣).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾: فينصرهم في العاقبة، ويعظم قدرهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾: مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين.

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم هضماً لها، وإضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم، واستغفروا عنها، ثم طلبوا التثبيت في موطن الحرب والنصر على العدو ليكون على خضوع وطهارة فيكون أقرب إلى الإجابة (٤).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠١، ح ١٥٤.

٢- رجف حرك وتحرك واضطرب شديداً، والأرض زلزلت كأرجفت. والقوم تهبأوا للحرب. القاموس المحيط:

ج ٣، ص ١٤٢ - ١٤٣. ٣- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥١٧.

٤- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٥.

فَأَتَيْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ
كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ
اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَمَا أَوْسَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿فَأَتَيْتَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بسبب
الإستغفار والدَّجَا إلى الله النصر والغنيمة وحسن الذكر في الدنيا، والجنة والنعيم في الآخرة،
وخصَّ ثواب الآخرة بالحسن: إشعاراً بفضلِهِ، وأنه المعتدُّ بِهِ عند الله.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: فِي أَقْوَاهُمْ وَأَفْعَالِهِمْ.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: فِي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين
يوم أحد عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم، وارجعوا إلى دينهم ^(١).

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، وقرئ بالنصب بمعنى بل أطيعوا الله.
﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره.
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: وقرئ بضمّتين، قيل: وهو ما قذف في
قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ^(٢).
فِي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مسيرة شهر ^(٣).

١- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥١٨. عند شأن الزول.

٣- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥١٩.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٦.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مِمَّا تُحِبُّونَ
مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾: بسبب إشراكهم به.
﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: أي آلهة ليس على إشراكها حجة نازلة من الله عليهم،
والمراد: نفي الحجة ونزولها جميعاً.
﴿وَمَا أَوْسَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ﴾: أي مثواهم، وضع الظاهر موضع
الضمير للتغليظ والتعليل.
﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: يعني وعده إياهم ^(١) بالنصر بشرط التقوى، والصبر
وكان كذلك حتى خالف الرماة فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم ^(٢) أي يرمونهم
بالسهام، والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا، والمسلمون على آثارهم.
﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾: أي تقتلونهم بإذن الله، من الحس بمعنى القتل على
الاستئصال، وأصله الاحساس من أحسّه إذا أبطل حسّه.
﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جبنتم وضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة.
﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: يعني اختلاف الرماة حين انهزام المشركين، فقال بعضهم:

١- وفي نسخة: [إياكم].

٢- الرِّشْقُ - بالفتح فالسكون -: الرمي، وَرَشَقُهُ يَرْشُقُهُ من باب قَتَلَ رَشَقًا: إذا رماه بالسهام. والرِّشْقُ بالكسر:
عدد الرمي الذي يتفان عليه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٦٩.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُونَّ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا بَعْمٌ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

فما موقفنا هاهنا؟ وقال آخرون: لا نخالف أمر الرسول، فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير، ونفّر
الباقون للنّهب.

﴿وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾: من الظفر والغنيمة، وانهزام العدو،
وجواب «إذا» محذوف وهو امتحانكم.

﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: وهم التاركون المركز لحيازة الغنيمة.

القمي: يعني أصحاب عبدالله بن جبير الذين تركوا مراكزهم ومروا للغنيمة^(١).

﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول ﷺ.

القمي: يعني عبدالله بن جبير وأصحابه الذين بقوا حتى قتلوا^(٢).

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾: كفكم عنهم حين^(٣) غلبوكم.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾: تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضل عليهم بالعفو وغيره في الأحوال كلها
سواء أَدِيل^(٤) لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: متعلق بصرفكم والإصعاد: الذهاب، والإبعاد في الأرض.

١ و ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٠. ٣ - وفي نسخة [حتى] كما في المصدر.

٤ - دالت الايام: أي دارت، واللّه يدأوها بين الناس: أي يديرها. وتداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة
والذؤلة: الانتقال من حال الشدة إلى حال الرخاء. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٧٤.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ
لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ
الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
وَلِيُخَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

﴿وَلَا تَلُونَّ عَلَى أَحَدٍ﴾: لا يقف أحد لأحد ولا ينتظره.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾: كان يقول: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، ارجعوا أنا رسول

الله، إلى أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ وفي رواية من يكرّ فله الجنة^(١).

﴿فِي أُخْرَبِكُمْ﴾: في ساقطكم وجماعتكم الأخرى.

﴿فَاتَّبِعْكُمُ غَمًّا بِغَمٍّ﴾: فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غمًّا متصلاً بغم.

القمي: عن الباقر عليه السلام: فأما الغم الأول: فالهزيمة والقتل، والغم الآخر: فإشراف

خالد بن الوليد عليهم^(٢).

﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾: من الغنيمة.

﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾: من قتل اخوانكم.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ * ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ﴾: يعني الهزيمة.

١- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٨٧ وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٠٠.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٠.

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾: أَمْنَا حَتَّى أَخَذَكُمْ النَّعَاسَ.

﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾: وقرئ بالتاء وهم المؤمنون حقاً، روي أنهم غشيهم

النعاس في المصاف حَتَّى كَانَ السَّيْفُ يَسْقُطُ عَنْ يَدِ أَحَدِهِمْ فَيَأْخُذُهُ ثُمَّ يَسْقُطُ فَيَأْخُذُهُ^(١).

﴿وَطَائِفَةٌ﴾: هم المنافقون.

﴿قَدْ أَهْمَتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: أَوْقَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ فِي الْهَمِّ إِذَا مَا بِهِمْ إِلَّا هُمْ أَنْفُسُهُمْ وَطَلَبَ

خلاصها.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: يَظُنُّونَ أَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُضْمَلٌ وَإِنَّهُ لَا يَنْصُرُ.

﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: ظَنَّ أَهْلَ الْمِلَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ أَيْ الْكُفَّارِ.

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾: مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ نَصِيبٌ قَطٌّ كَمَا وَعَدْنَا،

أَوْ فِي تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا وَتَصَرُّفِهَا اخْتِيَارًا، يَقُولُونَ: ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: الْغَلْبَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ، أَوْ النَّصْرُ وَالشَّهَادَةُ وَالْقَضَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ، وَقَرَأَ كُلَّهُ

بالرفع.

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: يَظْهَرُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَرِشِدُونَ طَالِبُونَ

لِلنَّصْرِ، وَيَظُنُّونَ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ.

﴿يَقُولُونَ﴾: فِي أَنْفُسِهِمْ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: لَوْ كَانَ النَّصْرُ لَنَا أَوْ الْإِخْتِيَارُ إِلَيْنَا.

﴿مَا قَتَلْنَا هَهُنَا﴾: لَمْ نَبْرَحْ مِنَ الْمَدِينَةِ بَلْ أَقْنَا فِيهَا، كَمَا كَانَ رَأْيُ ابْنِ أَبِي وَغَيْرِهِ، فَمَا

غُلِبْنَا، وَمَا قَتَلَ مِنْ قَتْلٍ مَثَلٍ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾: لَخَرَجَ الَّذِينَ قَدَّرَ

اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ، وَكُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾: إلى مصارعهم، ولم تنفع الإقامة بالمدينة، ولم ينج من القتل أحد، لأن ما قدر الله من الأمور ودبرها في سابق قضائه لا دافع لها، إذ لا معقب لقضائه، ولا مانع لحكمه. ﴿وَلِيُبَيِّنَ لِلَّهِ﴾: وليمتحن الله.

﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: ويظهر سرائرها من الإخلاص والتفان فعل ما فعل. ﴿وَلِيُخَيِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: وليكشفه ويبيّره.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: عليم بخفياتها قبل إظهارها، وفيه: وعد ووعد وتنبية على أنه غني عن الابتلاء، وأما فعل ذلك لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: انهزموا يوم أحد، والجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾: حملهم على الزلة.

﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾: من معصيتهم النبي ﷺ بترك المركز^(١) والحرص على الغنيمة وغير ذلك فنعوا التأييد وقوة القلب.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: هم أصحاب العقبة^(٢).

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: لتوبتهم واعتذارهم.

١ - يعني ان الذين تركوا المركز بأحد حرصاً على الغنيمة هم الذين دحرجوا الدواب ليلة العقبة تنفيراً لناقة رسول الله ﷺ وكان ذلك منهم بعد وقعة أحد. منه يروي.

٢ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٠١، ح ١٥٨.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لَا خَوْفَنَاهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذنوب.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني المنافقين.

﴿وَقَالُوا لَا خَوْفَنَاهُمْ﴾: لاجلهم وفيهم.

﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: إذا سافروا فيها فاتوا.

﴿أَوْ كَانُوا غُرًى﴾: أي غازين فقتلوا.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

اللام للعاقبة مثلها في «ليكون لهم عدواً وحزناً»^(١).

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: رد لقولهم: أي «هو المحيي والمميت»، لا الإقامة والسفر،

فإنه تعالى قد يحيي المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: تهديد للمؤمنين على أن ياتلوه، وعلى قراءة الباء

وعيد للذين كفروا.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾: في سبيله، وقرئ بكسر الميم.

وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَآلِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ
 اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
 حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
 عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

﴿لَا تُغْفِرُ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾: وقرئ بالثناء أقيم جواب القسم
 مقام الجزاء، والمعنى أن السفر والغزاة ليسا مما يجلبان الموت أو يقدّمان الأجل وإن وقع ذلك في
 سبيل الله، فما تتالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا وما فيها ومنافعها
 لو لم تموتوا أو لم تقتلوا.

﴿وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾: على أي وجه اتفق.

﴿لَآلِ اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: في جميع الأحوال، وفي المعاني^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام
 في هذه الآية أن سبيل الله: علي وذريته، من قتل في ولايته قتل في سبيل الله، ومن مات في
 ولايته مات في سبيل الله^(٢).

وقد سبق حديث في الفرق بين الموت والقتل عند تفسير قوله «أَقَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 أَنْقَلَبْتُمْ»^(٣) من هذه السورة^(٤).

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾: «ما» مزيدة للتأكيد، بلغ لينه لهم إلى أن اغتمّ لهم
 بعد أن خالفوه.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾: سييء الخلق جافياً.

١- معاني الأخبار: ص ١٦٧، ح ١، باب معنى سبيل الله.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٢. ٣- آل عمران: ١٤٤.

٤- راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢.

﴿غَلِظَ الْقَلْبُ﴾: قاسية.

﴿لَا تَقْصُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما يختص بك.

﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيا لله.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: في أمر الحرب وغيره مما يصح أن يشاور فيه، استظهاراً برأيهم، وتطبيياً لنفوسهم، وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة، عن النبي ﷺ لا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة^(١).

وفي نهج البلاغة: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها^(٢).

وفيه: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر^(٣) من استغنى برأيه^(٤).

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام: وشاور في أمرك الذين يخشون الله^(٥).

والعياشي كتب الجواد عليه السلام إلى علي بن مهزيار أن سل فلاناً أن يشير علي^(٦) ويتخير لنفسه فهو يعلم ما يجوز في بلده، وكيف يعامل السلاطين، فإن المشاورة مباركة قال الله تعالى لنبيه ﷺ في حكم كتابه وتلا هذه الآية قال: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» يعني الاستشارة^(٧).

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: في امضاء أمرك على ما هو أصلح لك فإنه لا يعلمه سواه.

١ - التوحيد: ص ٣٧٦، ح ٢٠، باب القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والأسعار والآجال.

٢ - نهج البلاغة: ص ٥٠٠، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم ١٦١.

٣ - خاطر بنفسه: من المخاطرة وهي ارتكاب ما فيه خطر وهلاك. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٩١.

٤ - نهج البلاغة: ص ٥٠٦، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام رقم ٢١١.

٥ - الخصال: ص ١٦٩، ح ٢٢٢، باب الثلاثة: أمر الباقر عليه السلام ابنه الصادق عليه السلام. بثلاث ونهاه عن ثلاث.

٦ - لعل المراد من قوله عليه السلام يشير علي إلى آخره أي سله يظهر لي ما عنده من مصلحة في أمر كذا، ويتخير لنفسه، أي يتخير لي تحييراً لكتخييره لنفسه كما هو شأن الأخ المحب المحبوب الذي يخشى الله تعالى. هكذا في هامش

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ح ١٤٧.

بعض نسخ العياشي.

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي
يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ
تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧﴾

وروت العامة عن الصادق عليه السلام: فإذا عَزَمْتُ بضمّ التاء أي فإذا عزمتم لك ووفقتك وأرشدتك^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾: فينصرهم ويهديهم إلى الصلاح.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾: كما نصركم يوم بدر.

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: فلا أحد يغلبكم.

﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾: كما خذلكم يوم أحد.

﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾: لا ناصر لكم من بعد الله إذا جاوزتموه أو

من بعد خذلانه.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فليخصّوه بالتوكل لما آمنوا به وعلموا أن لا

ناصر سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ﴾: وما صحّ لنبي أن يخون في الغنائم، فإنّ النبوة تنافي

الخيانة، والغلول^(٢): أخذ الشيء من المغنم في خفية، وقرئ بضمّ الياء وفتح الغين، أي ينسب إلى الخيانة.

القمي: نزلت في حرب بدر، وكان سبب نزولها أنّه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر

١ - جمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥٢٧.

٢ - القمي عن الباقر عليه السلام، صدق الله لم يكن الله ليجعل نبياً غالاً منه يتوكل.

أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَسَّهْ
جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾

قطيفة حمراء ففقدت، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما لنا لا نرى القطيفة؟ ما أظنّ
إلا رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله في ذلك هذه الآية، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:
إنّ فلاناً غلّ قطيفة فأحفرها هنالك، فأمر رسول الله ﷺ بحفر ذلك الموضع فأخرج
القطيفة (١).

في المجالس: عن الصادق عليه السلام إن رضاء الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوه
يوم بدر إلى أنّه عليه السلام أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتّى أظهره الله على القطيفة؟ وبرأ
نبيّه ﷺ من الخيانة وأنزل في كتابه «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ» الآية (٢).

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يحمله على عنقه، والقَمِي: عن
الباقر عليه السلام: ومن غلّ شيئاً رآه يوم القيامة في النار، ثمّ يكلف أن يدخل إليه فيخرجه من
النار (٣).

﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: تعطى جزاء ما كسبت وافياً، عمّ الحكم ليكون
كالبرهان على المقصود.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا ينقص ثواب مطيعهم، ولا يزداد في عقاب عاصيهم.

﴿أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾: بالطاعة.

﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رجع.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٦ - ١٢٧، وفي المصدر: «فأخبأها».

٢ - الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٩١ - ٩٢، ح ٣، والحديث طويل جداً، المجلس الثاني والعشرون.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٢.

هُم دَرَجَتُ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَّلِ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾

﴿بَسَخَطُ مِّنَ اللَّهِ﴾: بالمعصية.

﴿وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ * هُمْ دَرَجَتُ عِنْدَ اللَّهِ: قيل: ذو درجات
أوشبها بالدرجات لما بينهم من التفاوت ^(١).

في الكافي ^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة، وهم
والله درجات عند الله للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع الله
لهم الدرجات العلى، وزاد العياشي: الذين باؤوا بسخط من الله هم الذين جحدوا حق علي،
وحق الأئمة من أهل البيت صلوات الله عليهم فباؤوا لذلك بسخط من الله ^(٣).

وعن الرضا عليه الصلاة والسلام: الدرجة ما بين السماء والأرض ^(٤).

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم على حسبها.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أنعم الله عليهم.

﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: أي القرآن بعدما كانوا جهالاً لم يسمعوا الوحي.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٩٠.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٣٠، ح ٨٤، باب فيه نكت وتنف من التنزيل.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٥، ح ١٤٩.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٥، ح ١٥٠، الظاهر أن ترقيم الحديث غلط.

أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ
هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾: ويظهرهم من سوء العقائد والأخلاق والأعمال.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: القرآن والسنة.

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾: وأنه كانوا.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل بعثه.

﴿لَنِي ضَلَّلَ مُبِينٌ﴾: ظاهراً.

﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾: الهزيمة للتقريع والتقرير، العياشي:

عن الصادق عليه السلام كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة وأربعين رجلاً قتلوا سبعين رجلاً وأسرُوا سبعين، فلما كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً فاغتموا لذلك فنزلت (١).

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: من أين هذا أصابنا، وقد وعدنا الله النصر.

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾: باختياركم الفداء يوم بدر وكذا عن أمير المؤمنين

صلوات الله وسلامه عليه رواه في المجمع (٢).

القمي: وكان الحكم في الأسارى يوم بدر القتل فقامت الأنصار فقالوا: يا رسول الله

بههم لنا ولا تقتلهم حتى نفاديهم، فنزل جبرئيل فقال: إن الله قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا

من هؤلاء القوم ويطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه الفداء

فأخبرهم رسول الله ﷺ بهذا الشرط فقالوا: قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء

ونتقوى به، ويقتل منا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء وندخل الجنة، فأخذوا منهم

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٥، ح ١٥١، ملاحظة: إن تسلسل أرقام الحديث في كتاب العياشي غلط.

٢ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥٣٣.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ اللَّهَ وَلِيَعْلَمْ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْغَيْنَاكُمْ هُمْ
 لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ
 فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

الفداء، وأطلقوهم فلما كان يوم أحد قتل من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون، فقالوا يا رسول الله ما هذا الذي أصابنا وقد كنت تعدنا النصر؟ فأنزل الله: «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ» الآية «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» أي بما اشترطتم يوم بدر (١).

وبأتي تمام قصّة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى (٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على النصر ومنعه، وعلى أن يصيب بكم

ويصيب منكم.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِ الْجَمْعَانِ﴾: يعني يوم أحد.

﴿فَيَاذَنْ اللَّهَ﴾: فهو كائن بقضائه بتخلية الكفار.

﴿وَلِيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: وليتميّز الفريقان بظهور إيمان

هؤلاء، وكفر هؤلاء.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي للمنافقين.

﴿تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾: عن الأنفس والأموال أو

بتكثير السواد.

الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ
فَادْرءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْغَيْنَاكُمْ﴾: قالوه دغلاً^(١) واستهزاءً، لزعمهم إن ما يفعلونه ليس بقتال، بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة.

﴿هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ﴾: كما يظهر من كلامهم هذا.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: يظهرون خلاف ما يضمرون.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: من النفاق وما يخلو به بعضهم إلى بعض فإنه يعلمه

مفضلاً بعلم واجب وأنتم إنما تعلمونه مجملًا بإمارات.

في مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام في كلام: ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ورخص^(٢) لنفسه بذلك، واتباع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أمور الدنيا وجمعها وإمساكها يقرّ باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلا الله، وإن العبد لا يصيب إلا مازق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه. قال الله تعالى: «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ»^(٣).

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾: وصف آخر لهم.

﴿لِأَخْوَانِهِمْ﴾: لاجلهم وفيهم يريد من قتل منهم يوم أحد.

١ - الدغل بالتحريك: الفساد، مثل الدخل يقال: قد ادغل في الأمر إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٧. مادة «دغل».

٢ - الرخصة: التسهيل في الأمر، ورفع التشديد فيه، يقال: رخص لنا الشارع في كذا ترخصاً وأرخص إرخاصاً: إذا يسره وسهّله. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧١. مادة «رخص».

٣ - مصباح الشريعة: ص ١٧٨، الباب - الرابع والثمانون - في اليقين. وفيه: «مقرراً باللسان».

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿وَقَعَدُوا﴾: حال كونهم قاعدين عن القتال.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾: في القعود.

﴿مَا قُتِلُوا﴾: كما لم تقتل.

﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾: فادفعوا.

﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنكم تقدرون على دفع القتل وأسبابه

عمن كتب عليه فإنه أحرى بكم، والمعنى إن القعود غير مغن فإن أسباب الموت كثيرة، وكما أن القتال يكون سبباً للهلاك والقعود يكون سبباً للنجاة قد يكون الأمر بالعكس.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾: وقرئ بالتشديد.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾: نزلت في شهداء بدر وأحدمعاً كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام^(١).

وتشمل كل من قتل في سبيل الله عز وجل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل

النفس طلباً لرضاء الله أو بالجهاد الأكبر، وكسر النفس، وقع الهوى بالرياضة، وقرئ بالغبية.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: ذوو قرب منه.

﴿يُرْزَقُونَ﴾: من الجنة.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: وهو شرف الشهادة، والفوز بالحياة

الأبدية، والقرب من الله تعالى، والتمتع بنعيم الجنة.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من إخوانهم المؤمنين الذين تركوهم من خلفهم ولم ينالوا درجاتهم بعد.

﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي يستبشرون بأنهم آمنون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

العتاشي: عن الباقر عليه السلام قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني راغبٌ نشيط في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله فإنك إن تقتل كنت حيًّا عند الله ترزق، وإن متَّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله هذا تفسير: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا»^(١) الآية.

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: هم والله شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنة، واستقبلوا الكرامة من الله عز وجل علموا واستيقنوا أنهم كانوا على الحق، وعلى دين الله عز وجل فاستبشروا بمن لم يلحق بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين^(٢).

وعن الصادق عليه السلام إنه قيل له: يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حواصل^(٣) طير، ولكن في أبدان كأبدانهم^(٤) وقد مضى في حديث آخر في هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ»^(٥).

١- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٠٦، ح ١٥٢. ٢- الكافي: ج ٨، ص ١٥٦، ح ١٤٦.

٣- الحوصلة بالتخفيف والتشديد واحدة حواصل الطير، وهي ما يجتمع فيها الحب وغيره من المأكول، وهي للطير كالمعدة للانسان. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٥٠.

٤- الكافي: ج ٣، ص ٢٤٤، ح ١، باب آخر في أرواح المؤمنين.

٥- البقرة: ١٥٤. راجع الكافي: ج ٣، ص ٢٤٥، ح ٦، باب في أرواح المؤمنين.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾: وهي أمنهم ثواباً لأعمالهم.

﴿وَفَضْلٍ﴾: وهي الزيادة عليه كقوله سبحانه: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» (١)

وتنكيرهما للتعظيم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من جملة المستبشر به، وقرئ بكسر الهمزة

على الإستئناف.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
 أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: القمي: إن النبي ﷺ لما دخل المدينة من وقعة أحد
 نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلا من به
 جراحة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي يا معشر المهاجرين والأنصار، من كانت به
 جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويدأوونها
 فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح فلما بلغ رسول الله ﷺ حمراء الأسد (٢) وقريش قد
 نزلت الروحاء (٣) قال عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعمرو بن العاص، وخالد
 ابن الوليد، نرجع ونغير (٤) على المدينة، قد قتلنا سُرّاتهم (٥) وكبشهم يعنون حمزة، فوافاهم

١- يونس: ٢٦. ٢- حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة. القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣.

٣- الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٢٥.

٤- من الإغارة بمعنى الغارة. منه نَجَّى.

٥- السراة - بالمهملتين -: أعلى كل شيء. والكبش: سيد القوم. منه نَجَّى.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

رجل خرج من المدينة فسأله الخبر، فقال: تركت محمداً وأصحابه بجمراء الأسد يطلبونكم جدّ الطلب، فقال أبو سفيان: هذا النكد^(١) والبغي فقد ظفرنا بالقوم وبغينا والله ما أفلح قوم قطّ بغوا، فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: أين تريد؟ قال: المدينة لأمتار^(٢) لأهلي طعاماً، قال: هل لك أن تمرّ بجمراء الأسد وتلقى أصحاب محمد ﷺ وتعلمهم أنّ حلفاءنا ومواليّنا قد وافونا من الأحابيش^(٣) حتى يرجعوا عنّا ولك عندي عشرة قلائص أملؤها تمرّاً وزيبياً قال: نعم، فوافي من غد ذلك اليوم حمراء الأسد، فقال لأصحاب رسول الله ﷺ: أين تريدون؟ قالوا: قريشاً، قال: ارجعوا إنّ قريشاً قد اجتمعت إليهم حلفاؤهم، ومن كان تخلف عنهم، وما أظنّ إلّا وأوائل خيلهم يطّلعون عليكم الساعة، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل ما نبالي، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: ارجع يا محمد فإنّ الله قد أربع قريشاً ومروا لا يلوون على شيء، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأنزل الله: «الَّذِينَ أَشْجَبُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ» الآيات^(٤).

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾: يعني نعيم بن مسعود الأشجعي كذا في المجمع: عنها عليه السلام^(٥).

١ - نكد عيشهم بالكسر ينكد نكداً اشتد. ورجل نكد، أي عسر. الصحاح: ج ٢، ص ٥٤٥.

٢ - يقال فلان يمر أهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلدهم، من الميرة - بالكسر فالسكون - طعام يمتاره الإنسان. أي يجلبه من بلد إلى بلد. منه يترى.

٣ - حبشي: جبل بأسفل مكة، يقال منه سمي أحابيش قريش. باسم الجبل، الصحاح: ج ٣، ص ١٠٠٠. وهناك

٤ - تفصيل راجع. ٤ - تفسير القتيبي: ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٦.

٥ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٥٤١.

﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: يعني أبو سفيان وأصحابه.

﴿فَاخْشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: في المجمع:

عن الباقر عليه السلام: أنها نزلت في غزوة بدر الصغرى وذلك أن أبو سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف: يا محمد موعدنا بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت، فقال رسول الله ﷺ: ذلك بيننا وبينك، فلما كان عام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة^(١) من ناحية مَرَّ الظهران^(٢) ثم ألقى الله عليه الرعب فبداه في الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إني واعدت محمداً ﷺ وأصحابه أن نلتقي موسم بدر الصغرى، وإن هذه عام جذب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليه، وأكره أن يخرج محمد ﷺ ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأة، فالحق بالمدينة فتبطلهم^(٣) ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو، فأقني نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان، فقال: بش الرأي رأيكم آتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد، فكره أصحاب رسول الله الخروج فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي، فأما الجبان فإنه رجع وأما الشجاع فإنه تاهب للقتال، وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى وافى بدر الصغرى وهو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام فأقام ببدر ينتظر أبو سفيان، وقد انصرف أبو سفيان من مجنّة إلى مكة فسمّاهم أهل مكة جيش السوق، ويقولون: إنّا

١- المجنّة: الأرض الكثيرة الجن. موضع قرب مكة. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢١٠.

٢- بطن مرو: ويقال له: مر الظهران: موضع على مرحلة من مكة. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٣٣.

٣- تبطه عن الأمر تثبيطاً: شغله عنه، الصحاح: ج ٣، ص ١١١٧. وفي مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٤٠ جاء:

فبططهم: أي حبسهم بالجبن، يقال تبطه عن الأمر أي أثقله وأقعده. منه تبطط.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
 يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

خرجتم تشربون السوق، ولم يلق رسول الله ﷺ وأصحابه أحداً من المشركين ببدر، ووافوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا، وأصابوا الدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين^(١).

﴿فَانْقَلَبُوا﴾: فرجعوا من بدر.

﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: عافية وثبات على الإيمان، وزيادة فيه.

﴿وَفَضْلٍ﴾: وريح في التجارة.

﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: من جراحة وكيد عدو.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾: بجزأتهم وخروجهم.

﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: قد تفضل عليهم بالتثبيت، وزيادة الإيمان، والتوفيق

للمبادرة إلى الجهاد، والتصلب في الدين، وإظهار الجرأة على العدو، وبالحفظ عن كل ما يسوؤهم، وإصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل، وفيه تحسير وتخطئة للمتخلف حيث حرم نفسه ما فازوا به.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: يعني المبتط وهو نعيم.

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: القاعدين عن الخروج مع الرسول.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾: في مخالفة أمري.

﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يقتضي إثارة خوف الله على خوف الناس.

وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا غُلِيَ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا غُلِيَ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾

﴿وَلَا يَحْزُنُكَ﴾: قرئ بضم الياء وكسر الزاي.

﴿الَّذِينَ يُسْرِِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: خوف أن يضروك ويعينوا عليك، وهم المنافقون

من المتخلفين.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾: لن يضروا أولياء الله بمسارعتهم في الكفر، وإنما

يضرّون بها أنفسهم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: نصيباً من الثواب فيها، وفيه دلالة

على تمادي طغيانهم، وموتهم على الكفر وإن كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا

يكون لهم حظ من رحمته.

﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: مع الحرمان عن الثواب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾: تأكيد وتعميم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: قرئ بالياء.

﴿أَنَّمَا غُلِيَ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: الإملاء: الامهال واطالة العمر، أو تخليتهم

وشأنهم.

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

﴿إِنَّمَا غُمِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾: اللام للعاقبة أي ليكون عاقبة أمرهم إزدیاد الإثم.
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام انه سئل عن الكافر الموت خير له
أم الحياة ؟ فقال: الموت خير للمؤمن والكافر لأن الله يقول: «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (١)
ويقول: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا غُمِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ» الآية (٢).
﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: مخلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: حتى يميز المنافق من المخلص بالتكاليف الشاقة
التي لا يصبر عليها ولا يذعن بها إلا المخلص المخلصون، وقرئ يميز من التمييز.
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾: ليؤتي أحدهم علم الغيب فيطلع على ما
في القلوب من اخلاص ونفاق.
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: فيسوي إليه، ويخبره ببعض
المغيبات.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: مخلصين.
﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾: حق الإيمان.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا
لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ
مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿وَتَتَّقُوا﴾: النفاق.

﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: لا يقادر قدره.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾:

وقرئ بالتاء.

﴿بَلْ هُوَ﴾: أي البخل.

﴿شَرٌّ لَهُمْ﴾: لاستحلاب العقاب عليهم.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: سيلزمون وباله الإزام الطوق.

في الكافي: عن الباقر والصادق عليهما السلام: ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش^(١) من لحمه حتى يفرغ من الحساب، وهو قول الله تعالى: «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» يعني ما بخلوا به من الزكاة^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم

يمنع زكاة ماله إلا قلده الله تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضيين إلى يوم القيامة^(٣).

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وله ما فيها مما يتوارث فما هؤلاء يبخلون

١ - نهشته الحية: من باب ضرب ونفع - لسعته وعضته. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٥٦.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٥٠٢، ح ١، باب منع الزكاة.

٣ - الكافي: ج ٣، ص ٥٠٣، ح ٤، باب منع الزكاة.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٨١﴾

عليه بماله ولا ينفقونه في سبيل الله.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من المنع والإعطاء.

﴿خَيْرٌ﴾: فيجازيهم وقرئ بالتاء على الالتفات وهو أبلغ في الوعيد.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾: قاله اليهود لما

سمعوا: «مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا» كذا قيل^(١).

والقمي قال: والله ما رأوا الله فيعلموا أنه فقير، ولكنهم رأوا أولياء الله فقراء فقالوا:

لو كان غنياً لأغنى أولياءه ففخروا على الله بالغنى^(٢).

وفي المناقب: عن الباقر عليه السلام: هم الذين يزعمون أن الإمام يحتاج إلى ما يحملونه

إليه^(٣).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: في صحائف الكتبة، ونحفظه في علمنا لا نهمله لأنّه كلمة

عظيمة إذ هو كفر بالله واستهزاء به.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: أما والله ما قتلوهم

بأسيا فهم ولكن أذاعوا أمرهم وأفسحوا عليهم فقتلوا^(٤)، وقرئ سيكتب بالياء وضمها وقتلهم

بالرفع.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٩٥.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٧. ٣- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٤٨.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، ح ٧، باب الإذاعة.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا
 بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
 وَبِالْذِّكْرِ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾

﴿وَنَقُولُ﴾: وقرئ بالياء.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: وننتقم منهم هذا القول.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: بل إنما يعذب

بمقتضى العدل إن عذب ولم يتفضل.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾: أمرنا في التوراة وأوصانا.

﴿أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾: حتى يأتينا بهذه المعجزة

الخاصة التي كانت لأنبيا بني إسرائيل، وهو أن يقرب بقربان وهو ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها فيقوم النبي ﷺ فيدعو فتنزل نار من السماء فتحرق قربان من قبل منه وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن هذه إنما توجب الإيمان لكونها معجزة فهي وسائر المعجزات سواء في ذلك.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْذِّكْرِ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: تكذيب وإلزام بأن رسلاً جاؤوهم قبله كزكريّا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق، وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان امتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا^(١) بمن جاء به في معجزات أخر واجترأوا على قتله.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ
وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا
تُوقَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: كان بين القاتلين والقاتلين خمس مائة عام فالزمهم الله القتل لرضاهم بما فعلوا^(١) ومثله العياشي في عدّة روايات^(٢).

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات.

﴿وَالزُّبُرِ﴾: الحكَم، والمواعظ، والزواجر.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: المشتمل على الشرائع والأحكام، وقرئ وبالزبر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: وعد، ووعيد للمصدق والمكذب، وقرئ ذائقة

بالتنوين.

العياشي: عن الباقر عليه السلام: من قتل لم يذق الموت، ثم قال: لا بد من أن يرجع حتى يذوق

الموت^(٣).

وعنه عليه السلام: من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل^(٤) وقد مضى

الحديث الأول بتمامه عند تفسير قوله تعالى: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ»^(٥) من هذه السورة.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام انه قال: يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت

١- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٩، ح ١، باب في صنوف أهل الخلاف. وذكر القدرية والخواارج والمرجئة وأهل البلدان.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، ح ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ حسب الترقيم في الكتاب والظاهر ان

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٠.

الترقيم غلط فراجع.

٥- ذيل الآية: ١٤٤ من سورة آل عمران.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٢.

أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت، وحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل: قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عز وجل، فيقال له: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، وحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل، فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل: فليموتا، فتقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسولك وأمينك، فيقول: إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له: من بقي، وهو أعلم فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش: فليموتا، ثم قال: يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه، ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً؟ أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر^(١).

﴿وَإِنَّمَا تُؤْقِنُونَ أَجُورَكُمْ﴾: تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً تاماً وافياً
 ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يوم قيامكم عن القبور، وقد يكون قبلها بعض الأجور كما يدل عليه أخبار ثواب القبر وعذابه.

﴿فَنَزَحَ عَنِ النَّارِ﴾: بوعدها.
 ﴿وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: ظفر بالنجاة، ونيل المراد.
 في المجالس: عن النبي ﷺ حاكياً عن الله عز وجل في حديث: فبِعَزَّتِي حلفت وبجلالي أقسمت أنه لا يتولى علياً عبيداً عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار وأدخلته الجنة، ولا يبغضه أحد من عبادي إلا أبغضته وأدخلته النار وبئس المصير^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق خياركم سمحائكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان والسعي في حوائجهم، وإنّ البار بالإخوان ليجبه الرحمن، وفي ذلك مرغمة

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٥٦، ح ٢٥، باب النوادر. وفيه: «ثم يأخذ الأرض بيمينه والسموات بيمينه».

٢- الأمالي للشيخ الصدوق: ص ١٨٤ - ١٨٥، ح ١٠، المجلس التاسع والثلاثون.

لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ
تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

للسيطان، وتزعزح عن النيران، ودخول الجنان (١).

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي زخارفها وفضولها.

﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: مصدر أو جمع غار.

﴿لَتُبْلَوْنَ﴾: أي والله لتختبرن.

﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾: بتكليف الإنفاق وما يصيبه من الآفات.

﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾: بالجهاد والقتل والأسر والجراح، وما يرد عليها من المخاوف

والأمراض والمتاعب.

وفي العلل: عن الرضا عليه السلام: في أموالكم بإخراج الزكاة، وفي أنفسكم بالتوطين على

الصبر (٢).

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

أَذًى كَثِيرًا﴾: من هجاء الرسول ﷺ والطعن في الدين، وإغراء الكفرة على المسلمين، وغير

ذلك، أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والإحتال، ويستعدوا للقاءها

حتى لا يرهقهم نزولها بغتة.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾: على ذلك.

١- الكافي: ج ٤، ص ٤١، ح ١٥، باب معرفة الجود والسخاء.

٢- علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٦٩، ح ٣، باب ٩٠- علة الزكاة.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَبُشِّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿وَتَتَّقُوا﴾: مخالفة أمر الله.
﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾: يعني الصبر والتقوى.
﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: مما يجب ثبات الرأي عليه نحو إمامائه.
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾: اذكر وقت أخذه.
﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ القمّي: عن الباقر عليه السلام: يعني في
محمد عليه السلام (١).

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾: قال: إذا خرج وقرئ بالياء فيها.
﴿فَنَبَذُوهُ﴾: أي الميثاق.
﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: فلم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، والتبذ وراء الظهر: مثل في ترك
الإعتداد، وعدم الالتفات، ويقال به جعله نصب عينيه.
﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾: أخذوا بدله.
﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: من حطام الدنيا، واعراضها.
﴿فَبُشِّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾: في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما أخذ الله على أهل
الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (٢).
وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام في حديث يذكر فيه أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله الملحدين في

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ
يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾

آيات الله تأويل لهذه الآية^(١) وقد سبق ذكره في المقدمة السادسة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾: يعجبون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق، أو من الطاعات والحسنات، وقرئ بالياء.

﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾: من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق أو كل خير.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾: تأكيد، وقرئ بالياء وضم الباء.

﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمنجاة، والقَمِي: عن الباقر عليه السلام: ببعد^(٢).

﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: بكفرهم وتدليسهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فهو يملك أمرهم.

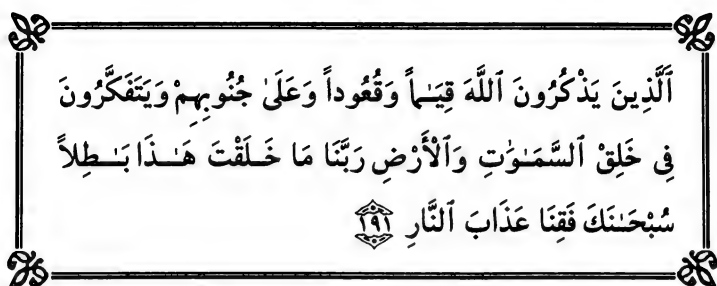
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على عقابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي

١- راجع الاحتجاج: ج ١، ص ٣٨٣، من قوله: «ولقد احضروا الكتاب كمالاً مشتتاً على التأويل» إلى قوله:

«فبئس ما يشتركون» كما في بعض النسخ من الكتاب.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٩.



الْأَلْبَبُ: لدلائل واضحة على التوحيد، وكمال علمه سبحانه وحكمته، ونفاذ قدرته ومشيتته لذوي العقول الخالصة عن شوائب الحس والوهم.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾: في جميع الأحوال، وعلى جميع الهيئات.

﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: عن النبي ﷺ: من أحب أن يرتع في رياض

الجنة فليكثر ذكر الله^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أكثر ذكر الله تعالى أحبه الله^(٢).

وفيه^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام في قوله «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا» قال: الصحيح

يصلي قائماً وقعوداً، والمريض يصلي جالساً «وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» الذي يكون أضعف من المريض

الذي يصلي جالساً^(٤).

وفي الأمالي^(٥) والعياشي: عنه عليه السلام: لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً أو

جالساً أو مضطجعاً إن الله تعالى يقول: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ»^(٦).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ويعتبرون بها.

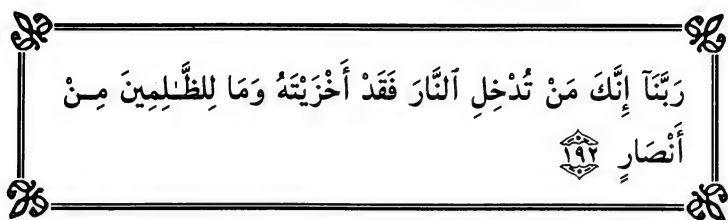
١- التفسير الكبير: ج ٩، ص ١٣٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩-٥٠٠، ح ٣، باب ذكر الله.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٤١١، ح ١١، باب صلاة الشيخ الكبير والمريض.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١١، ح ١٧٤. ٥- الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٧٩، ح ٢٥/١١٦.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١١، ح ١٧٢.



في الكافي: عن الصادق عليه السلام: أفضل العبادات إيمان التفكر في الله، وفي قدرته ^(١).
وعنه عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نبه في التفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، وأتق الله ربك ^(٢).
وعن الرضا عليه السلام: ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم إنما العبادة التفكر في أمر الله عز وجل ^(٣).
وعن النبي صلى الله عليه وآله: تفكر ساعة خير من قيام ليلة ^(٤).
وفي رواية: من عبادة سنة ^(٥) وفي أخرى: ستين سنة ^(٦).
وإنما اختلفت لاختلاف مراتب التفكر، ودرجات المتفكرين، وأنواع المتفكر فيه.
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾: الخلق.
﴿بَطِلَاءٌ﴾: عبثاً ضائعاً من غير حكمة، يعني يقولون ذلك.
﴿سُبْحَنَكَ﴾: تنزهاً لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض.
﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه.
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم صار سبباً لإدخالهم النار، وانقطاع النصرة عنهم

١- الكافي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٣، باب التفكر. ٢- الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ١، باب التفكر.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٥٥، ح ٤، باب التفكر.

٤- تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٣٧٦، وتفسير القرطبي: ج ٤، ص ٣١٤ والدر المنثور: ج ٢، ص ١١١ وراجع الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٢، باب التفكر.

٥- تفسير القرطبي: ج ٤، ص ٣١٤ والميزان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٩٠.

٦- الدر المنثور: ج ٢، ص ١١١.

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

في الخلاص منها، العياشي: عن الباقر (عليه السلام): ما لهم من أئمة يسمونهم بأسمائهم (١).

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾: هو الرسول، وقيل: القرآن (٢).

﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾: بأن آمنوا.

﴿فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا فإنها ذات تبعات وأذئاب.

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾: صفائرنا فإنها مستقبحة، ولكنها مكفرة عن مجتنب الكبائر.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبته معدودين في زمريهم.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾: أي على ألسنتهم وإنما سألوا ما وعدوا

مع أنه لا يخلف الله وعده تعبدًا واستكانة وخافة أن يكونوا مقصرين في الإمتثال.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: بأن تعصنا عما يقتضي الحزي.

﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾: بإثابة المؤمن وإجابة الداعي، وتكرير «رَبَّنَا» للمبالغة في

الإبتهال، والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها.

وروي: من حزنه أمر فقال خمس مرّات: «رَبَّنَا»، أنجاه الله مما يخاف (٣).

في المجمع: عن النبي لما نزلت هذه الآية قال: ويل لمن لا كهبا بين فكّيه ولم يتأمل ما فيها (٤).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١١، ح ١٧٥. ٢- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٩٩.

٣- تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٣٣. وفيه من حزيه.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٥٤.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ
 أَوْ أَنْتُمْ بُغِضْتُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
 سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
 مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: إني طلبتهم.
 ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ﴾: بأني لا أضيع، وقرئ بالكسر على إرادة القول.
 ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بُغِضْتُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾: لأن الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر، أو
 لأنهما من أصل واحد، أو لفرط الإتيان والاتحاد لإتفاقهم في الدين والطاعة، وهو اعتراض ^(١)،
 روي: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء؟ فأنزل الله ^(٢).
 ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: الأوطان والعشائر للدين.
 ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي﴾: بسبب إيمانهم بالله، ومن أجله.
 ﴿وَقَتَلُوا﴾: الكفار.

﴿وَقُتِلُوا﴾: في الجهاد، وقرئ بتقديم «وقتلوا» وبتشديد تائها.
 ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
 مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾: في الأمالى: إن أمير المؤمنين عليه السلام لما هاجر من
 مكة إلى المدينة ليلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وقد قارع ^(٣) الفرسان من قريش ومعه فاطمة بنت أسد،

١- هكذا في الأصل، والمقصود. وهي جملة اعتراضية.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٥٩.

٣- قارعه أفرعه بفتحيتين: غلبته. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٧٧.

لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

وفاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم، وفاطمة بنت الزبير، فسار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان^(١)، فلزم بها يوماً وليلة ولحق به نفر من ضعفاء المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، وكان يصلي ليلته تلك هو والفواطم، ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزلوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى ﷺ بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه فجعل وهن يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل، يعبدون الله عز وجل، ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً» الآيات قوله: «مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى» الذكر علي ﷺ والأنثى الفواطم: «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» يعني علي من فاطمة، أو قال: الفواطم، وهن من علي^(٢).

والقمتي: «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم» يعني أمير المؤمنين ﷺ، وسلمان، وأباذر حين أخرج، وعمار الذين أودوا في سبيل الله^(٣).

أقول: وتشمل الآيات كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾: تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم،

ومزارعهم، وسعتهم في عيشهم وحظهم، الخطاب: لكل أحد أو للنبي ﷺ، والمراد أمته.

روي: إن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش، فيقولون: إن

أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع، فنزلت^(٤).

﴿مَتَّعْ قَلِيلٌ﴾: ذلك التقلب متاع قصير مدته، يسير في جنب ما أعد الله تعالى للمؤمنين.

١ - الضجن - محركة - جبل، وضجنان كسكران: جبل قرب مكة. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٤٣.

٢ - الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٧١، ح ٣٧/١٠٣ المجلس السادس عشر مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ

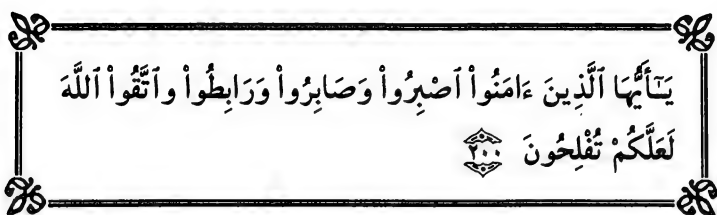
الحديث. ٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٩. ٤ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٠.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا نَزْلاً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾
 وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

في الحديث النبوي ﷺ: ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم
 فلينظر بم يرجع (١).

﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ﴾: ما مهدوا لأنفسهم.
 ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا نَزْلاً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: النزول: ما يعدّ للنازل من طعام وشراب وصلة.
 ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: لكثرتة ودوامه.
 ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار، لقلته، وسرعة زواله، وامتزاجه بالآلام.
 ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: من القرآن.
 ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الكتابين.
 ﴿خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: كما فعله المحرّفون من
 أحبارهم.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: ويؤتون أجرهم مرتين كما وعدوه في آية
 أخرى.



﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: لعلمه بالأعمال، وما يستوجهه كل عامل من الجزاء فيسرع في الجزاء، ويوصل الأجر الموعود سريعاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا﴾: على الفرائض.

﴿وَصَابِرُوا﴾: على المصائب.

﴿وَرَابِطُوا﴾: على الأئمة، كذا في الكافي^(١)، عن الصادق عليه السلام، والقاسمي، عنه عليه السلام: اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، وربطوا على الأئمة^(٢).

والعياشي عنه: اصبروا على المعاصي، وصابروا على الفرائض^(٣).

وفي رواية: اصبروا على دينكم، وصابروا عدوكم ممن يخالفكم، وربطوا إمامكم^(٤).

وعن الباقر عليه السلام: وصابروا على التقية^(٥).

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام: اصبروا على المصائب، وصابروهم على الفتنة، وربطوا على من تقتدون به^(٦).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام: يعني فيما أمركم به وافترض عليكم^(٧).

١- الكافي: ج ٢، ص ٨١، ح ٣، باب اداء الفرائض.

٢- تفسير القاسمي: ج ١، ص ١٢٩.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٢، ح ١٧٩.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٢-٢١٣، ح ١٨١.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١٨٤.

٦- معاني الأخبار: ص ٣٦٩، ح ١، باب معنى الصبر والمصابرة والمرابطة. وفيه: «وصابروهم على التقية».

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٢-٢١٣، ح ١٨١.

والقَمِي: عن السَّجَّاد عليه السلام نزلت الآية في العَبَّاس، وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك من نسلنا المرباط ومن نسله المُرَّابط^(١).
وفي المجمع: عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: رابطوا الصلوات، وقال أي انظروها واحدة بعد واحدة فإن المرباطة لم تكن حينئذٍ^(٢).
وعن النبي صلى الله عليه وآله: من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة^(٣)، وقد مضى ثواب قراءة هذه السورة في آخر سورة البقرة.

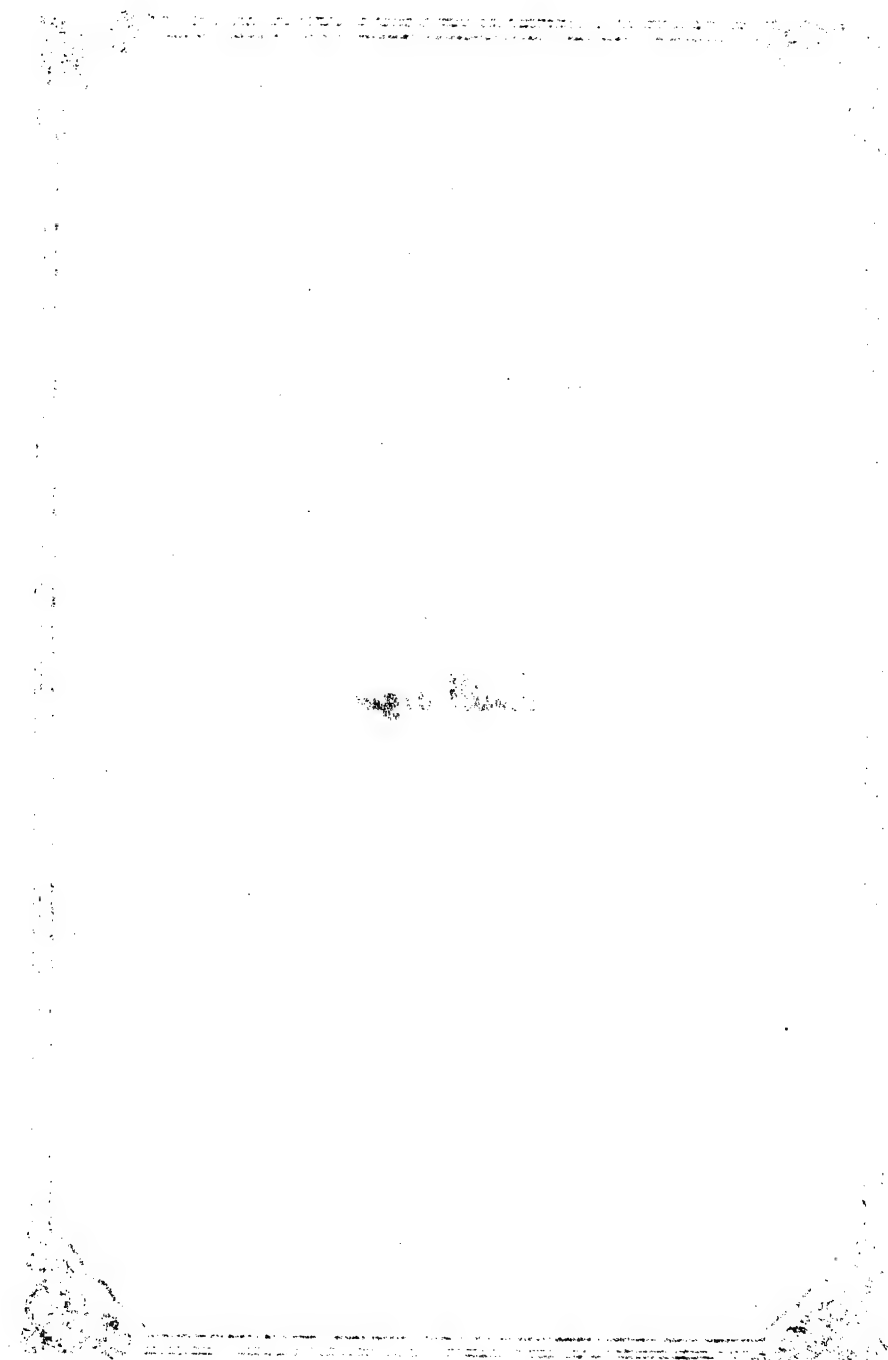


١- تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٣.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٦٢.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٥٦٢.

سورة النساء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

سورة النساء: مدنيّة كلّها وقيل: أنّها مدنيّة إلا قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمْنَ»^(١) الآية وقوله: «يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ»^(٢) الآية فإنّهما
نزلتا بمكة. وعدد آياتها مائة وسبع وسبعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾: هي آدم على
نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام.
﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: هي حواء عليها السلام. القمي: برأها من أسفل أضلاع^(٣).

١ - النساء: ٥٨.

٢ - هذه الآية ليست آية واحدة، بل هي مركبة من آيتين إحداهما: آية ١٢٧ «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ
يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...» وثانيها: آية ١٧٦: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ...»، فتدبر.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾: نشر.

﴿رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: بنين وبنات كثيرة، ورثب الأمر بالتقوى على ذلك لما فيه من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى، والنعمة الظاهرة التي توجب طاعة مولاهما.

العياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال خلقت حواء من قُصِيرَى جنب آدم، والقصيري: هو الضلع الأصغر فأبدل الله مكانه لحماً^(١).

وفي رواية: خلقت حواء من جنب آدم وهو راقد^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: إن الله خلق آدم من الماء والطين، فهمة ابن آدم في الماء والطين، وإن الله خلق حواء من آدم، فهمة النساء الرجال^(٣)، فحصنوهن في البيوت^(٤).

وفي الفقيه^(٥) والعلل عنه عليه السلام أنه سئل عن خلق حواء؟ وقيل له: إن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أيقول من يقول هذا؟ إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه!! ويجعل للمتكلّم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام، أن يقول: إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه، ما لهؤلاء؟ حكم الله بيننا وبينهم، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين وأمر الملائكة فسجدوا له ألقى عليه السبات، ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل فأقبلت تتحرّك فانتبه لتحركها، فلما انتبه نوديت أن تنحي عنه، فلما نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها انتى فكلّمها فكلّمته بلغته، فقال لها: من أنت؟ فقالت: خلق خلقتني الله كما ترى، فقال آدم عليه السلام عند ذلك: يا رب من هذا الخلق الحسن الذي قد أنسنى قربه والنظر إليه؟ فقال الله: يا آدم هذه أمتي حواء أحب أن تكون معك فتونسك وتحدّثك وتأتمر لأمرك؟

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٢. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٣.

٣- وفي نسخة: [همة النساء بالرجال]. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٤.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٣٩، ح ١١٣٣ / ١ باب ٩٩- بدء النكاح وأصله.

فقال: نعم يا ربّ ولك عليّ بذلك الشكر والحمد ما بقيت، فقال الله تبارك وتعالى: فاخطبها إليّ فإنّها أمتي وقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة وقد علّمه قبل ذلك المعرفة بكلّ شيء، فقال: يا ربّ فإنّي أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ فقال: رضائي أن تعلّمها معالم ديني، فقال: ذلك لك يا ربّ عليّ إن شئت ذلك لي، فقال: قد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمّها إليك، فقال لها آدم عليه السلام: إليّ فأقبلي، فقالت: لا بل أنت فاقبل إليّ، فأمر الله تعالى آدم أن يقوم إليهما، فقام ولولا ذلك لكنّ النساء يذهبن حتى يخطبن على أنفسهنّ، فهذه قصّة حواء صلوات الله عليها^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: أنّه سئل: من أيّ شيء خلق الله حواء؟ فقال: أي شيء يقولون هذا الخلق؟ قلت: يقولون إنّ الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم، فقال كذبوا أكان الله يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه؟ فقلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله من أي شيء خلقها؟ فقال: أخبرني أبي عن آبائه: قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه - وكلتا يديه يمين - فخلق منها آدم وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء^(٢).

وفي العلل عنه عليه السلام: خلق الله عزّ وجلّ آدم من طين، ومن فضلته وبقيته خلقت حواء^(٣).

وفي رواية أخرى: خلقت من باطنه، ومن شماله، ومن الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر^(٤).

قال في الفقيه: وأمّا قول الله عزّ وجلّ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

١ - علل الشرائع: ص ١٧، ح ١، باب ١٧، علّة كيفة بدء النسل.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٦، ح ٧.

٣ - علل الشرائع: ص ٥١٢، ح ١، باب ٢٨٦ - العلة التي من أجلها فضل الرجال على النساء.

٤ - راجع علل الشرائع: ص ٤٧١، ح ٣٣، باب ٢٢٢ - النوادر.

نَفْسٍ وَاحِدَةً وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا»^(١).

والخبر الذي روى أَنَّ حَوَاءَ خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيح، ومعناه من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر، فلذلك صارت أضلاع الرجال أنقص من أضلاع النساء بضلع^(٢).

أقول: فما ورد أَنَّها خلقت من ضلعه الأيسر إشارة إلى أَنَّ الجهة الجسمانية الحيوانية في النساء أقوى منها في الرجال، والجهة الروحانية الملكية بالعكس من ذلك، وذلك لأنَّ اليمين مما يكتنَّى به عن عالم الملكوت الروحاني، والشمال مما يكتنَّى به عن عالم الملك الجسماني، فالطين عبارة عن مادة الجسم، واليمين عبارة عن مادة الروح، ولا ملك إلا بملكوت وهذا هو المعنى بقوله ﷺ: «وكلتا يديه يمين» فالضلع الأيسر المنقوص من آدم كناية عن بعض الشهوات التي تنشأ من غلبة الجسمية التي هي من عالم الخلق: وهي فضلة طينة المستنبط من باطنه التي صارت مادة لخلق حواء، فنبت في الحديث على أَنَّ جهة الملكوت والأمر في الرجال أقوى من جهة الملك والخلق، وبالعكس منها في النساء فإنَّ الظاهر عنوان الباطن، وهذا هو السرُّ في هذا النقص في أبدان الرجال بالإضافة إلى النساء، وأسرار الله لا يناها إلا أهل السرِّ. فالتكذيب في كلام المعصومين صلوات الله عليهم إنما يرجع إلى ما فهمه العامة من حمله على الظاهر دون أصل الحديث.

وفي العلل: عن الصادق ﷺ: أَنَّهُ سئل عن بدء النسل من ذرية آدم ﷺ؟ وقيل له: إِنَّ عندنا أناساً يقولون: إِنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته من بنيه، وإنَّ هذا الخلق أصله كلّ من الإخوة والأخوات، فقال ﷺ سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من يقول هذا؟ إِنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل أصل صفوة خلقه، وأحبائه، وأنبيائه، ورسله، والمؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، من حرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٤٠، ذيل ح ١١٣٣ / ١، باب ٩٩- بدء النكاح وأصله.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٤٠، ح ١١٣٥ / ٣، ب ٩٩- بدء النكاح وأصله.

الحلال؟ وقد أخذ ميثاقهم على الحلال، والطهر الطاهر الطيب، والله لقد نَبَّئتُ أن بعض البهائم تنكَّرت له أخته فلما نزا عليها، ونزل كشف له عنها، وعلم أنها أخته، أخرج غرموله^(١) ثم قبض عليه بأسنانه، ثم قلعه، ثم خرَّ ميتاً^(٢).

وفي رواية أخرى: عنه عليه السلام: ما يقرب منه مع تأكيد بليغ في تحريم الأخوات على الإخوة، وأنه لم يزل كذلك في الكتب الأربعة المنزلة المشهورة، وأنَّ جيلاً^(٣) من هذا الخلق رغبوا عن علم أهل بيوتات الأنبياء وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل^(٤).

وفي آخرها: ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المحوس فما لهم قاتلهم الله، ثم قال: إنَّ آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً في كلِّ بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل، فلما قتل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعته عن اتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام، ثم تجلَّى ما به من الجزع عليه فغشى حواء فوهب الله له شيئاً وحده ليس معه ثان، واسم شيت هبة الله، وهو أول وصيٍّ أوصي إليه من الآدميين في الأرض، ثم ولد له من بعد شيت يافث ليس معه ثانٍ فلما أدركا وأراد الله عزَّ وجلَّ أن يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرَّم الله عزَّ وجلَّ من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمر الله عزَّ وجلَّ آدم أن يزوجه من شيت فزوجه منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة فأمر الله عزَّ وجلَّ

١ - الغُرمول - على وزن الخرطوم، بالغين المجمة والراء المهملة والميم والواو واللام -: الذكر. منه تفصيلاً. وقال الفيروز آبادي: الغُرمول - بالضم -: الذكر الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٤. وقال ابن منظور: الغرمول - الذكر الضخم الرخوة، وقد قيل: الذكر مطلقاً، ويقال له الغرمول قبل أن تقطع غرلته، وقيل: الغرمول لذوات الحافر، لسان العرب: ج ١٠، ص ٦٠، مادة «غرم».

٢ - علل الشرائع: ص ١٨، ح ٢، باب ١٧ - علّة كيفية بدء النسل.

٣ - وفي نسخة: [أَنَّ الجُهلاء].

٤ - علل الشرائع: ص ١٩، ذيل ح ٢، باب ١٧، علّة كيفية بدء النسل.

آدم أن يزوجه من يافث فزوجه منه، فولد لشيث غلام، وولد ليافث جارية، فأمر الله تعالى آدم حين أدركا أن يزوج ابنة يافث من ابن شيث ففعل، وولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من أمر الإخوة والأخوات^(١).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: إن آدم ولد له شيث، وأن اسمه هبة الله، وهو أول وصي أوصي إليه من الآدميين^(٢). وساق الحديث إلى آخر ما ذكره في العلل.

والعياشي: عنه عليه السلام: قيل له: إن الناس يزعمون أن آدم زوج ابنته من ابنه، فقال: قد قال الناس: ذلك، ولكن أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم^(٣).

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام أنه ذكر له المجوس، وأنهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم، وأنهم يحاجوننا بذلك، فقال: أما أنتم فلا يحاجونكم به لما أدرك هبة الله قال آدم: يا رب زوج هبة الله فأهبط الله عز وجل حوراء فولدت له أربعة غلمة، ثم رفعها الله فلما أدرك ولد هبة الله قال: يا رب زوج ولد هبة الله فأوحى الله عز وجل إليه أن يخطب إلى رجل من الجن وكان مسلماً أربع بنات له على ولد هبة الله فزوجهن، فما كان من جمال وحلم فن قبل الحوراء والنبوة، وما كان من سفه أو حدة^(٤) فمن الجن^(٥).

والعياشي: عنه عليه السلام قال: إن آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليه أربعة من الحور العين. فزوج كل واحد منهم واحدة. فتولدوا، ثم إن الله رفعهن وزوج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فن آدم، وما كان من جمال فن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فن الجن^(٦).

١ - علل الشرائع: ص ١٩ - ٢٠، ذيل ح ٢، باب ١٧ - كيفية بدء النسل.

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٤٠، ح ١١٣٦ / ٤، باب ٩٩ - بدء النكاح وأصله.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٢، ح ٨٣.

٤ - الحدة: ما يعتري الإنسان من الزق والغضب. مجمع البحرين ج ٣ ص ٣٥ مادة «حد».

٥ - الكافي: ج ٥، ص ٥٦٩، ح ٥٨.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٥.

وفي رواية: لما ولد لآدم هبة الله وكبر سأل الله أن يزوجه فأنزل الله له حوراء من الجنة فزوجها إياه فولدت له أربعة بنين، ثم ولد لآدم ابن آخر. فلما كبر أمره فزوج إلى الجان فولد^(١) له أربع بنات، فزوج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمال فن قبل الحوراء، وما كان من حلم فن قبل آدم، وما كان من خفة فن قبل الجان، فلما توالدوا صعدت الحوراء إلى السماء^(٢).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام إن الله عز وجل أنزل على آدم حوراء من الجنة فزوجها أحد ابنيه وتزوج الآخر ابنة الجان، فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان^(٣).

وفي قرب الإسناد: عن الرضا عليه السلام: حملت حواء هاويل واختاً له في بطن، ثم حملت في البطن الثاني قابيل واختاً له في بطن، فزوج هاويل التي مع قابيل وتزوج قابيل التي مع هاويل، ثم حدث التحريم بعد ذلك^(٤).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: إن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت في أول بطن قابيل، وقيل: قابين وتوأمته اقلما بنت آدم، والبطن الثاني هاويل وتوأمته^(٥) لوزاء، فلما أدركوا جميعاً أمر الله تعالى آدم أن ينكح قابيل أخت هاويل، وهاويل أخت قابيل، فرضي هاويل وأبي قابيل، لأن أخته كانت أحسنهما، وقال: ما أمر الله بهذا ولكن هذا من رأيك، فأمرهما الله أن يقربا قرباناً فرضيا بذلك^(٦) الحديث ويأتي تمامه في سورة المائدة عند تفسير «وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ»^(٧).

وفي الإحتجاج: عن السجاد عليه السلام يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم

١- وفي نسخة: [أن تزوج الجان].

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٦، ح ٦. وفيه «وما كان من حقدٍ فن قبل الجان»، والظاهر أن هذا هو الأظهر.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٤٠ - ٢٤١، ح ١١٣٧ / ٥، باب ٩٩- بدء النكاح وأصله.

٤- قرب الإسناد: ص ٣٦٦، ح ١٣١١.

٥- التوأم: من جميع الحيوان المولود مع غيره في بطن من الاثنين فصاعداً. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٨٢.

٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٨٣. ٧- المائدة: ٢٧.

واقع حواء ولم يكن غشياً منذ خلق وخلقت إلّا في الأرض وذلك بعدما تاب الله عليه قال: وكان آدم ﷺ يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه فإذا جاز الحرم غشياً في الحلّ ثم يغتسلان إعظماً منه للحرم، ثم يرجع إلى فناء البيت، قال: فولد لآدم من حواء عشرون ذكراً وعشرون أنثى، يولد له في كلّ بطن ذكر وأنثى، فأوّل بطن ولدت حواء هاويل ومعه جارية يقال لها: اقليا، قال: فولدت في البطن الثاني قابيل، ومعه جارية يقال لها: لوزاء، وكانت لوزاء أجمل بنات آدم، قال: فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه، وقال: أريد أن أنكحك يا هاويل لوزاء، وأنكحك يا قابيل اقليا، قال قابيل: ما أَرْضَى بهذا أتُكحني أخت هاويل القبيحة، وتكح هاويل أختي الجميلة؟ قال: فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزاء أو خرج سهمك يا هاويل على اقليا زوجت كلّ واحد منكما التي خرج سهمه عليها، قال: فرفضاً بذلك فأقرعاً قال: فخرج سهم قابيل على اقليا أخت هاويل، وخرج سهم هاويل على لوزاء أخت قابيل، قال: فزوجها على ما خرج لها من عند الله، قال: ثم حرّم الله تعالى نكاح الأخوات بعد ذلك، قال: فقال له القرشي: فأولدهما؟ قال: نعم: فقال له القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم، قال: فقال ﷺ: إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.

ثم قال ﷺ له: لا تنكروا هذا إنّما هي شرائع الله جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه، ثم أحلّها له فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك^(١).

إن قيل: كيف التوفيق بين هذه الأخبار والأخبار السابقة؟^(٢).

قلنا: الأخبار الأولى هي الصحيحة المعتمد عليها، فأما الأخيرة فإنما وردت موافقة للعامة، فلا اعتماد عليها مع جواز تأويلها بما توافق الأوّلة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾: أي يسأل بعضكم بعضاً فيقول: أسألك

١- الإحتجاج: ج ٢، ص ٤٣-٤٤، إحتجاج السجّاد ﷺ في علوم شتى.

٢- وفي نسخة: [الأوّلة].

بالله، وأصله تتساءلون فأدغمت التاء في السين، وقرئ بالتخفيف وطرح التاء.
﴿وَالْأَرْحَامَ﴾: واتقوا الأرحام أن تقطعوها كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام ^(١).
وقيل: هو من قولهم أسألك بالله والرحم أن تفعل كذا، وأنشدك بالله والرحم ^(٢) يعني كما
أتكم تعظمون الله بأقوالكم فعظموه بطاعتكم آياه، وعليه بناء قراءته بالجر.
والقمتي: قال: تتساءلون يوم القيامة عن التقوى هل اتقيتم؟ وعن الرحم هل
وصلتموها؟ ^(٣).

وفي الكافي ^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: هي أرحام الناس إن الله عز وجل أمر
بصلتها، وعظمها ألا ترى أنه جعلها معه ^(٥).
أقول: يعني قرنها باسمه في الأمر بالتقوى.
وفي الكافي: عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، ثم تلا
هذه الآية ^(٦).

وعن الرضا عليه السلام: إن رحم آل محمد: الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم لمعلقة بالعرش
تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني، ثم هي جارية بعدها في أرحام المؤمنين، ثم تلا
هذه الآية ^(٧).

وفي العيون: عنه عليه السلام: إن الله أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة إلى قوله: وأمر باتقاء الله،
وصلة الرحم، فمن لم يصل رحمه لم يتق الله ^(٨).

وعنه، عن أبيه، عن آبائه، عن علي: قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء

١ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣. ٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠.

٤ - الكافي: ج ٢، ص ١٥٠، ح ١، باب صلة الرحم وفيه «جعلها منه».

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٧، ح ٩. ٦ - الكافي: ج ٢، ص ١٥٠، ح ٢٢، باب صلة الرحم.

٧ - الكافي: ج ٢، ص ١٥٦، ح ٢٦، باب صلة الرحم.

٨ - عيون أخبار الرضا: ص ٢٥٨، ح ١٣، باب ٢٦ - ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

وَأَتُوا آلَيْسَمَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ
خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي آلَيْسَمَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ
النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

رأيت رجلاً معلقة بالعرش تشكو رجلاً إلى ربه، فقلت لها: كم بينك وبينها من أب؟ فقالت:
نلتقي في أربعين أباً^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حفيظاً^(٢).

﴿وَأَتُوا آلَيْسَمَى أَمْوَالَهُمْ﴾: يعني إذا بلغوا وأنتم منهم رشدًا كما في الآية الأخرى.

﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾: ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من

أموالكم، بأن تتعجلوا الحرام من أموالهم قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم.

وقيل: كانوا يأخذون الرفيع من أموالهم، ويجعلون مكانه الخسيس ففهموا عنه^(٣).

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾: مضمومة إليها مسوِّين بينهما فإن أحدهما

حلال والآخر حرام، يعني فيما زاد على قدر أجره لقوله سبحانه: «فليأكل بالمعروف»^(٤).

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: ذنباً عظيماً. قرئ حوباً على المصدر.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي آلَيْسَمَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾:

١ - عيون أخبار الرضا: ص ٢٥٥، ح ٥، ب ٢٦، ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

٢ - القمي في رواية أبي الجارود، الرقيب: الحفيظ منه عليه السلام.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٢.

٤ - النساء: ٦.

قيل: يعني إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضناً^(١) بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن^(٢).

وذكر القمي: وغيره في سبب نزوله، وكيفية نظام محضوله، واتصال فصوله: وجوهاً أخر^(٣) ولا يخفى شيء منها عن تعسف.

وفي الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لبعض الزنادقة في حديث: وأما ظهورك على تناكر قوله تعالى: «وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء» فليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولا كل النساء اليتامى فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المناققين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المناققين فيه لأهل النظر والتأمل ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساعاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرّف وبُدِّل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقيّة اظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء^(٤).

﴿مَتْنٌ وَثَلَّثَ وَرُبَعَ﴾: ثنتين ثنتين، وثلاث ثلاث، وأربع أربع، تخيير في العدد لكل أحد إلى أربع.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا جمع الرجل أربعاً فطلق إحداهن فلا يتزوج الخامسة حتى تنقضي عدة المرأة التي طلق^(٥). وقال: لا يجمع الرجل مائة في خمس^(٦).

١ - عن الباقر رضي الله عنه من باب - تعب ضناً وضنة بالكسر، وضنّانة بالفتح: بحل. المصباح المنير: ص ٣٦٥.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠.

٤ - الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٧، باب احتجاجه عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٥ و ٦ - الكافي: ج ٥، ص ٤٢٩، ح ١، باب الذي عنده أربع نسوة فيطلق واحدة ويتزوج قبل انقضاء عدتها.

والعياشي: عنه عليه السلام: لا يحلّ لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر ^(١).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: بين هذه الأعداد.

﴿فَوَجِدْهُ﴾: فأنكحوا واحدة وذروا الجمع.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: وإن تعدّدن لحقة مؤونتهنّ، وعدم وجوب القسم بينهنّ، وفي حكمهنّ المتعة.

ففي الكافي: عن الصادق عليه السلام في غير واحدة من الروايات، أنها ليست من الأربع، ولا من السبعين وإنهنّ بمنزلة الإماء لأنهنّ مستأجرات لا تطلق، ولا ترث، ولا تورث، وإنّ العبد ليس له أن يتزوج إلاّ حرتين أو أربع إماء، وله أن يتسرى بإذن مولاه ماشاء ^(٢).

وعنه عليه السلام: إنّ الغيرة ليست إلاّ للرجال، وأمّا النساء فإنما ذلك منهنّ حسد، والغيرة للرجال ولذلك حرم الله على النساء إلاّ زوجها وأحلّ للرجال أربعاً، إنّ الله أكرم أن يبتلهنّ بالغيرة ويحلّ للرجل معها ثلاثاً ^(٣).

وعنه عليه السلام: «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا» يعني في النفقة ^(٤). وأمّا قوله تعالى: «وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ» ^(٥) يعني في المودة ^(٦).

والعياشي: عنه عليه السلام: في كلّ شيء إسراف إلاّ في النساء، قال الله تعالى: «فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ» ^(٧).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٨، ح ١٤.

٢ - الكافي: ج ٥، ص ٤٥١، باب انهنّ بمنزلة الإماء وليست من الأربع.

٣ - الكافي: ج ٥، ص ٥٠٤، ح ١، باب غيرة النساء.

٤ - الكافي: ج ٥، ص ٣٦٣، ح ١، باب فيما أحله الله عزّ وجلّ من النساء.

٥ - النساء: ١٢٩.

٦ - الكافي: ج ٥، ص ٣٦٣، ح ١، باب فيما أحله الله عزّ وجلّ من النساء.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٨، ح ١٣.

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ
نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾

﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾: أقرب من أن لا تميلوا، من عال الميزان إذا مال، وأن لا تموتوا، من عال الرجل عياله إذا ماتهم، ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا في الشواذ من أعال الرجل إذا كثر عياله. والقمي: أي لا يتزوج ما لا يقدر أن يعول^(١).

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ﴾: مهورهن.

﴿نِحْلَةً﴾ القمي: أي هبة^(٢). وقيل: عطية من الله وتفضلاً منه عليهن أو ديناً من الله شرعه وفرضه، وظاهر الآية أن يكون الخطاب للأزواج^(٣).

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: من تزوج امرأة ولم ينو أن يوفها صداقها فهو عند الله زان^(٤). وقال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: إن أحق الشروط أن يوفى بها ما استحللتم به الفروج^(٥).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: إن الخطاب فيه للأولياء، لأن الرجل منهم كان إذا زوج أمته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك^(٦).

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ﴾: من الصداق.

﴿نَفْسًا﴾: وهبن لكم عن طيب نفس، وعدى بغير لتضمنه معنى التجاوز والتجافي.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠، نقلاً بالمعنى. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٠.

٣ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٣.

٤ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٢٠٠ / ١١، باب ١١٧ - الولي والشهود والخطبة والصداق.

٥ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٥٢، ح ١٢٠١ / ١٢، باب ١١٧ - الولي والشهود والخطبة والصداق.

٦ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٧.

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا
وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝

﴿فَكُلُّوهُ هَنِئئاً مَرِيئاً﴾: سائناً من غير غصٍّ، وربما يفرق بينها بتخصيص الهنيء بما يلذه الإنسان، والمريء بما يحمد عاقبته.

روي أن أناساً كانوا يتأثمون^(١) أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها فنزلت^(٢). وفي الجمع^(٣)، والعياشي: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني أجد بوجع في بطني، فقال ألك زوجة؟ قال نعم، قال: استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها، ثم اشتر به عسلاً، ثم اسكب عليه من ماء السماء، ثم اشربه. فإني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا»^(٤) وقال: «يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ»^(٥) وقال: «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً» فإذا اجتمعت البركة، والشفاء، والهنيء، والمريء، شفيت إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك فشفي^(٦).

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾: تقومون بها وتتعيشون^(٧) سمي ما به القيام قياماً: للمبالغة، وقرئ قِيماً.

﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾: اجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن تحصلوا منها ما تحتاجون إليه.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: عدة جميلة تطيب بها نفوسهم، والمعروف: ما عرفه

١- تأثم: أي تخرج عنه وكف. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٥٨ مادة «أثم».

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٤. ٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٧.

٤- النحل: ٦٩.

٥- ق: ٩.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١٨، ح ١٥. ٧- وفي نسخة [تتعشون] كما في المصدر.

وَابْتُلُوا أَلْيَسَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ
يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ حَسِيبًا

الشرع، أو العقل بالحسن.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام هم اليتامى، لا تعطوهم أموالهم حتى تعرفوا منهم الرشد،
قيل: فكيف يكون أموالهم أموالنا؟ فقال: إذا كنت أنت الوارث لهم^(١).

وعنه عليه السلام في هذه الآية قال: من لا تثق به^(٢).

وفي رواية: كلّ من يشرب الخمر فهو سفيه^(٣).

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: لا تؤتوها شرّاب الخمر، ولا

النساء، ثم قال: وأي سفيه أسفه من شارب الخمر؟^(٤).

والقمي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: فالسفهاء: النساء، والولد، إذا علم الرجل أن امرأته

سفيهة مفسدة، ولده سفيه مفسد، لا ينبغي له أن يسلط واحداً منها على ماله الذي جعله الله له

قيماً يقول: معاشاً قال: «وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» والمعروف: العدة^(٥).

﴿وَابْتُلُوا أَلْيَسَى﴾: اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في الدين، وحسن

١- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٢٣. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٢٠.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٠، ح ٢٢، وفيه يشرب المسكر.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٨، ح ٥٨٦/٢، باب ١٢٠- كراهية الوصية إلى المرأة. وفيه: «شارب الخمر».

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣١.

التصرف في المال.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾: بلغوا حداً يتأتَّى منهم النكاح.

﴿فَإِنْ ءَأْنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ في الفقيه: عن الصادق عليه السلام:

ايناس الرشد حفظ ماله^(١).

وعنه عليه السلام في تفسير هذه الآية: إذا رأيتموهم يحبون آل محمد صلوات الله عليهم

أجمعين فارفعوهم درجة^(٢).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: الرشد: العقل، وإصلاح المال^(٣).

والقمي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: من كان في يده بعض مال اليتامى فلا يجوز

أن يعطيه حتى يبلغ النكاح ويحتلم، فإذا احتلم وجبت عليه الحدود وإقامة الفرائض،

ولا يكون مضيعاً، ولا شارب خمر، ولا زانياً، فإذا أنس منه الرشد دفع إليه المال، واشهد

عليه، وإن كانوا لا يعلمون أنه قد بلغ فإنه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته، فإذا كان ذلك

فقد بلغ، فيدفع إليه ماله إذا كان رشيداً، ولا يجوز له أن يحبس عنه ماله ويعتل عليه إنه لم

يكبر بعد^(٤).

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَُا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾: مسرفين، ومبادرين بالأكل،

كبرهم^(٥).

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾: من أكلها.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بقدر حاجته، وأجرة سعيه.

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٦٤، ح ٥٧٥ / ٧، باب ١١٣ - انقطاع يتم اليتيم.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢١، ح ٢٧.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٩.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣١.

٥- أي لا تسارعوا بأكل أموالهم قبل كبرهم ورشدهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليم المال إليهم.

في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه وهو يتقاضى^(٢) أموالهم ويقوم في ضيعتهم، فليأكل بقدر ولا يسرف، فإن كانت ضيعتهم لا تشغله عما يعالج لنفسه فلا يرزأ^(٣) من أموالهم شيئاً^(٤). وفي الكافي: عنه عليه السلام المعروف: هو القوت، وإنما عني الوصي أو القيم في أموالهم وما يصلحهم^(٥).

وعنه عليه السلام: ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً^(٦). وعنه عليه السلام إنه سئل عن القيم للأيتام في الإبل وما يحلّ له منها؟ فقال: إذا لاط^(٧) حوضها، وطلب ضالّتها، وهنا^(٨) جرباها^(٩) فله أن يصيب من لبنها في غير نهك^(١٠) لضرع، ولا فساد لنسل^(١١).

١- الكافي: ج ٥، ص ١٢٩، ح ١، باب ما يحلّ لقيم مال اليتيم منه.

٢- التقاضي بالدين: مطالبته، والمراد أن القيم يطالب بديونهم التي في ذمة الناس من أموالهم.

٣- في الحديث: اني لا أرزأ من فينكم درهماً: أي لا أنقص شيئاً ولا درهماً، مجمع البحرين: ج ١، ص ١٨٣، مادة «رزأ». وفي هامش المخطوط: يرزأ - بتقديم المهملة - : أي لا ينقص ولا يصيب منها شيئاً. منه يَنْقُصُ.

٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢١-٢٢٢، ح ٣٠.

٥- الكافي: ج ٥، ص ١٣٠، ح ٣، باب ما يحلّ لقيم مال اليتيم منه.

٦- الكافي: ج ٥، ص ١٣٠، ح ٥، باب ما يحلّ لقيم مال اليتيم منه.

٧- لاط حوضها: أي طينتها، وفي حديث ابن عباس: «إن كنت تلوط حوضها» أي تطيته وتصلحه. انظر النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٧٧.

٨- يقال هنأت البعير أهناً: إذا طلبته بالهناء، وهو القطران. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٨٠.

٩- الجرب بالتحريك: داء معروف، يقال: جرب البعير جرباً من باب تعب فهو اجرِب. وناقاة جرباء، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٣، مادة «جرب».

١٠- النهك: النقص. منه يَنْقُصُ.

١١- الكافي: ج ٥، ص ١٣٠، ح ٤، باب ما يحلّ لقيم مال اليتيم منه.

لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا

وفي المجمع (١)، والعياشي ما يقرب منه (٢).

والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية: هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية، ويشغل فيها نفسه فيأكل بالمعروف، وليس له ذلك في الدنانير والدراهم التي عنده موضوعاً (٣).

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: كان أبي يقول: إنها منسوخة (٤).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض، ثم يردّ عليه ما أخذ إذا وجد (٥).

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾: بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة، وأبعد من الخصومة، ووجوب الضمان.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: محاسباً.

﴿لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: يعني بهم المتوارثين بالقرابة.
﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾: من قليله أو كثيره.

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: واجباً، قيل: كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢١، ح ٢٨.

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٩.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٢، ح ٣٣.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٢، ح ٣١.

٥- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٩.

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا يَخْشَ الَّذِينَ
لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ

الإناث فرد الله سبحانه عليهم، وقال: «لكل من الفريقين سهم وحظ»^(١).

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾: أي قسمة التركة.

﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾: ممن لا يرث.

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾: فاعطوهم شيئاً من المقسوم تطيباً

لقلوبهم، وتصدقاً عليهم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: تلطّفوا لهم في القول، واعتذروا إليهم واستقلّوا ما

تعطونهم، ولا تمنّوا بذلك عليهم. والقمّي: هي منسوخة بقوله: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ»^(٢)(٣).

والعيّاشي: عن الباقر والصادق عليه السلام: نسختها آية الفرائض^(٤).

وفي رواية عن الباقر عليه السلام: أنّه سئل أمسوخة هي؟ قال: لا إذا حضروك فاعطهم^(٥).

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز والاستحباب، وقد مرّ نظيره في سورة

البقرة.

١ - قاله قتادة، وابن جريج، وابن زيد، كما جاء في التبيان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ١٢٠، وهكذا ورد في مجمع

البیان: ج ٣ - ٤، ص ١٠، في شأن النزول. والنص للأخير.

٢ - تفسير القمّي: ج ١، ص ١٣١.

٣ - النساء: ١١.

٤ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٣، ح ٣٥.

٥ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٣، ح ٣٦.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾: أمر بأن يخشوا الله ويتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم الضعاف بعد وفاتهم.

في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: من ظلم يتيمًا سلط الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه، ثم تلا هذه الآية^(٢).

﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾: في أمر اليتامى.

﴿وَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾: لهم.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة، وحسن الأدب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: ملئ بطونهم.

﴿نَارًا﴾: ما يجز إلى النار.

﴿وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾: سيدخلون نارًا وأي نار، وقرئ بضم الياء، وصلى النار مقاسة حرها، وصليته: شويته، والإصلاء: الإلقاء فيها، وسُعر النار ألهابها.

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: إن أكل مال اليتيم سيلحقه وبال ذلك في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فإن الله يقول: «ولْيَخْشَ الَّذِينَ» الآية وأمّا في الآخرة فإن الله يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ» الآية^(٣).

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١٣، باب الظلم. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٣، ح ٣٧.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٠٦، ح ٤٣٩ / ٨٧، باب ٥٨- المعاش والمكاسب والفوائد والصناعات.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١

والقمتي: عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار، وتخرج من أديبارهم، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً^(١).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: إِنْ آكَلَ مَالُ الْيَتِيمِ يَحْيِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالنَّارُ تَلْتَهَبُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى يَخْرُجَ لَهَبُ النَّارِ مِنْ فِيهِ، يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ أَنَّهُ آكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ^(٢).

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾: بأمركم، ويعهد إليكم، ويفرض عليكم.

﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾: في شأن ميراثهم.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾: إذا اجتمع الصنفان، والعلّة فيه: ما في الكافي: عن

الرضا عليه السلام: إِنْهُمْ يَرْجِعُونَ عِيَالاً عَلَيْهِمْ^(٣).

١- تفسير القمتي: ج ١، ص ١٣٢.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣١-٣٢، قطعة من ح ١.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٨٥، ح ١، باب علة كيف صار للذكر سهان وللأنثى سهم.

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام: لما جعل الله لها من الصداق (١).

وفيها: عنه عليه السلام: لأنه ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة (٢) وعدّها غيرها (٣).

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾: لَيْسَ مَعَهُنَّ ذُكُورٌ.

﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾: المتوفى منكم.

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾: وقرئ بالرفع.

﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأُيُوبِيُّ﴾: ولأبوي المتوفى.

﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾: ذكر أكان أو أنثى،

واحد أكان أو أكثر.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾: مِمَّا تَرَكَ.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ﴾: وقرئ فلأُمُّه بكسر الهمزة اتباعاً لما قبلها،

والإخوة تقع على الإثنتين فصاعداً، والأختان بمنزلة أخ واحد، ولهذا ورد في الكافي (٤)

والتهذيب (٥)، وغيرهما في غير واحدة من الروايات، عن الصادقين عليه السلام: أنه لا يحجب الأمّ

عن الثلث إلا أخوان، أو أخ وأختان، أو أربع أخوات (٦).

وورد أن الإخوة من الأمّ فقط لا يحجبون الأمّ عن الثلث (٧).

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٨١٥ / ١١، باب ١٧٥، نوادر المواريث.

٢- المعقلة - بضم القاف - : الدية أي لا تصير عاقلة في دية الخطأ.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٥٣، ح ٨١٦ / ١٢، باب ١٧٥، نوادر المواريث. وفي الكافي: ج ٧، ص ٨٥، ح ٢ و ٣، باب علّة كيف صار للذكر سهمان وللأنثى سهم.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٩٢، ح ٢ و ٣ و ٤ و ٥، باب ميراث الأبوين مع الإخوة والأخوات لأب والأخوة والأخوات لأم.

٥- تهذيب الأحكام ج ٩، ص ٢٨١، ح ١٠١٧ / ٥، باب ٢٥ - ميراث الوالدين مع الإخوة والأخوات.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٩٧، ب ١٤٣ - ميراث الأبوين والأخوة والأخوات.

٧- تهذيب الأحكام ج ٩، ص ٢٨١، ح ١٠١٨ / ٦، باب ٢٥ - ميراث الوالدين مع الأخوة والأخوات.

وإنّ الاخوة والأخوات لا يرثون مع الأبوين، وإنّ الوجه فيه: أنّ الأب ينفق عليهم فوفّر نصيبه^(١).

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ﴾: يعني إنّ هذه الإنصاء بعد الأمرين إن كانا، وقرئ على البناء للمفعول. ولفظة (أو) لا توجب الترتيب.

وفي الجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّكم تقرّون في هذه الآية الوصية قبل الدين، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضى بالدين قبل الوصية^(٢).

قيل: قدّم الوصية على الدين، وهي متأخرة في الحكم لأنّها مشبهة بالميراث شاقّة على الورثة^(٣).

﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: يعني لا تعلمون من أنفع لكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وأجلكم ممّن يورثكم ويرثكم، أمّن أوصى منهم فعرضكم للشواب بإمضاء وصيته أم من لم يوص فوفّر عليكم ماله أو من أوصيته له فوفّرتم عليه أم من لم توصوا له فحرمتموه فتحروا فيهم ما وصاكم الله به، ولا تعمدوا إلى تبديل الوصية أو تفضيل بعض وحرمان بعض، فهو اعتراض مؤكّد لأمر القسمة وتنفيذ الوصية^(٤).

﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: مصدر مؤكّد.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالمصالح والرتب.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما قضى وقدر.

١ - الكافي: ج ٧، ص ٩٢، ح ١، باب ميراث الأبوين مع الاخوة والأخوات لأب والاخوة والأخوات لأم، وتهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٨٠، ح ١٠١٣ / ١، باب ميراث الوالدين مع الإخوة والأخوات.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥.

٣ - انظر الكشف: ج ١، ص ٤٨٦.

٤ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٧.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ
 لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ
 دَيْنٍ وَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
 وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ
 دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ
 فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ
 شُرَكَاءُ فِي الثَّلَثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ
 مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ
 فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَ﴾: أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيتها أو بطن بناتها وإن سفل
 ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ
 وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ
 دَيْنٍ﴾: فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب، والعلة هاهنا هي العلة
 هناك، وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثلث.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾: لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتغير بها
 الحكم، والكلالة: القرابة، ويطلق على الوارث والموروث، وفسرت في الكافي: عن
 الصادق عليه السلام بمن ليس بولد ولا والد^(١). أي القريب من جهة العرض لا الطول. والمراد بها هنا:

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾

الإخوة والأخوات من الأم خاصة، وفي الآية الأخرى^(١) من الأب والأم أو الأب فقط. كذا عن المعصومين عليه السلام^(٢).

﴿أَوْ أَمْرًا﴾: كذلك.

﴿وَلَهُ﴾: ولكل واحد منها.

وقيل: أي وللرجل، اكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركها فيه^(٣).

﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾: أي من الأم.

﴿فَلِكُلٍّ وَحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي

الثُلُثِ﴾: سوى بين الذكر والأنثى هاهنا لأنَّ الإنتساب بمحض الأنوثة.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾: وقرئ على البناء للمفعول.

﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾: لورثته بالزيادة على الثلث أو أن يقصد الإضرار بها دون القرابة أو

يقرّ بدين لا يلزمه.

﴿وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالمضار وغيره.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بعقوبته.

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى ما تقدم من الأحكام في أمر اليتامى والوصايا والموارث.

﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شرائعه المحدودة التي لا يجوز تجاوزها.

١ - النساء: ١٧٦.

٢ - الكافي: ج ٧، ص ١٠٠٣، باب ميراث الإخوة والأخوات مع الولد.

٣ - قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٨، س ١١.

وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾

«وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ: توحيد الضمير في يُدْخِلْهُ وجمع خالدين للفظ والمعنى، وقرئ ندخله بالنون.

إن قيل: إن الله سبحانه وتعالى لم يبين حكم البنتين في الفرائض ولا حكم الفرائض إذا نقصت التركة عن السهام أو زادت عليها؟

قلنا: لا ضير فقد بين أهل البيت: ذلك كله على أحسن وجه، وأجمعت الطائفة المحقة على ما سمعوه منهم عليه السلام من غير اختلاف فيما بينهم لمطابقته مقتضى العقول السليمة، وهذا كما في سائر الآيات القرآنية المجملة فإنها إنما يأولها الراسخون في العلم منهم، ولا ينفرد أحد الثقيلين عن الآخر، أما حكم البنتين فقد نهت عليه هذه الآيات، وثبت عنهم بالروايات من غير اختلاف.

قال في الكافي: وقد تكلم الناس في أمر البنتين من أين جعل لهما الثلثان والله تعالى إنما جعل الثلثين لما فوق اثنتين؟ فقال قوم: باجماع، وقال قوم: قياساً كما أن كانت للواحدة النصف كان ذلك دليلاً على أن لما فوق الواحدة الثلثين، وقال قوم: بالتقليد والرواية ولم يصب واحد منهم الوجه في ذلك.

قلنا: إن الله جعل حظّ الأثنين الثلثين بقوله: «للمذكر مثل حظّ الأنثيين» وذلك أنه إذا ترك الرجل بنتاً وابناً فللمذكر مثل حظّ الأنثيين وهو الثلثان فحظّ الأنثيين الثلثان واكتفى بهذا

البيان أن يكون ذكر الأنثيين بالثلثين وهذا بيان^(١) قد جهله كلهم، والحمد لله كثيراً، انتهى كلامه^(٢).

وأما إذا نقصت التركة عن السهام فالتقص عندنا إنما يقع على البنات والأخوات لأن كل واحد من الأبوين والزوجين له سهان أعلى وأدنى وليس للبنات والبنات والأختين لولا ما قلنا إلا سهم واحد، فإذا دخل النقص عليها استوى ذوو السهام في ذلك، وقد تبين ذلك في أخبارهم: والمخالفون يقولون في ذلك: بالعدل^(٣) فيوقعون النقص على الجميع بنسبة سهامهم

١ - ذكر العلامة المجلسي رحمته الله في كتابه مرآة العقول: ج ٢٣، ص ١١٣، باب بيان الفرائض في الكتاب، بأن هذا الوجه ذكره الزمخشري، والبيضاوي، وغيرهما. قال البيضاوي: واختلف في البنات فقال ابن عباس: حكها حكم الواحدة، لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقها. وقال الباقر: حكها حكم ما فوقها لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كانت معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان، ثم لما أوهم ذلك أن يزداد النصيب بزيادة العدد، وذلك بقوله: «فان كنّ نساء فوق اثنتين» انتهى.

أقول: وفيه نظر، لان الظاهر انه تعالى بين أولاً حكم الأولاد مع اجتماع الذكور والاناث معاً بأن نصيب كل ذكر مثل نصيب انثيين وما ذكره أخيراً بقوله فإن كنّ نساءً فوق اثنتين موده انحصر الأولاد في الإناث اتفاقاً، فاستنباط حكم البنيتين المنفردتين من الأول لا يتمشى الا على وجه القياس فتدبر.

٢ - الكافي: ج ٧، ص ٧٢ - ٧٣، باب بيان الفرائض في الكتاب.

٣ - العول: عبارة عن قصور التركة عن سهام ذوي الفروض، ولن تقصر إلا بدخول الزوج والزوجة، وهو في الشرع ضد التعصيب الذي هو توريث العصبه ما فضل عن ذوي السهام يقال: عالت الفريضة وأعالت عولاً: ارتفعت. وفي الحديث: أول من أعال الفرائض عمر بن الخطاب.

وفيه أيضاً: إن الذي أحصى رمل عاج يعلم أن السهام لا تعول، راجع مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٣١.

وفي النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٣٢١: وفي حديث الفرائض والميراث ذكر «العول» يقال: عالت الفريضة: إذا ارتفعت وزادت سهامها على أصل حسابها الموجب عن عدد وارثيها، كمن مات وخلف ابنتين، وأبوين، وزوجة: فلابنتين الثلثان، وللأبوين السدسان، وهما الثلث، وللزوجة الثمن، فمجموع السهام واحد وثمن واحد، فأصلها ثمانية، والسهام تسعة، وهذا المسألة تسمى في الفرائض: المنبرية لأن علياً رضي الله عنه سئل عنها وهو على المنبر فقال: من غير رواية: صار ثمنها تسعاً. وراجع جواهر الكلام: ج ٣٩، ص ١٠٩.

قياساً على تركة لا تفي بالديون، واستناداً إلى قضية عمرية^(١).

وأخرى متشابهة علوية، وقياسهم مع بطلانه مع الفارق، وعمرهم كان عن بدعة لا يفارق، مع انكار ابن عباس عليه وإن لم يظهر الإنكار إلا بعده معتدراً بأنه كان رجلاً مهيباً^(٢)، وتأويل المتشابه عند من أتى به دون الذين في قلوبهم زيغ مع عدم ثبوت الرواية، وتواتر خلافها عنه عليه السلام هذا مع ما في العول من التناقض والمحال كما بينه أئمتنا: وفصله أصحابنا^(٣).

١ - في جواهر الكلام ج ٣٩ ص ١٠٦: أول مسألة وقع فيها العول في الاسلام في زمن عمر على ما رواه عنه أولياؤه قال: ماتت امرأة في زمانه عن زوج واختين فجمع الصحابة، وقال لهم: فرض الله تعالى جده للزوج النصف وللأختين الثلثين، فان بدأت بالزوج لم يبق للأختين حقهما وإن بدأت بالأختين لم يبق للزوج حقه فاشيروا عليّ، فاتفق رأي أكثرهم على العول. مع تواتر الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأن السهام لا تعول، ولا تكون أكثر من ستة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن الذي أحصى رمل عاج يعلم أن السهام لا تعول على ستة، لو يبصرون وجوهها لم تحز ستة.

٢ - ثنا الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قال: دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عباس بعدما ذهب بصره، فتذاكرنا فرائض الميراث فقال: ترون الذي أحصى رمل عاج عدداً لم يخص في مال نصفاً ونصفاً وثلاثاً إذا ذهب نصف ونصف فأين موضع الثلث؟ فقال له زفر: يا ابن عباس من أول من أعال الفرائض؟ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: ولم؟ قال: لما تدافعت عليه وركب بعضها بعضاً قال: والله ما أدري كيف أصنع بكم، والله ما أدري أيكم قدم الله ولا أيكم آخر، قال: وما أجد في هذا المال شيئاً أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص، ثم قال ابن عباس: وإيم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر الله ما عالت فريضة فقال زفر: وأئيم قدم وأئيم آخر فقال: كل فريضة لا تزول إلا إلى فريضة فتلك التي قدم الله وتلك فريضة الزوج له النصف فان زال فإلى الربع لا ينقص منه، والمرأة لها الربع فإن زالت عنه صارت إلى الثمن لا تنقص منه، والأخوات هن الثلثان والواحدة لها النصف فإن دخل عليهن البنات كان هن ما بقي فهؤلاء الذين أخر الله فلو أعطى من قدم الله فريضة كاملة ثم قسم ما يبق بين من أخر الله بالحصص ما عالت فريضة، فقال له زفر: فما منعك ان تشير بهذا الرأي على عمر، فقال هبته وفي نسخة هيئته. السنن الكبرى للبيهقي: ج ٦، ص ٢٥٣ ونحو ذلك ما ورد في المستدرک للحاكم النيسابوري ج ٤، ص ٣٤٠.

٣ - راجع جواهر الكلام: ج ٣٩، ص ١٠٧ - ١٠٨.

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى
يَتَوَقَّعَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

ولفضل بن شاذان رحمته الله في هذا الباب كلمات أوردها في التهذيب ^(١) على وجهها، وأما إذا زادت التركة عن السهام فأثما يزداد الزائد على من كان يقع عليه النقص إذا نقصت كما بيّنه عليه السلام، وأجمعت عليه أصحابنا، والمخالفون يقولون فيه بالتعصيب ^(٢) فيعطون الفاضل أولى عصبة الذكر ولا يعطون الأنثى شيئاً وإن كانت أقرب منه في النسب استناداً إلى قصّة زكريّا حيث لم يسأل الأنثى لعلمه بعدم ارثها مع العصبة، كذلك كانوا يؤفكون.

وليت شعري: ما أدراهم أنه لم يسأل الأنثى وإنما حمّله على الطلب كفالة مريم، وما رأى من كرامتها ثم مال المانع من إرادته الجنس الشامل للذكر والأنثى؟ أو أثما أراد الذكر لأنه أحب إلى طباع البشر أو أثما طلبه للإرث والقيام بأعباء النبوّة معاً، ولا شك أنه غير متصور في النساء أو كان شرعه في الإرث على خلاف شرعنا، واستندوا أيضاً إلى رواية ضعيفة روتها رواة الأعلیٰ بعدما سمعوها منقولة عن الأدنى، وردها بعضهم بحكمات الكتاب، وقال آخر: والله ما رويت هذا، وأثما الشيطان ألقاه على ألسنتهم على أنهم رَوَوْا عن زيد بن ثابت أنه قال: من قضاء الجاهليّة أن يورث الرجال دون النساء.

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾: أي يفعلها، قيل: الفاحشة: الزنا سمي بها لزيادة قبحها وشناعتها ^(٣).

١ - تهذيب الاحكام: ج ٩، ص ٢٤٨ - ٢٥٠، ح ٩٦٣ / ٦، ٩٦٤ / ٧، باب ٢١ - ابطال العول والعصبة.

٢ - التعصيب عبارة عن توريث ما فضل عن السهام من كان من العصبة وهم الابن والأب ومن تدلى بها من غير رد على ذي السهام. جواهر الكلام: ج ٣٩، ص ٩٩.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٩، س ٥.

وَاللَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾

﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾: فاطمبوا بمن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾: فاحبسوهن فيها.
﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: هذه الآية والتي بعدها منسوختان بآية الزانية والزاني.

في الكافي: عن الباقر (عليه السلام) في حديث وسورة النور أنزلت بعد سورة النساء وتصدق ذلك أن الله تعالى أنزل عليه في سورة النساء «وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفُجْحَشَةَ» الآية، والسبيل الذي قال الله: «سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا» إلى قوله: «طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (١١)(٢).

والعياشي: عن الصادق (عليه السلام): هي منسوخة، والسبيل: هو الحدود (٣).
وعنه (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآية «وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفُجْحَشَةَ» قال: هذه منسوخة، قيل: كيف كانت؟ قال: كانت المرأة إذا فجرت فقام عليها أربعة شهود، أدخلت بيتاً ولم تحدث ولم تكلم ولم تجالس وأوتيت بطعامها وشرابها حتى تموت، أو يجعل الله لها سبيلاً، قال: جعل السبيل: الجلد والرجم (٤).

وفي العوالي: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خذوا عني، قد جعل الله لها سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (٥).

﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَلَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ

١- النور: ١-٢. ٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٢-٣٣، ح ١، باب بدون العنوان.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٧، ح ٦٠. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٧، ح ٦١.

٥- عوالي النالي: ج ١، ص ٢٣٧، ح ١٤٩.

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ١٧

اللَّهُ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا: القمي: كان في الجاهلية إذا زنا الرجل يؤذى، والمرأة تحبس في بيت إلى أن تموت، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا» الآية (١) انتهى (٢).
وقيل: الآية الأولى في السحاقات، وهذه في اللواطين، والزانية والزاني في الزنا (٣) ولم يثبت عن أهل البيت عليه السلام.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾: أي قبول التوبة الذي أوجبه الله على نفسه بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته إلا أن «على» هذه ليست هي «على» في قولهم: «تاب عليه» وقد مضى تحقيق معنى التوبة عند تفسير قول الله تعالى «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ» (٤).
﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾: متلبسين بها سفهاً وجهالة فإن ارتكاب الذنب والمعصية سفه وجهل.

في المجمع (٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لاختوته: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَآ فَعَلْتُمْ يَٰيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ» (٦) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله عز وجل (٧).

١- النور: ٢. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٣، س ١١.

٣- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٩، س ١٥، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٥٥.

٤- البقرة: ٣٧. ٥- مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ص ٢٢.

٦- يوسف: ٨٩. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٢.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنه قيل له: فإن عاد وتاب مراراً؟ قال: يغفر الله له، قيل: إلى متى؟ قال: حتى يكون الشيطان هو المحسور ^{(١)(٢)}.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾: قيل: أي قبل أن يشرب في قلوبهم حبّه فيطبع عليها فيتعذّر عليهم الرجوع، أو قبل حضور الموت لقوله تعالى: «حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ» ^(٣) سمّاه قريباً لأنّ أمد الحياة قريب كما قال سبحانه: «قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ» ^{(٤)(٥)}.

أقول: التفسير الثاني بعيد عن ظاهر اللفظ جداً، ولا دلالة في الآية عليه، لجواز السكوت عن القسم الثاني، كما يقع كثيراً في نظائره من مجملات القرآن، وأمّا الحصر المدلول عليه بلفظة «إنّما» فلا ينافي الأخبار الآتية لأنّ وجوب القبول غير التفضّل به.

في الفقيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر خطبة خطبها: من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ السنة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ يوماً لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثمّ قال: وإنّ الساعة لكثيرة، من تاب وقد بلغت نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقة تاب الله عليه ^(٦).

وفي الكافي ^(٧) والعيّاشي ما يقرب منه، وذكر الجمعة أيضاً، وقال في آخره: من تاب قبل أن يعاين قبل الله تعالى توبته ^(٨).

١ - حَسَرَ البصر حُسوراً - من باب قعد - كلّ لظول مدى ونحوه فهو حسير. المصباح المنير: ص ١٣٥.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٢.

٣ - النساء: ١٨. ٤ - النساء: ٧٧.

٥ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

٦ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩، ح ٣٥٤ / ٩، باب ٢٣ - غسل الميت.

٧ - الكافي: ج ٢، ص ٤٤٠، ح ٢، باب فيما أعطى الله عزّ وجلّ آدم عليه السّلام وقت التوبة.

٨ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٤.

وفي رواية العامة: من تاب قبل أن يغرر بها تاب الله عليه^(١).
وفي رواية: إن إبليس لما هبط قال: وعزّتك وعظمتك لا أفارق ابن آدم حتّى تفارق روحه جسده، فقال الله سبحانه: وعزّتي وعظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتّى يغرر بها^(٢).

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إذا بلغت النفس هاهنا وأشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبة ثم قرأ هذه الآية^(٣).
وفيه^(٤)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مثله، وزاد وكان للجاهل توبة^(٥).

أقول: لعلّ السبب في عدم قبول التوبة من العالم في ذلك الوقت حصول يأسه من الحياة بإمارات الموت بخلاف الجاهل فإنّه لا ييأس إلّا عند معاينة الغيب.
قيل: ومن لطف الله تعالى بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى الصدر، ثمّ ينتهي إلى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى، والوصيّة والتوبة، ما لم يعاين، والاستحلال، وذكر الله سبحانه، فتخرج روحه وذكر الله على لسانه، فيرجى بذلك حسن خاتمته، رزقنا الله ذلك بمنّه.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه من قبول التوبة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً﴾: يعلم إخلاصهم في التوبة.

﴿حَكِيماً﴾: لا يعاقب التائب.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٢، س ٢٤، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٥٦.

٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٢، س ٢٦، وقريب منه تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٥٦.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤٧، ح ٣، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الأمر عليه.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٤٠، ح ٢، باب فيما أعطى الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام وقت التوبة.

٥- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٦٤.

وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْمَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَفْضُلُوهُنَّ لِنَدْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْمَ﴾: في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: ذَلِكَ إِذَا عَاشَرَ أَمْرَ الْآخِرَةِ (١).

﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: سوى بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار، وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الإعتداد بها في تلك الحالة، وكأنه قال: توبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء، وقيل: المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين، وبالذين يعملون السيئات المنافقون، لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار (٢).
﴿أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان لتهيئة عذابهم، وأنه يعذبهم متى شاء.
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾: وقرئ بالضم.

١ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٧٩، ح ٣٥٥/١٠ باب ٢٣ - غسل مس الميت.

٢ - راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٠، س ٨.

القَمِي: عن الباقر عليه السلام: كان في الجاهليّة في أوّل ما أسلموا في قبائل العرب إذا مات حميم^(١) الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصدّاق حميمه الذي كان أضدّقها يرث نكاحها كما يرث ماله، فلمّا مات أبو قيس بن الأشلت^(٢) ألقى محصن بن أبي قيس، ثوبه على امرأة أبيه، وهي كبيشة ابنة معمر بن معبد، فورث نكاحها، ثمّ تركها لا يدخل بها ولا يتفق عليها، فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله مات أبو قيس بن الأشلت فورث ابنه محصن نكاحي فلا يدخل عليّ، ولا يتفق عليّ، ولا يخلي سبيلي فألحق بأهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجعي إلى بيتك فإن يحدث الله في شأنك شيئاً أعلمتك، فنزل: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا»^(٣) فلحقت بأهلها.

وكان نسوة في المدينة قد ورث نكاحهنّ كما ورث نكاح كبيشة غير أنّه ورثهنّ غير الأبناء فأنزل: «يَتَّيْنُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كُرْهًا»^(٤).

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: الرجل يكون في حجره اليتيمة فيمنعها من التزويج، يضرّ بها تكون قريبة له^(٥).

وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام: إنّها نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها، وينتظر موتها حتّى يرثها^(٦).

«وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»: ولا تحسوهنّ ضراراً بهنّ.

«لَتَنْدَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ»: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: الرجل تكون له امرأة فيضّرّ بها حتّى تفقدي منه، فهي الله عن ذلك^(٧).

وفي الجمع: عنه عليه السلام: إنّ المراد بها الزوج، أمره الله سبحانه تخلية سبيلها إذا لم يكن له

١- الجمع: القريب في النسب. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٥٠، مادة «حم».

٢- وفي نسخة [الأسلت]. ٣- النساء: ٢٢.

٤- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٣٤. ٥- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٨، صدرح ٦٥.

٦- مجمع البيان: ج ٣، ص ٤. ٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٢٨، ذيلح ٦٥.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيْهِنَّ
قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ۚ

فيها حاجة، وإن لا يسكها اضراراً بها حتى تفتدي ببعض ما لها^(١).

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلَحٍ شَتَّىٰ مُبَيَّنَةٍ﴾: ظاهرة كالنشوز، وسوء العشرة، وعدم التعفف.
وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: كل معصية^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا قالت له: لا أغتسل لك من جنابة، ولا أبرّ لك قسماً
ولأوطيئ فراشك من تكرهه، حلّ له أن يخلعها، وحلّ له ما أخذ منها^(٣).

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالإنصاف في الفعل، والإجمال في القول.
﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:
يعني فاصبروا عليهنّ، ولا تفارقوهنّ لكرهه الأنفس، فربّما كرهت النفس ما هو أصلح في
الدين وأحمد، واحبّت ما هو بخلافه.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: تطليق امرأة وتزويج أخرى.
﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيْهِنَّ قِنْطَارًا﴾: مالا كثيراً.
﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾: من القنطار.

﴿شَيْئًا﴾: في المجمع: عنها عليها السلام: القنطار ملئ مسك ثور ذهباً^(٤).
﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾: انكار وتوبيخ.

قيل: كان الرجل إذا أراد جديدة بهت^(٥) التي تحته بفاحشة حتى يلجأها إلى الإفتداء

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٤.

٢- الكافي: ج ٦، ص ١٣٩، ح ١، باب الخلع.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٥.

٤- البهتان: الكذب، والمراد هنا: ان المكذوب عليه بهت.

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك (١).

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: القمّي: الإفضاء

المباشرة (٢).

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾: عهداً وثيقاً، في المجمع: عن الباقر عليه السلام: هو العهد

المأخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بمعروف أو تسريح بإحسان (٣).

وفي الكافي (٤)، والعياشي: عنه عليه السلام: هي الكلمة التي عقد بها النكاح، والغليظ:

هو ماء الرجل يفضيه إليها (٥).

وعن النبي ﷺ: أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله (٦).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: استثناء من لازم

النهى فكأنه قيل: تستحقون العقاب بذلك إلا ما قد سلف في الجاهلية فإنكم معذورون فيه.

العياشي: عن الباقر عليه السلام يقول الله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» فلا

يصح للرجل أن ينكح امرأة جدّه (٧).

٢- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٣٥.

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١١، س ٧.

٦- الكافي: ج ٥، ص ٥٦٠، ح ١٩، باب النواذر.

٣- مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٢٦.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢٩، ح ٦٨. مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، والنص للكافي.

٦- الدر المنثور: ج ٢، ص ١٣٢، ومجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٢٦، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٥٩.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٠، ح ٦٩.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
 وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
 أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتُ نِسَائِكُمْ
 وَرَبِّبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
 فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ
 أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
 مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾: قيل: كانوا ينكحون روابهم^(١) وذوو
 مرواتهم يَمُقْتُونَهُ وَيَسْمُونَهُ نِكَاحَ الْمَقْتِ^(٢) ويقولون لمن ولد عليه: المَقْتِيُّ^(٣).
 وقد مضى سبب نزولها آنفاً.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ
 وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: يعني: نكاحهن، والأمهات يشملن من علت، وكذا العَمَّات،
 والخَالَات، والبنات يشملن من سفلت، وكذا بنات الأخ، وبنات الأخت، والأخوات يشملن
 الوجوه الثلاثة.

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾: سَمَّاهَا أُمًّا وَأُخْتًا.

١ - الرواب: جمع رابة أي امرأة الأب. الصحاح: ج ١، ص ١٣١ مادة «راب».

٢ - مقتته مقتاً: أبغضه، فهو مَقْتِيٌّ وَمَقْرُوتٌ، ونكاح المَقْتِ كان في الجاهلية أن يتزوج الرجل امرأة أبيه. الصحاح:
 ج ١، ص ٢٦٦ مادة «مقت».

٣ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٤٩٢.

وقال النبي ﷺ: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب^(١).

وقال ﷺ: الرضاع لحمه كلحمه النسب^(٢) فعمّ التحريم.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾: وإن علون.

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾: وإن سفلن.

﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمُ بِهِنَّ﴾: أي دخلتم معهن في السرّ، وهي كناية عن الجماع.

﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمُ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: في الفقيه^(٣)، والتّهذيب: عن

أمير المؤمنين عليه السلام: إذا تزوّج الرجل المرأة حرّمت عليه ابنتها إذا دخل بالأُمّ، فإذا لم يدخل

بالأُمّ فلا بأس أن يتزوّج بالابنة، وإذا تزوّج الابنة فدخل بها أو لم يدخل بها فقد حرمت عليه

الأُمّ، وقال: الرّباب حرام، كن في الحجر أو لم يكن^(٤).

وفي رواية أخرى قال: الرّباب عليكم حرام مع الأُمّهات التي قد دخل بهنّ في المحجور

وغير المحجور، والأُمّهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهنّ^(٥).

وفي أخرى قال: هذه مستثناة وهذه مرسلّة وأُمّهات نساءكم^(٦).

فأورد عنهم بخلاف ذلك محمول على التقيّة لموافقة العامّة ومخالفة القرآن.

١- عوالي اللئالي: ج ١، ص ٤٤، ح ٥٥.

٢- راجع تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٦١. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٢.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٦٢، ح ١٢٤٨ / ٣٣، باب ١٢٤ - ما أحلّ الله عزّ وجلّ من النكاح وما حرّم منه.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٧٣، ح ١١٦٦ / ٢، باب ٢٥ - من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٧٣، ح ١١٦٥ / ١، باب ٢٥ - من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام.

٦- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٧٤، ح ١١٦٩ / ٥، باب ٢٥ - من أحلّ الله نكاحه من النساء وحرّم منهنّ في شرع الإسلام.

وفي الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام أنه سئل عن الرجل يتزوج المرأة متعة أيحلّ له أن يتزوج ابنتها؟ قال: لا^(١).

وعن الصادق عليه السلام: في الرجل تكون له الجارية يصيب منها أيحلّ له أن ينكح ابنتها؟ قال: لا، هي مثل قول الله تعالى: «وَرَبَّيْنِيكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه سئل عن رجل طلق امرأته فبانت منه ولها ابنة مملوكة فاشتراها أيحلّ له أن يطأها؟ قال: لا، وعن الرجل تكون عنده المملوكة وابنتها فيطأ إحداها فتموت وتبقى الأخرى أيصلح له أن يطأها؟ قال: لا^(٣).

القمي: إن الخوارج زعمت أن الرجل إذا كانت لأهله بنت ولم يربها ولم تكن في حجره حلت له لقول الله تعالى: «اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ» ثم قال الصادق عليه السلام: لا تحلّ له^(٤).

قيل: فائدة قوله: في «حجوركم» تقوية العلة وتكميلها، والمعنى أن الرائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهنّ في احتضانكم أو بصدده قوى الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة^(٥).

«وَحَلَسْتُ أُنْبَاءَكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ»: احتراز عن المتبني لا أبناء الولد فيشملونهم وإن سفلوا.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث هل كان يحلّ لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتي الحسن والحسين عليه السلام؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فهذا ابنه لصلبه^(٦).

وفي الفقيه^(٧)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام في الرجل تكون عنده الجارية يجردها

١- الكافي: ج ٥، ص ٤٢٢، ح ٢، باب الرجل يتزوج المرأة فيطلقها أو تموت قبل أن يدخل بها أو بعده فيتزوج أمها أو بنتها.

٢ و ٣- الكافي: ج ٥، ص ٤٣٣، ح ١٢ و ١٣، باب الجمع بين الأختين من الحرائر والاماء.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٥. ٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٢.

٦- الكافي: ج ٨، ص ٣١٧-٣١٨، ح ٥٠١.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٦٠، ح ١٢٣٠/٢٠، باب ١٢٤- ما أحلّ الله عزّ وجلّ من النكاح وما حرّم منه.

وينظر إلى جسدها نظر شهوة هل تحل لأبيه؟ وإن فعل أبوه هل تحل لابنه؟ قال: إذا نظر إليها نظر شهوة، ونظر منها إلى ما يحرم على غيره لم تحل لابنه، وإن فعل ذلك الإبن لم تحل للأب^(١).
﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: فإنه مغفور.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام في رجل طلق امرأته واختلعت أو بارت أله أن يتزوج بأختها؟ قال: إذا برأت عصمتها ولم يكن له عليها رجعة فله أن يخطب أختها. وفي رجل كانت عنده أختان مملوكتان فوطأ أحدهما ثم وطأ الأخرى قال: إذا وطأ الأخرى فقد حرمت عليه الأولى حتى تموت الأخرى، قلت: أرايت إن باعها أتحل له الأولى؟ قال: إن كان يبيعها لحاجة ولا يخطر على قلبه من الأخرى شيء، فلا أرى لذلك بأساً وإن كان إنما يبيعها ليرجع إلى الأولى فلا، ولا كرامة^(٢).

وفي التهذيب: عنه، عن أبيه عليه السلام في أختين مملوكتين تكونان عند الرجل جميعاً؟ قال: قال علي عليه الصلاة والسلام: أحلتها آية، وحرمتها آية أخرى، وأنا أنهى عنها نفسي وولدي^(٣).

أقول: الآية المحللة قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ»^(٤) والآية المحرمة هي قوله عز وجل «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» ومورد الحل والحرمة ليس إلا الوطي خاصة دون الجمع في الملك كما ظنه صاحب التهذيب فظن أن آية الحل آية الملك وآية التحريم آية الوطي^(٥).

١ - تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ٢١٢، ح ٧٥٨ / ٦٤، باب ٩ - السراري وملك الايمان، وفيه بعد قوله: نظر شهوة «وينظر منها إلى ما يحرم على غيره».

٢ - الكافي: ج ٥، ص ٤٣٢، ح ٧، باب الجمع بين الأختين من الحرائر والاماء وفيه «أو باتت» بدل برأت.

٣ - تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٨٩، ح ١٢١٥ / ٥١، باب ٢٥ - من أحل الله نكاحه من النساء وحرّم منهن في شرع الإسلام.

٤ - المؤمنون: ٥-٦.

٥ - تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٨٩، من قوله «فلا ينافي ما ذكرناه...».

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

ومما يدل على ذلك صريحاً ما رواه فيه عن الباقر عليه السلام: أنه سئل عما يروي الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام عن أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها ولا ينهى عنها إلا نفسه وولده، فقيل كيف يكون ذلك؟ قال: أحلتها آية وحرمتها أخرى، فقيل: هل الآيتان تكون احداهما نسخت الأخرى؟ أم هما محكمتان ينبغي أن يعمل بهما فقال عليه السلام: قد بين لهم، إذ نهى نفسه وولده، قيل: ما منعه أن يبين ذلك للناس؟ قال خشي أن لا يطاع، ولو أن أمير المؤمنين عليه السلام ثبتت قدماء أقام كتاب الله كله، والحق كله ^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن أختين مملوكتين تنكح إحداهما أيحل له الأخرى؟ فقال: ليس له أن ينكح الأخرى إلا دون الفرج، وإن لم يفعل فهو خير له نظير تلك المرأة تحيض فتحرم على زوجها أن يأتيها في فرجها لقول الله تعالى: «ولا تقربوهن حتى يطهرن» قال: «وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف» يعني: في النكاح فيستقيم الرجل أن يأتي امرأته وهي حائض فيما دون الفرج ^(٢).

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: اللاتي أحصنهن التزويج أو الأزواج، وقرئ

١ - تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤٦٣، ح ١٨٥٦ / ٦٤، باب ٤١ - من الزيادات في فقه النكاح.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٢، ح ٧٨.

بكسر الصاد لأنَّهنَّ أحصنَّ فروجهنَّ.

في الفقيه^(١)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: هنَّ ذوات الأزواج^(٢).

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: من اللّاتي سيّين ولهنَّ أزواج كفّار فإِنَّهنَّ حلال

للسايبين، كما في الجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

واللّاتي اشترين ولهنَّ أزواج فإنَّ يبعهن طلاقهنَّ، كما في الكافي: عن الصادق عليه السلام في

عدّة روايات^(٤).

واللّاتي تحت العبيد فيأمرهم مواليتهم بالاعتزال فيستبرؤنَّهنَّ ثمَّ يمسونهنَّ بغير نكاح.

كما في الكافي^(٥)، والعيّاشي^(٦) عنه عليه السلام.

﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتاباً.

﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: ما سوى المحرّمات المذكورة، وخرج عنه

بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرّمات الرضاع، والجمع بين المرأة وعمّتها أو خالتها بغير إذنهما كما في الكافي عن الباقر عليه السلام في عدّة روايات^(٧). وقرئ وأحلّ على البناء للمفعول.

﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾: أن تصرفوا أموالكم في

مهورهنَّ أو أثمانهنَّ، والإحصان: العفة، والسفاح: الزنا.

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ سمي أجراً لأنّه في

مقابلة الاستمتاع.

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٦، ح ١٣١٣/٢، باب ١٢٩- الإحصان.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٣٢، ح ٨١. ٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٣١.

٤- الكافي: ج ٥، ص ٤٨٣، ح ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٦، باب الرجل يشتري الجارية ولها زوج حر أو عبد.

٥- الكافي: ج ٥، ص ٤٨١، ح ٢، باب الرجل يزوج عبده أمته ثمَّ يشتهيها.

٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٣٣، ح ٨٢.

٧- راجع الكافي: ج ٥، ص ٤٢٤، ح ١ و ٢، باب المرأة تزوج على عمّتها أو خالتها.

﴿فَرِيضَةً﴾: مصدر مؤكّد. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: «إنما نزلت» «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجلٍ مسَمّى فساتوهنّ أجورهنّ فريضة»^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنه كان يقرؤها كذلك^(٢).

وروته العامة أيضاً عن جماعة من الصحابة^(٣).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾: من زيادة في المهر والأجل أو نقصان فيها أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع.

في الكافي^(٤) مقطوعاً، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: لا بأس بأن تزيدوها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما يقول: اسْتَحْلَلْتُكَ بِأَجَلٍ آخِرٍ بِرَضِي مِنْهَا، وَلَا تَحِلُّ لغيرك حتّى تنقضي عدّتها، وعدّتها حيضتان^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾: بالمصالح.

١- الكافي: ج ٥، ص ٤٤٩، ح ٣، أبواب المتعة. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٤، ح ٨٧.

٣- روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وسعيد بن جبیر أنهم قرأوا «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فساتوهنّ أجورهنّ» وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة، وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبي فرأيت في المصحف: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى».

وبإسناده عن أبي نضرة، قال: سألت ابن عباس عن المتعة؟ فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ فقلت بلى، فقال: فما تقرأ؟ «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» قلت: لا أقرأها هكذا، قال ابن عباس: والله هكذا أنزلها الله تعالى ثلاث مرات.

وبإسناده عن سعيد بن جبیر أنه قرأ «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى». راجع مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٢، والجامع لأحكام القرآن: ج ٥، ص ١٣٠، وجامع البيان في تفسير القرآن ج ٤، ص ٩، وغير ذلك من التفاسير.

٤- الكافي: ج ٥، ص ٤٥٨، ح ١، باب الزيادة في الأجل. وفيه: «تقول: استحللتك»، وهذا أظهر.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٣، ح ٨٦.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما شرع من الأحكام، في الكافي: عن الصادق عليه السلام: المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

وعن الباقر عليه السلام: كان علي عليه السلام يقول: لولا ما سبقني به بُنَيَّ الخطاب مَا زَنَى إِلَّا شَقِيَّ (٢).
أقول: إِلَّا شَقِيَّ «بالفاء» يعني إِلَّا قَلِيل، أراد أَنَّهُ لولا ما سبقني به عمر من نهيه عن المتعة، وتمكَّن نهيه في قلوب الناس لندبت الناس عليها ورغبتهم فيها فاستغنوا بها عن الزنا فما زنى منهم إِلَّا قَلِيل، وكان نهيه عنها تارةً بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا محرَّمهما ومعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء (٣).

وأخرى بقوله ثلاث كنَّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنا محرَّمهنَّ، ومعاقب عليهنَّ: متعة الحج، ومتعة النساء، وحيَّ على خير العمل في الأذان (٤).

وفيه: جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول في متعة النساء؟ فقال: أحلَّها الله في كتابه، وعلى لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول: هذا، وقد حرَّمها عمر ونهى عنها؟ فقال: وإن كان فعل، قال: فإني أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَحْلَّ شَيْئاً حَرَّمَهُ عُمَرُ، فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فهلَّمُ أَلَا عَنكَ أَنَّ الْقَوْلَ: مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: وَأَنَّ الْبَاطِلَ: مَا قَالَ صَاحِبُكَ: قَالَ: فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ، فَقَالَ: يَسْرُكَ أَنَّ نِسَاءَكَ وَبَنَاتِكَ وَأَخَوَاتِكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ حِينَ ذَكَرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِ عَمِّهِ (٥).

وفيه: سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق، فقال له: يا أبا جعفر

١- الكافي: ج ٥، ص ٤٤٩، ح ٥، أبواب المتعة. ٢- الكافي: ج ٥، ص ٤٤٨، ح ٢، أبواب المتعة.

٣- كنز العمال: ج ١٦، ص ٥١٩، ح ٤٥٧١٥، وص ٥٢١، ح ٤٥٧٢٢، ما يقرب من ذلك، وراجع الغدير: ج ٦

ص ٢١١، ح ٢. ٤- الغدير: ج ٦، ص ٢١٣، ح ٧.

٥- الكافي: ج ٥، ص ٤٤٩، ح ٤، أبواب المتعة.

ما تقول في المتعة أترعم أنها حلال ؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك يستمتعن ويكسبن عليك ؟ فقال له أبو جعفر: ليس كلّ الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أترعم أنه حلال ؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوانيت نبّاذات فيكسبن عليك ؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة وسهمك أنفذ، ثم قال له: يا أبا جعفر إن الآية التي في «سأل سائل»^(١) تنطق بتحريم المتعة، والرواية عن النبي ﷺ قد جاءت بنسخها، فقال له أبو جعفر: يا أبا حنيفة إن سورة سأل سائل مكية، وآية المتعة مدنيّة، وروايتك شاذّة رديّة، فقال أبو حنيفة: وآية الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعة، فقال له أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث، فقال أبو حنيفة: من أين قلت ذلك؟ فقال أبو جعفر: لو أنّ رجلاً من المسلمين تزوّج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفّي عنها ما تقول فيها ؟ قال: لا ترث منه، فقال: قد ثبت النكاح بغير ميراث، ثم افترقا^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سأله أبو حنيفة عن المتعة؟ فقال: عن أيّ المتعتين تسأل ؟ قال: سألتك عن متعة الحجّ. فأنبئني عن متعة النساء أحقّ هي ؟ فقال: سبحان الله أما تقرأ كتاب الله «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» فقال أبو حنيفة: والله لكأنّها آية لم أقرأها قط^(٣).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا ويستحلّ متعتنا^(٤).

أقول: الكرّة الرجعة، وهي إشارة إلى ما ثبت عنهم: من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعة من شيعتهم في زمن القائم عليه السلام لينصروه، وقد مضت الإشارة إليه فيما سلف وتأني أخبار آخر فيها إن شاء الله.

١- المعارج: ٢٩- ٣٠. ٢- الكافي: ج ٥، ص ٤٥٠، ح ٨، أبواب المتعة.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٤٤٩، ح ٦، أبواب المتعة.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٩١، ح ١٣٨٤ / ١، باب ١٤٣- المتعة.

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ
وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا
مُتَّحِذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ
نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ
مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾: غنى كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام ^(١).
﴿أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: يعني الحرائر.
﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: يعني الإماء، في
الكافي: عنه عليه السلام أنه سئل عن الرجل يتزوج الأمة، قال: لا إلا أن يضطرَّ إليه ^(٢).
وعن الصادق عليه السلام: لا ينبغي أن يتزوج الحر المملوكة اليوم، إنما كان ذلك حيث قال الله
تعالى: «وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً» والطول: المهر، ومهر الحرّة اليوم مهر الأمة أو أقل ^(٣).
وعنه عليه السلام: يتزوج الحرّة على الأمة، ولا يتزوج الأمة على الحرّة، ونكاح الأمة على
الحرّة باطل، وإن اجتمعت عندك حرّة وأمة فللحرّة يومان وللأمة يوم، ولا يصلح نكاح الأمة

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٣.

٢- الكافي: ج ٥، ص ٣٦٠، ح ٦، باب الحر يتزوج الأمة.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٣٦٠، ح ٧، باب الحر يتزوج الأمة.

إِلَّا بِإِذْنِ مَوْلَاهَا^(١).

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾: فافتقروا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر، وبتفاضل ما بينكم في الإيمان، فرب أمة تفضل الحرة فيه، ولا إعتبار بفضل النسب وحده.

﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾: أنتم ومماليكم متناسبون، نسبكم من آدم، ودينكم الإسلام.

﴿فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ في الفقيه^(٢) والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل يتزوج الرجل بالأمة بغير علم أهلها، قال: هو زنا، إن الله تعالى يقول: «فَأَنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ»^(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام لا بأس أن يتمتع الرجل بأمة المرأة، فأما أمة الرجل فلا يتمتع إلا بأمره^(٤). وفي التهذيب ما يقرب منه^(٥).

﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بغير مطل وضرار ونقصان.

﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفاف.

﴿غَيْرَ مُسْتَفْحَاتٍ﴾: غير مجاهرات بالزنا.

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ﴾: أخلاء في السر.

﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ﴾: بالتزويج، وقرئ بفتح الهمزة والصاد.

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَلْحِشَةٍ﴾: زناء.

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾: يعني الحرائر.

﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: يعني الحد كما قال تعالى: «وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ»^(٦).

١- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٩، ح ٣، باب الحريّة زوج الأمة.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٨٦، ح ١٣٦١ / ٥، باب ١٤١- أحكام المالك والاماء.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٤، ح ٩١. ٤- الكافي: ج ٥، ص ٤٦٤، ح ٤، باب تزويج الاماء.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٥٨، ح ١١١٦ / ٤١، باب ٢٤- تفصيل أحكام النكاح.

٦- النور: ٢.

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

القمي: يعني به العبيد والإماء إذا زنيا ضربا نصف الحد. فان عادا فقتل ذلك حتى يفعلوا ذلك ثمانى مرّات في الثامنة يقتلون، قال الصادق عليه السلام: وأما صار يقتل في الثامنة: لأن الله رحمه أن يجمع عليه ربق الرق وحدّ الحر^(١).

وفي الكافي: ما في معناه عن الصادق عليه السلام^(٢) وعن الباقر عليه السلام في أمة تزني؟ قال: تجلد نصف حدّ الحرّة كان لها زوج أو لم يكن لها زوج^(٣). وفي رواية: لا ترجم ولا تنفى^(٤).

﴿ذَلِكَ﴾: أي نكاح الإماء.

﴿لِمَنْ خَشِيَ أَلْعَنَتْ مِنْكُمْ﴾: لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة، وأصل

العت انكسار العظم بعد الجبر. فاستعير لكل مشقة وضرر.

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾: وصبركم عن نكاح الإماء متعقّفين خير لكم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ * يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ: ما خفي عنكم من مصالحكم

ومحاسن أعمالكم.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء وأهل الحق لتقتدوا بهم.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: ويرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بها.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٦.

٢ - الكافي: ج ٧، ص ٢٣٥، ح ٧، باب ما يجب على المالك والمكاتين من الحدّ.

٣ - الكافي: ج ٧، ص ٢٣٤، ح ٤، باب ما يجب على المالك والمكاتين من الحدّ.

٤ - الكافي: ج ٧، ص ٢٣٨، ح ٢٣، باب ما يجب على المالك والمكاتين من الحدّ.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ قَمِلُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿حَكِيمٌ﴾: في وضعها.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: كثره للتأكيد والمقابلة.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: أهل الباطل.

﴿أَنْ قَمِلُوا﴾: عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات، واستحلال المحرمات.

﴿مِثْلًا عَظِيمًا﴾: بالاضافة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾: فلذلك شرع لكم الشريعة الحنفية السمحة

السهلة، ورخص لكم في المضائق. كإحلال نكاح الأمة عند الإضطرار.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾: لا يصبر عن الشهوات، ولا يتحمل مشاق الطاعات.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾: بما لم يباحه

الشرع.

العباشي: عن الصادق عليه السلام عن بها القمار، وكانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله

فنهاهم الله عن ذلك (١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: الربا والقمار والبخس والظلم (٢).

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾: وقرئ بنصب تجارة، القمي: يعني بها الشراء والبيع الحلال^(١).

وفي الكافي^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الرجل منّا يكون عنده شيء يتبلّغ به وعليه دين أيطعمه عياله حتى يأتي الله عزّ وجلّ بميسرة فيقضي دينه؟ أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسب؟ أو يقبل الصدقة؟ قال يقضي بما عنده دينه ولا يأكل من أموال الناس إلّا وعنده ما يؤدي إليهم حقوقهم، إن الله عزّ وجلّ يقول: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ» ولا يستقرض على ظهره إلّا وعنده وفاء، ولو طاف على أبواب الناس فردّوه باللقمة واللّقميتين والتمر والتمرّتين إلّا أن يكون له وليّ يقضي دينه من بعده، ليس منّا من يموت إلّا جعل الله له وليّاً يقوم في عدته ودينه فيقضي عدته ودينه^(٣).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: القمي: كان الرجل إذا خرج مع رسول الله ﷺ في الغزو يحمل على العدو وحده من غير أن يأمره رسول الله ﷺ فنهى الله أن يقتل نفسه من غير أمره^(٤). وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: إنّ معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه^(٥).

والعياشي عنه عليه السلام: كان المسلمون يدخلون على عدوّهم في المغارات فيتمكّن منهم عدوّهم فيقتلهم كيف يشاء، فنهاهم الله أن يدخلوا عليهم في المغارات^(٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾: إنّما نهاكم الله عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم. العياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن الجبائر تكون على الكسير كيف يتوضأ صاحبها؟ وكيف يغتسل إذا أجنب؟ قال: يجزيه المسح بالماء عليها في الجنابة والوضوء، قلت: وإن كان في برد يخاف على نفسه إذا أفرغ الماء على جسده؟ فقراً

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٦. ٤- الكافي: ج ٥، ص ٩٥، ح ٢، باب قضاء الدين.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠٠. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٦.

٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٣٧. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٧، ح ١٠٣.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ تَحْتَنِينُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

رسول الله ﷺ: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» (١).

أقول: هذا الحديث يشعر بعموم الحكم في سائر أنواع القتل، وإلقاء النفس إلى التهلكة وارتكاب ما يؤدي إليه، بل باقتراف ما يردبها فإنه القتل الحقيقي للنفس.

وقيل: - المراد بالأنفس -: من كان من أهل دينهم، فإن المؤمنين كنفس واحدة، جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها إذ به قوامها استبقاء لهم ريتما (٢) تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم (٣).

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من المنهيات.

﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: إفراطاً في التجاوز عن الحق، واتباعاً بما لا يستحقه.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله إياها.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: لا عسر فيه، ولا صارف عنه.

﴿إِنَّ تَحْتَنِينُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: وقرئ كبير.

﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم، ولا تسألون عنها.

﴿وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾: الجنة، وما وعدتم من الثواب، أو إدخالاً مع كرامة.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٦، ح ١٠٢.

٢ - راث يريث ريثاً، أي أبطأ، الصحاح: ج ١، ص ٢٨٤، مادة «ريث».

٣ - راجع أنوار التنزيل ج ١، ص ٢١٦.

وقرى بفتح الميم، وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر، في الفقيه^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام إنه سئل عن الكبائر؟ فقال: كل ما أوعده الله عليه النار^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية الكبائر: التي أوجب الله عليها النار^(٣). وفي ثواب الأعمال: عنه عليه السلام في هذه الآية من اجتنب ما أوعده الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته، ويدخله مدخلاً كريماً.

والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف^(٤).

ورواها في الكافي: عن الكاظم عليه السلام^(٥) مع أربع روايات صادقة عدت في كل منها سبعاً^(٦).

وروتها العامة أيضاً كذلك^(٧) إلا أن بعضها بدّل بعضاً ببعض، والمشارك في روايات السبع: القتل، والعقوق، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في جملة الأربع أنه سأله زرارة عن الكبائر فقال: هن في كتاب علي صلوات الله وسلامه عليه سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البيّنة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، قال: فقلت فهذا أكبر المعاصي؟ قال: نعم، قلت: فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة؟ قال: ترك الصلاة، قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر؟ فقال: أي شيء أول ما قلت لك؟ قال:

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٧٣، ح ١٧٥٨ / ١٤، باب ١٧٠ - معرفة الكبائر التي أوعده الله عز وجل عليها النار.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٤.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٢٧٦، ح ١، باب الكبائر.

٤- ثواب الأعمال: ص ١٢٩ - ١٣٠، ثواب من اجتنب الكبائر.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٢٧٦ - ٢٧٧، ح ٢، باب الكبائر.

٦- راجع الكافي: ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٨٠، ح ٣ و ٨ و ١٠ و ١٤، باب الكبائر.

٧- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٦، م ١٤.

قلت: الكفر، قال: فإن تارك الصلاة كافر، يعني من غير علة^(١).

أقول: الموجبات يجوز فيها الكسر والفتح. أي التي توجب النار أو التي أوجب الله تعالى عليها النار، والتعرب بعد الهجرة أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير^(٢) عذر يعدونه كالمرتد، ولا يبعد تعميمه كل من تعلم آداب الشرع وسننه ثم تركها وأعرض عنها ولم يعمل بها.

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام: المتعرب بعد الهجرة: التارك لهذا الأمر بعد معرفته^(٣).

ومعنى بعد البيئة: بعد أن يتبين له تحريمه، والمحصة بفتح الصاد: المعروفة بالعفة، كانت ذات زوج أو لم تكن، والزحف: المشي إلى العدو للمحاربة، وفي بعض الأخبار عدت أشياء أخر غير ما ذكر من الكبائر كالإشراك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والسحر، والزنا، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، وشهادة الزور، وكتان الشهادة، وشرب الخمر، وترك الصلاة والزكاة المفروضتين، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، واللواط، والسرقة، إلى غير ذلك، ومعنى اليمين الغموس الفاجرة: أي الكاذبة.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: اليمين الغموس التي توجب النار: الرجل يحلف على حق أمريء مسلم على حبس ماله^(٤)، قيل: إنما سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم^(٥). وعن ابن عباس: أن الكبائر إلى السبعائة أقرب منها إلى السبع^(٦).

وفي المجمع: نسب إلى أصحابنا أن المعاصي كلها كبيرة لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر واستحقاق العقاب عليه أكثر^(٧). قيل: وتوفيقه مع الآية أن يقال: من عن له أمران ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتألك

١- الكافي: ج ٢، ص ٢٧٨، ح ٨، باب الكبائر. ٢- وفي نسخة: [بغير].

٣- معاني الأخبار: ص ٢٦٥، باب معنى التعرب بعد الهجرة، ح ١.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٤٣٩، ح ٢، باب كراهية اليمين بالبراءة من الله ورسوله ﷺ.

٥- قاله الطريحي في مجمع البحرين: ج ٤، ص ٩٠، مادة «غمس».

٦- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٦. ٧- مجمع البيان: ج ٣، ص ٣٨، بتفاوت.

وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا
اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الأكبر، كما إذا تيسر له النظر بشهوة والتقبيل فاكتفى بالنظر عن التقبيل، ولعل هذا مما يتفاوت أيضاً باعتبار الأشخاص والأحوال، فإنَّ حسنات الأبرار سيئات المقربين، ويؤاخذ المختار بما يعنى عن المضطرين^(١).

أقول: ظاهر الآية، والأخبار الواردة في تفسيرها، وتفسير الكبائر: يعطي تمايز كل من الصغائر، والكبائر عن صاحبها كما لا يخفى على من تأمل فيها، وما نسبته في المجمع: إلى أصحابنا^(٢) لا مستند له، وقول الموفق يعطي أن من قدر على قتل أحد فقطع أطرافه كان قطع أطرافه مكفراً، وهو كما ترى فلا بد، لكلامه وكلام الأصحاب من توجيه حتى يوافقا الظواهر. ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: من الأمور الدنيوية كالجاء والمال، فلعلَّ عدمه خير.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام أي لا يقل أحدكم ليت ما أعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فإن ذلك يكون حسداً، ولكن يجوز أن يقول اللهم أعطني مثله^(٣). وفي الخصال: عنه عن آبائه عليهم السلام، عن النبي عليه السلام: من تمى شيئاً وهو لله تعالى رضى لم يخرج من الدنيا حتى يُعطى^(٤).

٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٣٨، س ١٦.

١- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٦.

٤- الخصال: ص ٤، ح ٧، باب خصلة بخصلة.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٠.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾: بيان لذلك أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب، ومن أجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى.

﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أي لا تتمنوا ما للناس، واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفذ، في الفقيه: عن النبي ﷺ: إن الله تعالى أحب شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه. أبغض عز وجل لخلقه: المسألة، وأحب لنفسه: أن يسأل، وليس شيء أحب إليه من أن يسأل، فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله عز وجل من فضله ولو شجع نعل^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: من لم يسأل الله من فضله افتقر^(٢).

وفيه^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: ليس من نفس إلا وقد فرض الله عز وجل لها رزقاً حلالاً يأتها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها به من الحلال الذي فرضه لها، وعند الله سواهما فضل كثير، وهو قوله عز وجل: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤) (٥).

والعياشي عن النبي ﷺ ما يقرب منه^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: إن الأرزاق مضمونة مقسومة، ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك قوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٧) ثم قال: وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض^(٨).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾: فهو يعلم ما يستحقه كل أحد.

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٠-٤١، ح ١٨١ / ٢٨، باب ١٩- فضل الصدقة.

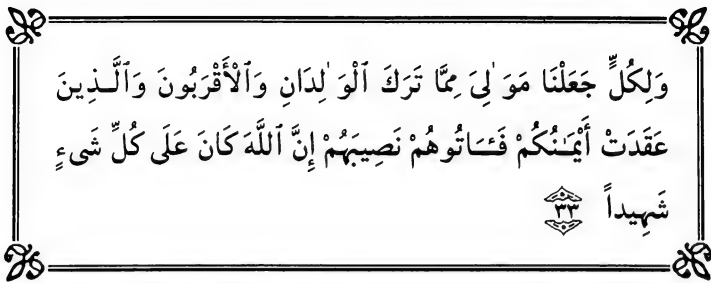
٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٧، ح ٤، باب فضل الدعاء.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٨٠، ح ٢، باب الاجمال في الطلب.

٤- النساء: ٣٢. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٨.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٩، ح ١١٦. ٧- النساء: ٣٢.

٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٠، ح ١١٩.



﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾: أي لكل واحد من الرجال والنساء جعلنا وريثة، هم أولى عيراته يرثون مما ترك الوالدان والأقربون الموروثون، أو لكل جعلنا وريثة، هم الوالدان والأقربون.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنما عني بذلك أولى الأرحام في الموارث، ولم يعن أولياء النعمة فأولاهم بالميت أقربهم إليه من الرحم التي تجرّه إليها^(١).

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ﴾: قيل: كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك، وهدمي هدمك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ بقوله: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ»^{(٢)(٣)}.

القمي: وأولو الأرحام نسخت قوله «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ»^(٤).

وقيل معناه أعطوهم نصيبهم من النصر والعقل والرفد ولا ميراث. فلا نسخ^(٥).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا وإلى الرجل الرجل فله ميراثه، وعليه معقلته^(٦).

١- الكافي: ج ٧، ص ٧٦، ح ٢، باب بدون العنوان.

٢- الانفال: ٧٥.

٣- راجع مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤٢، نقلًا عن قتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك. والجامع لاحكام القرآن:

ج ٥، ص ١٦٦، نقلًا عن قتادة. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٧.

٥- القائل: هو مجاهد، وسدي راجع الجامع لاحكام القرآن ج ٥، ص ١٦٦.

٦- الكافي: ج ٧، ص ١٧١، ح ٣، باب ولاء السانية.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى
بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَتْنَ
حَفِظَتْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ
فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ
فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

يعني دية جنابة خطئه.

وفيه ^(١)؛ والعياشي: عن الرضا عليه السلام عنى بذلك الأئمة: بهم عقد الله عز وجل إيمانكم ^(٢).
ويؤيد هذا ما سبق في آية الوصية من سورة البقرة ^(٣) إن لصاحب هذا الأمر في أموال
الناس حقاً ^(٤)، وقرئ عاقدت أي عاقدتهم أيديكم وما سحتموهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾: تهديد على منع نصيبتهم.
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: يقومون عليهم قيام الولاة على الرعية.
﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال
العقل، وحسن التدبير، ومزيد القوة في الأعمال والطاعات.

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾: في نكاحهن كالمهر والنفقة، في العلل: عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه سئل ما فضل الرجال على النساء؟ قال: كفضل الماء على الأرض، فبالماء يحيى
الأرض، وبالرجال يحيى النساء، ولولا الرجال ما خلقت النساء، ثم تلا هذه الآية، ثم قال:

١ - الكافي: ج ١، ص ٢١٦، ح ١، باب إن القرآن يهدي للامام.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٠، ح ١٢٠.

٣ - البقرة: ذيل الآية ١٨٠.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٣.

ألا ترى إلى النساء كيف يحضن ولا يكرهن العبادَةَ من القذارة، والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث^(١).

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَتْ﴾: القمي: عن الباقر عليه السلام يقول: مطيعات^(٢).

﴿حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ﴾: في أنفسهن وأموال أزواجهن.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: ما استفاد امرء مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة. تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله.

﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾: بحفظ الله إتيانهن^(٣).

﴿وَأَلَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: ترفعهن عن طاعتكم وعصيانهن لكم.

﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: بالقول.

﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾: إن لم تنجع^(٤) العظة، في المجمع: عن الباقر عليه السلام أنه

يحوّل ظهره إليها^(٥).

﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾: إن لم تنفع الهجرة ضرباً غير شديداً لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام أنه الضرب بالسّواك^(٦).

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾: بالتوبيخ والإيذاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾: فأحذروه فإنه أقدر عليكم منكم على من تحت

أيديكم.

١ - علل الشرائع: ص ٥١٢، ح ١، باب ٢٨٦ - العلة التي من أجلها فضل الرجال على النساء.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٧.

٣ - الكافي: ج ٥، ص ٣٢٧، ح ١، باب من وفق له الزوجة الصالحة.

٤ - نجع الدواء والعلف والوعظ: ظهر أثره، المصباح المنير: ص ٥٩٤.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٤.

٦ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٤٤.

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا
 إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
 ٢٥ ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا
 وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
 وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا﴾ ٢٦

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾: أي الاختلاف، وعدم الإجماع على رأي، كأن كل واحد في شق أي جانب.

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: الحكمان يشترطان إن شاء! فرقا وإن شاء جمعا، فإن جمعا فجازر^(٢).

وقال: ليس لهما أن يفرقا حتى يستأمرهما^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق.
 ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾: وأحسنوا بهما إحسانا. العياشي: عنها عليه السلام في هذه الآية أن رسول الله ﷺ أحد الوالدين، وعلي عليه السلام الآخر^(٤).

١- الكافي: ج ٦، ص ١٤٦، ح ٣، باب الحكيم والشقاق.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤١، ح ١٢٥. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٠، ح ١٢٣.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤١، ح ١٢٩.

﴿وَيَذِي الْقُرْبَى﴾: وبصاحب القرابة.

﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾: الذي قرب جواره.

﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾: البعيد. في الكافي: عن الباقر عليه السلام: حدّ الجوار أربعون داراً من كل

جانب من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: كلّ أربعين داراً جيران من بين يديه

ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ^(٢).

وعنه عليه السلام: حسن الجوار يزيد في الرزق ^(٣).

وقال: حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الأعمار ^(٤).

وعن الكاظم عليه السلام: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على

الأذى ^(٥).

وعن النبي ﷺ: الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق: حقّ الجوار، وحقّ القرابة،

وحقّ الإسلام، وجار له حقان: حقّ الجوار، وحقّ الإسلام، وجار له حق واحد: حقّ الجوار،

وهو المشترك من أهل الكتاب ^(٦).

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ﴾ قيل: من صحبتكم وحصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن

كتزوج وتعلّم وتصرف وصناعة وسفر ^(٧).

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: المسافر والضيف.

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ٢، باب حد الجوار.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١، باب حد الجوار.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٦، ح ٣، باب حقّ الجوار.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٨، باب حقّ الجوار.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٩، باب حق الجوار.

٦- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٩، ومجمع البيان ج ٣ - ٤، ص ٤٥ وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٧٦.

٧- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢١٩.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾
٣٧

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: العبيد والإماء. والقمي: والصاحب بالجنب: صاحبك في السفر، وابن السبيل: يعني أبناء الطريق الذين يستعينون بك في طريقهم، وما ملكت أيمانكم: يعني الأهل والخدام^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم.

﴿فَخُورًا﴾: يتفاخر عليهم.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾: بما منحوا به.

﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: وقرئ بفتحين، في الفقيه: عن النبي ﷺ: ليس البخيل من أدى الزكاة المفروضة من ماله وأعطى البائنة في قومه، إنما البخيل حق البخيل من لم يؤدّ الزكاة المفروضة من ماله ولم يعط البائنة في قومه وهو يبذر فيما سوى ذلك^(٢).

أقول: البائنة، العطية، سميت بها لأنها أبينت من المال.

وعن الصادق عليه السلام: البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشحّ بما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلاّ تمنّى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله^(٣).

وفي الخصال: عنه عليه السلام: ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء، لا يكون فيهم من

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٨.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٤، ح ١٤١ / ٨، باب ١٦ - فضل السخاء والجود.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٥، ح ١٤٢ / ٩، باب ١٦ - فضل السخاء والجود.

وَالَّذِينَ يُتَّفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
 بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾
 وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
 رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

يسأل بكفه، ولا يكون فيهم بخيل. الحديث (١).

وعن النبي ﷺ: خصلتان لا تجتمعان في المسلم: البخل، وسوء الخلق (٢).

﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: من الغنى والعلم حيث ينبغي إظهاره.
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾: لهم.

﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾: وضع الظاهر موضع المضمرة: إشعار بأن من هذا شأنه فهو كافر
 لنعمة الله، فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء.

﴿وَالَّذِينَ يُتَّفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ﴾: وهم أهل السرف شاركهم مع البخلاء
 في الذم والوعيد لإشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ليتحرّوا بالإنفاق مراضيه وثوابه.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾: تنبيه على أن الشيطان قرينهم
 يحملهم على ذلك، ويزيئه لهم كقوله: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ» (٣).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: في
 طاعة الله، توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة، والإعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه،

١- الحصال: ص ١٣١، ح ١٣٧، باب ثلاث خصال لا تكون في الشيعة.

٢- الحصال: ص ٧٥، ح ١١٧، باب خصلتان لا يجتمعان.

٣- الإسراء: ٢٧.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ
مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤٢﴾

وتحريض على التفكير لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد والعوائد، وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب له احتياطاً فكيف إذا تضمنت المنافع، وإنما قدم الإيمان هاهنا وآخره في الآية السابقة لأن المقصود هاهنا التخصيص وثمة، التعليل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: وعيد لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة، ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمنقل من النقل.

﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً﴾: وقرئ بالرفع على التامة.

﴿يُضَعِفْهَا﴾: يضاعف ثوابها. وقرئ يضعفها بالتشديد.

﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ﴾: ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد

في مقابلة العمل.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: عطاء جزيلاً سماه أجراً لتبعيته له.

﴿فَكَيْفَ﴾: حالهم من الهول والفرع.

﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: نزلت في أمة محمد ﷺ

خاصة في كل قرن منهم إمام شاهد عليهم ومحمد ﷺ شاهد علينا^(١).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في حديث يذكر فيه أحوال

١ - الكافي: ج ١، ص ١٩٠، ح ١، باب في أن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِم
الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

أهل الموقف فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أمهم فاخبروا أنهم قد أدوا ذلك إلى أمهم وتساءل الأمم فيجحدون كما قال الله: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ»^(١) فيقولون «مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ»^(٢) فيستشهد الرسل رسول الله فيشهد بصدق الرسل ويكذب من جحدها من الأمم فيقول لكل أمة منهم: بلى قد «جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣) أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» فلا يستطيعون ردّ شهادته خوفاً من أن يختم الله على أفواههم وأن يشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون، ويشهد على منافقي قومه وأمتة وكفارهم بالحادهم وعنادهم ونقضهم عهده، وتغييرهم سنته واعتدائهم على أهل بيته، وانقلابهم على أعقابهم، وارتدادهم على أديبارهم، واحتدائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها فيقولون بأجمعهم: «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ»^{(٤)(٥)}.

أقول: نزول الآية في هذه الأمة لا ينافي عموم حكمها فلا تنافي بين الروایتين وقد مضى تمام الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله سبحانه: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»^(٦).

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ﴾: وقرئ بفتح التاء

٢- المائدة: ١٩.

١- الأعراف: ٦.

٤- المؤمنون: ١٠٦.

٣- المائدة: ١٩.

٦- البقرة: ١٤٣.

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٠-٣٦١.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ
تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ
أَوْ لِمَسْتُمُ النِّسَاءِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

وبتشديد السين معه.

﴿يَهُمُّ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾: العياشي: عن الصادق، عن جدّه، عن أمير المؤمنين: في خطبة يصف فيها هول يوم القيامة: ختم على الأفواه فلا تكلم، وتكلمت الأيدي وشهدت الأرجل، وأنطقت الجلود بما عملوا فلا يكتُمون الله حديثاً^(١).

والقمي قال: يتمنى الذين غضبوا أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون الأرض تبلعهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غضبه وإن لم يكتُموا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله فيه^(٢).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾: لا تقوموا إليها.

﴿وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾: من نحو نوم أو خمر.

﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾: حتى تنتبهوا وتفيقوا.

في الكافي^(٣)، والعلل^(٤)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً، ولا متناعساً، ولا متثاقلاً، فإنّها من خلال النفاق، وقد نهى الله عزّ وجلّ أن تقوموا إلى الصلاة

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١٣٣. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٩.

٣ - الكافي: ج ٣، ص ٢٩٩، ح ١، باب الخشوع في الصلاة وكراهة العبث.

٤ - علل الشرائع: ص ٣٥٨، ح ١، باب ٧٤ - علّة الاقبال على الصلاة. وعلّة النهي عن التكفير. وعلّة النهي عن القيام إلى الصلاة على غير سكون ووقار.

وأنتم سكارى، قال: سكر النوم^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: منه سكر النوم، وهو يفيد التعميم^(٢).

وفي المجمع: عن الكاظم عليه السلام: أن المراد به سكر الشراب، ثم نسختها بتحريم الخمر^(٣).
ومثله ما روته العامة وأنها نزلت فيمن قرأ في صلاته «أعبد ما تعبدون» في سكره^(٤).
والعياشي عنه: هذا قبل أن يحرم الخمر^(٥).

وعن الصادق عليه السلام: سئل عن هذه الآية: قال: يعني سكر النوم، يُقول بكم نعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم، وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أن المؤمنين يسكرون من الشراب، والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر^(٦).

أقول: لما كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرجاً والتأخير في التصريح به كما مضى بيانه في سورة البقرة، وكان قوم من المسلمين يصلون سكارى قبل استقرار تحريمها نزلت هذه الآية وخوطبوا بمثل هذا الخطاب، ثم لما ثبت تحريمها واستقر، وصاروا ممن لا ينبغي أن يخاطبوا بمثله لأن المؤمنين لا يسكرون من الشراب بعد أن حرم عليهم جاز أن يقال: إنها منسوخة بتحريم الخمر بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك، لا بمعنى جواز الصلاة مع السكر، ثم لما عم الحكم سائر ما يمنع من حضور القلب جاز أن يفسر بسكر النوم ونحوه تارة وأن يعم الحكم أخرى فلا تنافي بين هذه الروايات بحال، والحمد لله على ما رزقنا من فهم كلام خلفائه.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾: في العلل^(٧)، والعياشي^(٨): عن

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١٣٤.

٢- الكافي: ج ٣، ص ٣٧١، ح ١٥، باب بناء المساجد وما يؤخذ منها والحدث فيها من النوم وغيره.

٣- مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ح ٥١. ٤- راجع تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ١٧٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٢١.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١٣٥. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٢، ح ١٣٧.

٧- علل الشرائع: ص ٢٨٨، ح ١، باب العلة التي من أجلها يجوز للحنث والجنب أن يجوزا في المسجد ولا

يضعاه فيه شيئا. ٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٣، ح ١٣٨.

الباقر عليه السلام والقمي: عن الصادق عليه السلام: الحائض والجنب لا يدخلان المسجد إلا بمحتازين فإن الله تعالى يقول: «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا»^(١).

قال بعض البارعين في علم البلاغة من أصحابنا في كتاب ألفه في الصناعات البديعة عند ذكر الإستخدام بعد ما عرفه بأنه عبارة من أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين مقرونة بقرينتين يستخدم كل قرينة منهما معنى من معني تلك اللفظة قال: وفي الآية الكريمة قد استخدم سبحانه لفظة «الصلاة» لمعنيين أحدهما إقامة الصلاة بقرينة قوله عز وجل: «حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» والآخر موضع الصلاة بقرينة قوله جل ثناؤه: «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ»^(٢).

أقول: هذا هو الصواب، وهو الموافق لما رويناه من الأخبار في هذا الباب كما دريت لا ما تكلفته العامة تارة بأن المراد بالصلاة في صدر هذه الآية مواضعها وهي المساجد بقرينة: «عَابِرِي سَبِيلٍ»، وأخرى بأن المراد بعباري سبيل حالة السفر، وذلك إذا لم يجد الماء وتيمم بقرينة: «حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ».

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾: قيل: يعني مريضاً يخاف على نفسه بإستعمال الماء أو الوصول إليه.

أقول: لا حاجة إلى هذا التقييد لأن قوله تعالى: «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً» متعلق بالجمل الأربع، وهو يشمل عدم التمكن من استعماله، لأن الممنوع منه كالمفقود، وكذلك تقييد السفر بعدم وجدان الماء، وهما مستفادان من النصوص المعصومية أيضاً.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: أي متلبسين به إذ الغالب فقدان الماء في أكثر الصحاري.
﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: كناية عن الحدث، إذ الغائط: المكان المنخفض من الأرض كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً يغيب فيه أشخاصهم عن الرأي.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣٩.

٢ - انتهى كلام بعض البارعين في علم البلاغة.

﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: وقرئ لَمَسْتُم كناية عن الجماع كذا في المجمع: عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه^(١).

وفي الكافي^(٢)، والعياشي، عن الصادق عليه السلام قال: هو الجماع، ولكن الله ستيّر يحبّ الستر ولم يسم كما تسمون^(٣).

وعن الباقر عليه السلام ما يعني بهذا: «أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ» إلا الواقعة في الفرج^(٤).

وفي رواية أخرى في الكافي: أن الله حيي كريم يعبر عن مباشرة النساء بلامستهن^(٥).

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾: بأن تفقدوه أو لم تتمكنوا من استعماله كما سبق.

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾: فتعمدوا تراباً طاهراً. وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام

الصعيد: الموضع المرتفع، والطيب: الموضع الذي ينحدر عنه الماء^(٦).

وقيل: الصعيد: وجه الأرض تراباً كان أو غيره، فيجوز التيمم على الحجر الصلد^(٧).

ويدفعه من القرآن: قوله سبحانه في سورة المائدة: «فامسحوا بوجوهكم وأيديكم

منه»^(٨) أي من بعضه، وجعل «من» لإبتداء الغاية تعسف، إذ لا يفهم من مثله إلا التبعض، وقد ورد في بعض الأخبار تفسيره به كما يأتي في محله.

ومن الحديث: قوله عليه السلام في معرض التسهيل والتخفيف، وبيان إمتنان الله سبحانه

عليه وعلى هذه الأمة المرحومة في إحدى الروايتين «جعلت لي الأرض مسجداً وتراها

طهوراً»^(٩) فلو كان مطلق الأرض طهوراً لكان ذكر التراب مخللاً بأنطباق الكلام على الغرض

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٢. ٢- الكافي: ج ٥، ص ٥٥٥، ح ٥، باب النوادر.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٣، ح ١٤١. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٣، ح ١٣٩.

٥- لم نثر عليه في الكافي. بل وجدناه في بحار الأنوار: ج ٨٠، ص ٢٢١، و ج ٨١، ص ١٣٣.

٦- معاني الأخبار: ص ٢٨٣، معنى المحاقلة، وبيع الحصاة، وغير ذلك من المناهي ص ١٣.

٧- قاله الزجاج، كما جاء في مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥١، في اللغة، وفي صفحة ٥٢، ص ٢٩.

٨- المائدة: ٦. والآية هكذا: «... فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا...».

٩- عوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٦، و ص ٢٠٨، ح ١٣٠.

المسوق، له وكان مقتضى الحال أن يقول: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» كما في الرواية الأخرى^(١).

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام في آية التيمم التي في المائدة، فلما وضع الوضوء إن لم يجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنه قال: «بوجوهكم» ثم وصل بها «وأيديكم»^(٢).

أقول: نبّه بذلك على عدم وجوب استيعاب الوجه واليدين بالمسح كما تفعله العامة، وإن «الباء» فيه للتبويض، ويأتي تمام الحديث إن شاء الله.

وعنه عليه السلام في صفة التيمم: أنه وضع كفيه على الأرض، ثم مسح وجهه وكفيه، ولم يمسح الذراعين بشيء^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: أنه وصف التيمم فضرب بيديه على الأرض، ثم رفعهما فنفضهما، ثم مسح على جبينه وكفيه مرة واحدة^(٤).

وفي رواية: ثم مسح كفيه إحداهما على ظهر الأخرى^(٥).

وعن الرضا عليه السلام: التيمم: ضربة للوجه، وضربة للكفين^(٦).

وعن الباقر عليه السلام: هو ضرب واحد للوضوء، وللغسل^(٧) من الجنابة تضرب بيدك مرتين، ثم تنفضهما نفضة للوجه، ومرة لليدين، ومتى أصبت الماء فعليك بالغسل إن كنت جنباً،

١ - عوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٤، ح ٢٧. ومن لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٥٥، ح ٧٢٤ / ١، باب ٣٨ -

المواضع التي تجوز الصلاة فيها والمواضع التي لا يجوز فيها. والخصال: ص ٢٩٢، ح ٥٦.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ٣٠، ح ٤، باب مسح الرأس والقدمين. وللحديث تنمة فراجع.

٣ - تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٢٠٨، ح ٦٠٣ / ٦، باب ٩ - صفة التيمم.

٤ - تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٢١٢، ح ٦١٤ / ١٧، باب ٩ - صفة التيمم. والكافي: ج ٣، ص ٦١، ح ١، باب

صفة التيمم وفيه «مسح بها جبينه وكفيه». - الكافي: ج ٣، ص ٦٢، ح ٣، باب صفة التيمم.

٦ - تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٢١٠، ح ٦٠٩ / ١٢، باب ٩ - صفة التيمم.

٧ - وفي نسخة: [الغسل] كما في المصدر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

والوضوء إن لم تكن جنباً^(١).

أقول: ضرب واحد: يعني نوع واحد للطهارتين لا تفاوت فيه كما يستفاد من ظاهر الآية وظواهر الأخبار الواردة في هذا الباب، لا أنه ضربة للوضوء واثنان للغسل كما زعمت جماعة من متأخري أصحابنا، كيف ذا وكل ما ورد في بيان بدل الغسل اكتفى فيه بالضربة الواحدة على أنه خلاف ظاهر اللفظ.

وفي الفقيه^(٢)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: أنه سئل عن التيمم من الوضوء، ومن الجنابة، ومن الحيض للنساء سواء؟ فقال: نعم^(٣).

أقول: وإنما تستحب^(٤) المراتن فيها لإشتراط علوق التراب بالكف كما أشرنا إليه، فإن الضربة في التيمم بمنزلة اغتراف الماء في الوضوء والغسل. فلعلّه ربما يذهب التراب عن الكفين بمسح الوجه ولا يبقى لليدين، فالإحتياط يقتضي الضربتين في الطهارتين وأما النفث فلعلّه لتقليل التراب لئلا يتشوه به الوجه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾: فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا﴾: حظاً يسيراً.

﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾: من علم التوراة كما قيل: أنها نزلت في أخبار اليهود^(٥).

١- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٢١٠، ح ٦١١ / ١٤، باب ٩- صفة التيمم.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٨، ح ٢١٥ / ٥، باب ٢١- التيمم.

٣- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٢١٢، ح ٦١٧ / ٢٠، باب ٩- صفة التيمم وأحكام المحدثين منه.

٤- وفي نسخة: [استحب].

٥- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٢٢، س ٧.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ
 سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنَتِهِمْ
 وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ
 وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ
 فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾: يستبدلونها بالهدى بعد حصوله لهم بالمعجزات الدالة على

صدق محمد ﷺ، وأنه المبشر به في التوراة.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا﴾: أيها المؤمنون.

﴿السَّبِيلَ﴾: سبيل الحق.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: منكم.

﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾: وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾: يلي أمركم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾: يعينكم فثقوا به واكتفوا به عن غيره.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: قوم.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: يميلون عنها بتبديل كلمة مكان أخرى كما حَرَفُوا

في وصف محمد ﷺ أسمر^(١) ربعة^(٢) عن موضعه في التوراة، ووضعوا مكانه آدم^(٣) طوال.

٢ - الربعة: من ليس بطويل ولا قصير. منه يَزِيدُ.

١ - الاسمر: من يشبه لونه لون الحنطة. منه يَزِيدُ.

٣ - الأدم: من اشتد سمرته. منه يَزِيدُ.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا
مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نُّطَمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارَهَا أَوْ
نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾: قولك.

﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك.

﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾: يعنون، اسمع منا ندعو عليك بلا سمعت أو اسمع غير مجاب

إلى ما تدعو إليه.

﴿وَرَاعِنَا﴾: انظرنا نكلّمك أو نفهم كلامك، يعنون به - السبب - . فإن «راعنا» سب

في لغتهم.

﴿لَيَأْتِيَا بِالسَّبْتِ﴾: فتلاّ بها وصرفاً للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا «راعنا»

المشابه لما يتساّبون به موضع أنظرنا وراقبنا، «وغير مسمع» موضع: لا أسمعتك مكروهاً أو
فتلاّ بها وضماً ما يظهرون من الدعاء، والتوقير إلى ما يضرّونه من الشتم والتحقير نفاقاً.

﴿وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾: استهزاء به وسخرية.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾:

وأعدل وأسد.

﴿وَلَنَكِينُ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: خذهم وأبعدهم عن الهدى.

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: بسبب كفرهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، إلا ايماناً قليلاً لا يعبأ به، وهو الايمان ببعض الآيات

والرسل أو ايماناً ضعيفاً لا اخلاص فيه أو إلا قليلاً منهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴿١﴾: في الجمع: عن الباقر عليه السلام: ان المعنى: نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها في ضالتها من حيث ^(١) لا يفلح أبداً ^(٢).

والطمس: إزالة الصورة، ومحو التخطيط.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾: أو نخزيهم بالمسخ كما أخزيناهم به.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾: فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: لأنه حكم على خلود عذابه من جهة أن ذنبه لا

ينمحي عنه أثره، فلا يستعد للعفو إلا أن يتوب ويرجع إلى التوحيد، فإن باب التوبة مفتوح أبداً.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾: مادون الشرك صغيراً كان أو كبيراً.

﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: تفضلاً عليه وإحساناً، في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال:

الكبائر فما سواها ^(٣).

وفيه ^(٤) وفي الفقيه: أنه سئل هل تدخل الكبائر في مشيئة الله؟ قال: نعم ذاك إليه عزّ

وجلّ إن شاء عذب عليها، وإن شاء عفا عنها ^(٥).

والقمي: عنه عليه السلام ما يقرب من صدره ^(٦).

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في حديث ولقد سمعت حبيبي رسول

١- وفي نسخة [بحيث]. ٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٥٥.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٢٨٤، ح ١٨، باب الكبائر. ٤- الكافي: ج ٢، ص ٢٨٤، ح ١٨ و ١٩، باب الكبائر.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٧٦، ح ١٧٨٠ / ٣٦، باب ١٧٩ - معرفة الكبائر التي أوعدها الله عزّ وجلّ

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٠.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ
وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَلًا ﴿٤٩﴾

الله ﷻ يقول: لو أن المؤمن خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب، ثم قال: من قال: لا إله إلا الله باخلاص فهو بريء من الشرك، ومن خرج من الدنيا لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ثم تلا هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ» من شيعتك ومحبيك يا علي، قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: فقلت: يا رسول الله هذا لشيعتي، قال: أي ورثي إنّه لشيعتك^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» يعني أنّه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي صلوات الله عليه، «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، يعني لمن وإلى علياً عليه السلام. وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن أدنى ما يكون الإنسان مشركاً؟ قال: من ابتدع رأياً فأحب عليه أو أبغض^(٣).

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما في القرآن آية أحب إليّ من قوله عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ»^(٤).

«وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا»: ارتكب ما يستحقّر دونه من الآثام والإفتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا:

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٥، ح ٨٩٢ / ٧٢، باب ١٧٦ - النوادر.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٥ - ٢٤٦، ح ١٤٩.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٥٠.

٤- التوحيد: ص ٤٠٩، ح ٩، باب الأمر والنهي والوعد والوعيد.

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
 وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

«نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ»^(١) «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى»^(٢) كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام^(٣).

والقمي قال: هم الذين سموا أنفسهم بالصديق، والفاروق، وذو النورين^(٤).

«بَلِ اللَّهُ يُرْزِي مَنْ يَشَاءُ»: لأنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن أو قبح دون غيره.

«وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا»: أدنى ظلم وأصغره، وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة.

«أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ»: في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياؤه عنده.

«وَكَفَى بِهِ»: بالافتراء.

«إِثْمًا مُبِينًا»: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّغُوتِ: القمي قال: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب أديننا أفضل أم دين محمد ﷺ؟ قالوا: بل دينكم أفضل^(٥).

٢- البقرة: ١١١.

١- المائدة: ١٨.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٠.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٨.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٠.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
نَصِيراً ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ
نَقِيرًا ﴿٥٣﴾

قال: وروي أيضاً أنها نزلت في الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين
حقهم، وحسدوا منزلتهم^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: الجبت والطاغوت: فلان وفلان^(٢).

أقول: الجبت في الأصل: اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله تعالى،
والطاغوت: يطلق على الشيطان، وعلى كل باطل من معبود أو غيره.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لأجلهم وفيهم.

﴿هَتُؤَلَاءِ﴾: إشارة إليهم.

﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾: أقوم ديناً، وأرشد طريقاً. في الكافي: عن
الباقر عليه السلام: يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدي من آل محمد صلوات الله
عليهم أجمعين^(٣).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ * أَمْ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾: إنكار يعني ليس لهم ذلك.

﴿فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾: يعني لو كان لهم نصيب في الملك فإذا لا يوتون
الناس نقيراً.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٥٣.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٠.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٠٥، ح ١، باب أَنَّ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولاة الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ
 آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا
 عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

في الكافي: عن الباقر عليه السلام: أم لهم نصيب من الملك يعني الإمامة والخلافة، قال: ونحن الناس الذين عنى الله، والتقرير: النقطة التي في وسط النواة^(١).

أقول: لعل التخصيص لأجل أن الدنيا خلقت لهم، والخلافة حقهم فلو كانت الأموال في أيديهم لا تنتفع بها سائر الناس، ولو منعوا عن حقوقهم لمنع سائر الناس، فكأنهم كل الناس، وقد ورد نحن الناس، وشيعتنا أشباه الناس، وسائر الناس نناس^(٢).

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: وفي الكافي^(٣)، والعياشي، وغيرهما عنهم عليهم السلام في عدة روايات: نحن المحسودون الذين قال الله: على ما آتانا الله من الإمامة^(٤).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: المراد بالناس: النبي صلى الله عليه وآله^(٥).
 ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: فلا يبعد أن يؤتيهم الله مثل ما آتاهم فإنهم كانوا بني عمهم.

١- الكافي: ج ١، ص ٢٠٥، ح ١، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٤٤، ح ٣٣٩.

٣- راجع الكافي: ج ١، ص ١٨٦، ح ٦، باب فرض طاعة الأئمة وص ٢٠٦، ح ٢ و ٤، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٥٣ وص ٢٤٧، ح ١٥٥.

٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٦١.

فَإِنَّهُمْ مِّنْ ءَامِنٍ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
 ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا
 نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ
 اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦

في الكافي^(١)، والقمي: عن الصادق عليه السلام: الكتاب: النبوة، والحكمة: الفهم والقضاء،
 والملك العظيم: الطاعة المفروضة^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: يعني جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة
 فكيف يقرّون في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقال:
 الملك العظيم: أن جعل فيهم أئمة. من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، فهو الملك
 العظيم^(٤).

﴿فَإِنَّهُمْ مِّنْ ءَامِنٍ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾: أعرض، ولم يؤمن.
 ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾: ناراً مسعورة يعذبون بها، يعني إن لم يجعلوا بالعقوبة فقد
 كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾: القمي: قال: الآيات: أمير

١ - الكافي: ج ١، ص ٢٠٦، ح ٣، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٠.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٢٠٦، ح ٥، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية الأمر، وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٥٣.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
 وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

المؤمنين، والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين^(١).

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: في الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام أنه سأله ابن أبي العوجاء عن هذه الآية فقال: ما ذنب الغير؟ قال: ويحك فهي هي وهي غيرها، قال: فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: نعم، رأيت لو أن رجلاً أخذ لبنه فكسرها ثم ردّها في ملبنها فهي هي وهي غيرها^(٢).

والقمتي: عنه عليه السلام ما في معناه^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يمتنع عليه ما يريد.

﴿حَكِيمًا﴾: يعاقب على وفق حكمته.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا
 تنسخه الشمس والظليل: صفة مشتقة من الظل، لتأكيد كماله قيل: ليل الليل، وشمس
 شامس^(٤).

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١.

٢ - الإحتجاج: ج ٢، ص ١٠٤، احتجاج الصادق عليه السلام مع ابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١.

٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٢٥، س ١٠.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ
بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

وإنما آخر ذكر الوعد عن الوعيد لكونه بالعرض.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: في الكافي^(١)، وغيره في عدة روايات أن الخطاب للأئمة عليهم السلام ^(٢) أمر كل منهم أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه، ثم هي جارية في سائر الأمانات^(٣).

وفيه^(٤) وفي العياشي: عن الباقر عليه الصلاة والسلام: إيانا عنى أن يؤدي الإمام الأول إلى الذي بعده العلم والكتب والسلاح^(٥).

وفي المجمع: عنها عليهم السلام أنها في كل من اتّمن أمانة من الأمانات أمانات الله وأوامره ونواهيه، وأمانات عبادته فيما يأتّم بعضهم بعضاً من المال وغيره^(٦).

وعنهم عليهم السلام في عدة روايات لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل، وسجوده. فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء أمانته^(٧).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن ضارب علي بالسيف وقتله لو اتّمنني واستصحبني

١- الكافي: ج ١، ص ٢٧٦، ح ٢ و ٣ و ٤، باب أن الإمام يعرف الإمام الذي يكون بعده.

٢- وفي نسخة: [إلى الأئمة].

٣- معاني الأخبار: ص ١٠٧، ح ١، باب معنى الأمانات التي أمر الله عز وجلّ عباده بأدائها إلى أهلها.

٤- الكافي: ج ١، ص ٢٧٦، ح ١، باب أن الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون بعده.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٩، ح ١٦٣. ٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٥٨.

٧- الكافي: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٢، باب الصدق وأداء الأمانة. وقريب منه ص ١٠٤، ح ٢.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

واستشارني ثم قبلت ذلك منه لأدبته إليه الأمانة^(١).

وفي معناها أخبار كثيرة^(٢).

﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾: في الكافي^(٣)، والعياشي: عن

الباقر عليه السلام: يعني العدل الذي في أيديكم^(٤).

وفي رواية أخرى للعياشي: «أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» إذا ظهرتم «أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» إذا

بدت في أيديكم^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام فينا نزلت، والله المستعان^(٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في أماناتكم.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ

١ - الكافي: ج ٥، ص ١٣٣، ح ٥، باب أداء الأمانة.

٢ - راجع الكافي: ج ٥، ص ١٣٣، ح ٤، باب أداء الأمانة. ومعاني الأخبار: ص ١٠٧، ذيل ح ١، باب معنى الأمانات التي أمر الله عباده بأدائها إلى أهلها.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٢٧٦، قطعة من ح ١، باب أن الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون من بعده.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦، ح ١٥٣.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٧، ح ١٥٤.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٩، ح ١٦٦.

مِنْكُمْ» في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: «إِنَّا عَنْ خَاصَّةٍ، أَمْرُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِطَاعَتِنَا»^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَوْصِيَاءِ طَاعَتِهِمْ مَفْرُوضَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: «أَطِيعُوا اللَّهَ» الْآيَةَ، وَقَالَ اللَّهُ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» الْآيَةَ^(٣) (٤).

وفيه^(٥)، والعيّاشي: عَنْهُ عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقِيلَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: فَمَالَهُ لَمْ يَسْمَعْ عَلِيّاً وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: فَقُولُوا لَهُمْ: نَزَلَتْ الصَّلَاةُ وَلَمْ يَسْمَعْ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثاً وَلَا أَرْبَعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دَرهماً دَرهماً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَ الْحَجُّ فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ: طُوفُوا اسْبُوعاً حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي فَسَّرَ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَلَتْ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» وَنَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَلِيٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ»، وَقَالَ: «أَوْصِيَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِي فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَوْرُدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضُ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ» وَقَالَ: «لَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ» وَقَالَ: «أَنْهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ هَدَى وَلَنْ يَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ ضَلَّاهُ» فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَبَيِّنْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ لِإِدْعَاةِ آلِ فُلَانٍ وَآلِ فُلَانٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ تَصَدِيقاً لِنَبِيِّهِ ﷺ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٦) فَكَانَ عَلِيٌّ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ، وَفَاطِمَةُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ

١- الكافي: ج ١، ص ٢٧٦، قطعة من ح ١، باب أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام يَعْرِفُ الْإِمَامَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِ.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٤٧، قطعة من ح ١٥٣.

٣- المائدة: ٥٥.

٤- الكافي: ج ١، ص ١٨٧، ح ٧، وص ١٨٩، ح ١٦، باب فَرَضُ طَاعَةِ الْأَعْمَةِ.

٥- الكافي: ج ١، ص ٢٨٦، ح ١، باب مَا نَصَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَرَسُولُهُ عَلَى الْأَعْمَةِ عليهم السلام وَاحِداً فَوَاحِداً.

٦- الاحزاب: ٣٣.

سلمه ثم قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ نَبِيَّ أَهْلًا وَثَقْلًا وَهُوَ لَأَهْلُ بَيْتِي وَفِي. فقالت أم سلمة: ألسنت من أهلك؟ فقال: إنيك على خير، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلى» (الحديث).

وزاد العياشي: آل عباس، وآل عقيل، قبل قوله: آل فلان وآل فلان^(١).

وعن الصادق عليه السلام أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، والإقرار بما جاء به النبي من عند الله، وحق في الأموال من الزكاة، والولاية التي أمر الله بها: ولاية آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن رسول الله ﷺ قال: «من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»، قال الله عز وجل: «أطيعوا الله وأطيعوا أرسولاً وأولي الأمر منكم» فكان علي عليه السلام ثم صار من بعده الحسن، ثم من بعده الحسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر أن الأرض لا تصلح إلا بإمام عليهم السلام (الحديث)^(٢).

وفي المعاني: عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل ما أدنى ما يكون به الرجل منافقاً^(٣)، فقال: أن لا يعرف من أمر الله بطاعته، وفرض ولايته، وجعل حجته في أرضه، وشاهده على خلقه، قال: فمن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: فقبلت رأسه، وقلت: أوضحت لي، وفرجت عني، وأذهبت كل شك كان في قلبي^(٤).

وفي الإكمال: عن جابر بن عبد الله الأنصاري عليه السلام: قال لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه وعلى آله السلام: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي: المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠، ح ١٦٩.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، ح ١٧٥.

٣- وفي نسخة: [ضالاً] كما في المصدر.

٤- معاني الأخبار: ص ٣٩٤، ح ٤٥، باب نوادر المعاني.

يا جابر فإذا لفيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمّي محمد وكنّيي، حجّة الله في أرضه، وبقيته في عبادته، ابن الحسن بن علي صلوات الله عليهم، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان^(١)، قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيؤون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله، ومخزون علم الله فاكتبه إلا عن أهله^(٢).

والأخبار في هذا المعنى في الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصى كثرة.

وفي التوحيد: عن أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله: بالله تعالى، والرسول: بالرسالة، وأولي الأمر: بالمعروف والعدل والإحسان^(٣).

وفي العلل: عنه عليه السلام: لا طاعة لمن عصى الله، وإنما الطاعة لله، ولرسوله، ولولاة الأمر، أمّا أمر الله بطاعة الرسول لأنّه معصوم مطهر لا يأمر بمعضية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعضية^{(٤)(٥)}.

﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ﴾: أيها المأمورون.

﴿فِي شَيْءٍ﴾: من أمور الدين.

١- وفي نسخة: [بالإيمان].

٢- اكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٥٣، ح ٣، باب ٢٣ - نصّ من الله تبارك وتعالى على القائم بأنّه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام.

٣- التوحيد: ص ٢٨٥ - ٢٨٦، ح ٣، باب ٤١ - انه عزّ وجلّ لا يعرف إلا به.

٤- وفي نسخة: [بمعضيته].

٥- علل الشرائع: ص ١٢٣، ح ١، باب ١٠٢ - العلة التي من أجلها أمر الله تعالى بطاعة الرسل والأئمة صلوات الله عليهم.

﴿فَرُدُّوهُ﴾: فراجعوا فيه.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: إلى محكم كتابه.

﴿وَالرَّسُولِ﴾: بالسؤال عنه في زمانه وبالأخذ بسنته، والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده، فإنها رد إليه.

القمي: عن الصادق عليه السلام قال: نزل «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالْإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(١).

وفي الكافي^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنه تلا هذه الآية هكذا «فَإِنْ خِفْتُمْ تَنَازُعًا فِي أَمْرٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالْإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: كذا نزلت وكيف يأمرهم الله عز وجل بطاعة ولادة الأمر ويرخص في منازعتهم؟ إنما قيل: ذلك للمأمرين الذين قيل لهم: «أطيعوا الله»^(٣).

وفي نهج البلاغة: في معنى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال إنما لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله تعالى وقال الله سبحانه: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالْإِلَى الرَّسُولِ» فردّه إلى الله: أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول: أن نؤخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أولاهم به^(٤).

وقال علي عليه السلام في عهده للأشتر واردة إلى الله ورسوله ما يضلّك^(٥) من الخطوب ويشتبّه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١، وفيه «فإن تنازعتم في شيء فارجعوه إلى الله...».

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٧٦، قطعة من ج ١، باب أن الإمام عليه السلام يعرف الإمام الذي يكون من بعده.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، ذيل ح ١٥٣.

٤- نهج البلاغة: ص ١٨٢، ومن كلام له عليه السلام - رقم ١٢٥ في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكيم.

٥- أي ما يؤدّك ويشقّلك ويكاد يبيّلك من الأمور الجسام، وفي هامش المخطوط: أي يضيق بك. منه يبيّلك.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ
أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا

بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ» فالرَّادُّ إلى الله: الآخذ بمحكم كتابه، والرادُّ إلى الرسول: الآخذ بسنته الجامعة غير
المفرقة^(١).

وفي الإحتجاج: عن الحسين بن علي عليه السلام في خطبة طويلة: أطيعونا. فإن طاعتنا
مفروضة، إذ كانت بطاعة الله وطاعة رسوله مقرونة، قال الله عز وجل: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» وقال: «وَلَوْ رَدُّوهُ
إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» (٢)(٣).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يوجب ذلك.

﴿ذَلِكَ﴾: أي الرد.

﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: من تأويلكم بلا رد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ

١ - نهج البلاغة: ص ٤٣٤. قطعة من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر وأعمالها حين

اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر رقم (٥٣). ٢ - النساء: ٨٣.

٣ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٢٣، احتجاج الحسين عليه السلام بإمامته على معاوية لعنة الله عليه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ
الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا

يُضِلُّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا: القمي: نزلت في الزبير بن العوام، نازع رجلاً من اليهود في حديقه فقال الزبير: نرضى بآبى شيبة اليهودي، وقال اليهودي: نرضى بمحمد ﷺ؟ فأنزل الله (١). وفي الكافي: عن الصادق عليه الصلاة والسلام أيما رجل كان بينه وبين أخ مسارة في حق فدعاه إلى رجل من اخوانه ليحكم بينه وبينه فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء كان بمنزلة الذين قال الله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...» الآية (٢).

وعنه عليه السلام أنه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحل ذلك؟ فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً، وإن كان حقه ثابتاً لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به، قيل: كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما يحكم الله استخفّ وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله (٣).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ: يعرضون.

عَنْكَ صُدُودًا: القمي: هم أعداء آل محمد صلوات الله عليهم كلهم جرت فيهم

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٤١١، ح ٢، باب كراهية الارتفاع إلى قضاء الجور.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٤١٢، ح ٥، باب كراهية الإرتفاع إلى قضاء الجور.

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسِنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ
الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ
لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

هذه الآية (١).

﴿فَكَيْفَ﴾: يكون حالهم.
﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾: نالهم من الله عقوبة.
﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من التحاكم إلى غيرك، واطهار السخط لحكمك.
﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾: فيعتذرون إليك.
﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾: بالتحاكم إلى غيرك.
﴿إِلَّا إِحْسِنًا﴾: وهو التخفيف عنك.
﴿وَتَوْفِيقًا﴾: بين الخصمين بالتوسط ولم نرد مخالفتك.
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الشرك والنفاق.
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: أي لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم، وفي الكافي (٢)، والعتاشي:
عن الكاظم عليه السلام: فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء، وسبق لهم العذاب (٣).
﴿وَعِظْهُمْ﴾: بلسانك.

١ - تفسير القتي: ج ١، ص ١٤٢.

٢ - الكافي: ج ٨، ص ١٨٤، ح ٢١١. وقام الحديث «وقل لهم قولاً بليغاً».

٣ - تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٨٣. وقام الحديث «وقل لهم قولاً بليغاً».

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴿١٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا
قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿١٥﴾

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: في شأن أنفسهم أو خالياً بهم فإن النصيحة في السر

أنجح.

﴿قَوْلَا بَلِيغاً﴾: يؤثر فيهم كتخويفهم بالقتل والاستئصال إن ظهر منهم النفاق.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: نبه به على أن الذي لم يرض

بحكمه كافر وإن أظهر الإسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالنفاق.

﴿جَاءُوكَ﴾: تائبين.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾: مخلصين.

﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾: بأن اعتذروا إليه حتى انتصب لهم شافعياً.

﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾: لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالرحمة.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾: فيما اختلف بينهم

واختلط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾: ضيقاً مما حكمت به.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾: وينقادوا لك انقياداً بظاهريهم وباطنهم، وفي الكافي: عن

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٩٩﴾

الباقر ﷺ: لقد خاطب^(١) الله أمير المؤمنين ﷺ في كتابه في قوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا» وتلا إلى قوله «فِي شَجَرٍ بَيْنَهُمْ» قال: فيما تعادوا عليه لئن أمان الله محمداً ﷺ لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت عليهم من القتل أو العفو، ويسلموا تسلياً^(٢).
والقمي: جاؤوك يا علي، قال: هكذا نزلت^(٣).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: اما بالتعرض للجهاد أو كما فعلت بنو إسرائيل.

﴿أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾: توبيخ بليغ لهم، وقرئ قليلاً.
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾: لإيمانهم في

١ - يعني أن المخاطب في «جاؤوك» وأمثاله أمير المؤمنين ﷺ بقرينة «استغفر لهم الرسول» فإن الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة ثم العود إلى الخطاب نادر جداً، وتفسير «ما شجر بينهم» بما تعادوا عليه إما مبني على أن المراد بالشجر الجريان كما قيل، أو على أنه وقع ابتداءً بينهم تشاجر ثم اتفقوا، أو على أن المراد التشاجر بينهم وبين المؤمنين، أو أنه لما كان الأمر عظيماً من شأنه أن يتشاجر فيه عبر عن وقوعه بالشجر، وقيل: أراد ﷺ أن المراد بظلمهم أنفسهم تعادهم فيما بينهم منازعين لله ولرسوله وللمؤمنين أن يصرفوا الأمر عن بني هاشم، وأنه المراد بقوله «فما شجر بينهم» أي فيما وقع النزاع بينهم مع الله ورسوله والمؤمنين بهذا التعاد فإن الله كان معهم وفيما بينهم كما قال سبحانه: «وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً» والرسول أيضاً كان عالماً بما أسروا من مخالفته فكأنه كان فيهم شاهداً على منازعتهم إياه. مرآة العقول: ج ٤، ص ٢٨٣.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٩١، ح ٧، باب التسليم وفصل المسلمين.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٢.

وَإِذَا لَا تَيْتَنُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا
 مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ
 أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

الكافي: عن الصادق عليه السلام: ولو أن أهل الخلاف فعلوا^(١).

وعن الباقر عليه السلام: ما يعظون به في علي عليه السلام قال: هكذا نزلت^(٢).

﴿وَإِذَا لَا تَيْتَنُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ * وَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا: يصلون بسلوكه جنات القدس ويفتح عليهم^(٣) أبواب الغيب فإن من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾: الذين هم في أعلى عليين.

﴿وَالصَّدِيقِينَ﴾: الذين صدقوا في أقوالهم وأفعالهم.

﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾: المقتول أنفسهم وأبدانهم بالجهاد الأكبر والأصغر.

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾: الذين صلحت حالهم واستقامت طريقتهم.

﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾: فيه معنى التعجب كأنه قيل: «وما أحسن أولئك

رفيقا» والرفيق - كالصديق - يستنوي فيه الواحد والجمع، رغب الله المؤمنين في طاعة الله وطاعة رسوله بهذا الوعد، وما أحسنه من وعد رزقنا الله نيله بمنه وجوده.

١- الكافي: ج ٨، ص ١٨٤، ح ٢١٠.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٢٤، ح ٦٠، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣- وفي نسخة: [لهم].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: أعينونا بالورع. فإنه من لقي الله عز وجل منكم بالورع كان له عند الله فرجاً إن الله عز وجل يقول: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ» وتلا الآية ثم قال: فننا النبي صلى الله عليه وآله، ومنا الصديق والشهداء والصالحون^(١).

وعن الصادق عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن في الله بشروطه التي اشترطها عليه فذلك مع «النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا»، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له. وذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة^(٢) الزرع كيفما كفأته^(٣) الرج انكفي، وذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة ويشفع له وهو على خير^(٤).

وفيه^(٥)، والعياشي: عنه عليه السلام لقد ذكركم الله في كتابه فقال: «أولئك مع الذين أنعم الله» الآية فرسول الله صلى الله عليه وآله في الآية: النبي، ونحن في هذا الموضع: الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون، فتسموا بالصالح كما سماكم الله^(٦).

والعياشي: عن الرضا عليه السلام: حق على الله أن يجعل ولينا: رفيقاً للنبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا^(٧).

وفي العيون: عن النبي صلى الله عليه وآله: لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها: علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه^(٨).

١- الكافي: ج ٢، ص ٧٨، ح ١٢، باب الورع.

٢- الخامة: الطاقة الغضة اللينة من الزرع وفي الحديث: «مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح».

٣- كفأت الاناء وأكفأته: إذا كبسته وإذا أملت. النهاية لابن الأثير: ج ٤، ص ١٨٢. ومجمع البحرين: ج ١، ص ٣٦٠.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٢٤٨، باب في أن المؤمن صنفان، ح ٢.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٣٥، باب في مقامات الشيعة وفنائهم، قطعة من ح ٦، ص ٢٠.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٦، ح ١٩٠. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٦، ح ١٨٩.

٨- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٣، قطعة من ح ٣٠.

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا ﴿٧٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ يَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾
وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾: تفضل عليهم من الله تبعاً لثوابهم.
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا﴾: بمقادير الفضل واستحقاق أهله.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: تيقظوا واستعدوا للأعداء، والحذر والحذر
بمعنى، يقال: أخذ حذره: إذا تيقظ وتحفظ من المخوف، كأنه جعل الحذر آتته التي يحفظ بها
نفسه. وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام: خذوا أسلحتكم، سُمي الأسلحة حذراً لأن بها يتقوى المحذور ^(١).
﴿فَانْفِرُوا﴾: فاخرجوا إلى الجهاد هذا تفسيره، وتأويله إلى الخيرات كلها.
﴿ثُبَاتٍ﴾: جماعات متفرقة، جمع ثبة.
﴿أَوْ يَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾: مجتمعين كوكبة واحدة، ولا تتخاذلوا ^(٢). في الجمع: عن الباقر عليه السلام:
النبات: السرايا، والجميع: العسكر ^(٣).
﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾: يحتمل اللّازم والمتعدي، وهم المنافقون.
﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾: قتل وهزيمة.
﴿قَالَ﴾: أي المبطئ.
﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضرأ فيصيني ما أصابهم.
القَتْمِي ^(٤)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: لو قال هذه الكلمة أهل الشرق والغرب لكانوا

٢- وفي نسخة: [ولا تتخاذلوا].

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٧٣.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٣.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٧٣.

وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧٣﴾
فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
أَجْراً عَظِيماً ﴿٧٤﴾

بها خارجين من الإيمان، ولكن الله قد ساءهم مؤمنين بإقرارهم (١).

وفي رواية: ساءهم مؤمنين وليسوا هم بمؤمنين، ولا كرامة (٢).

﴿وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: كفتح وغنيمه.

﴿لَيَقُولَنَّ﴾: تحسراً.

﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾: اعتراض بين القول والمقول.

﴿يَلَيْتَنِي﴾: يا قوم ليتني.

﴿كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾: تنبه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم، وأن

قوله هذا: قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون.

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: يعني المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة.

﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾:

قيل: إنما وعد له الأجر العظيم، غلب أو غلب ترغيباً في القتال وتكديماً لقولهم: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً، وإنما قال: «فيقتل أو يغلب» تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت

١ - تفسير العياشي: لم نثر عليه، ولكن مايقرب منه راجع ج ١، ص ٢٥٧، ح ١٩١.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٧، ح ١٩١.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ
هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل
لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة، وأن لا يكون قصده بالذات إلى
القتل بل، إلى اعلاء الحق وإعزاز الدين (١).

في الكافي (٢)، وغيره عن الصادق عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: فوق كلِّ برٍّ حتى يقتل في
سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر (٣).

وعنه عليه السلام من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته (٤).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: للشهيد سبع خصال من الله: أوّل قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب،
والثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه، تقولان:
مرحباً بك، ويقول هو: مثل ذلك لهما، والثالثة: يكسى من كسوة الجنة، والرابعة: يبتدر خزنة
الجنة بكلّ ريح طيبة أيهم يأخذه منه، والخامسة: أن يرى منزله، والسادسة: يقال لروحه:
أسرح في الجنة حيث شئت، والسابعة: أن ينظر في وجه الله، وأنها الراحلة لكلّ نبيّ وشهيد (٥).
﴿وَمَا لَكُمْ﴾: وأي عذر لكم.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٣٠، س ٤.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٤٨، ح ٤، باب العقوق.

٣- الخصال: ص ٩، ح ٣١، باب الواحد، بر ليس فوقه بر، وعقوق ليس فوقه عقوق.

٤- الكافي: ج ٥، ص ٥٤، ح ٦، باب فضل الشهادة.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٢١-١٢٢، ح ٣/٢٠٨، باب ٥٤- فضل الجهاد وفروضه. وفيه: أن يرى منزلته.

الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

﴿لَا تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في طاعته، وإعزاز دينه، وإعلاء كلمته.

﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ﴾: وفي سبيل المستضعفين بتخليصهم عن الأسر، وصونهم

عن العدو، أو في خلاصهم أو نصب على الاختصاص، فإن سبيل الله يعم كل خير، وهذا أعظمها.

﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾:

قيل: هم الذين أسلموا بمكة، وصدّهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم
الأذى، فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسرّ لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي
بعضهم إلى الفتح حتّى جعل الله لهم خير ولي وخير ناصر وهو محمد ﷺ، فولاهم أحسن
التولي، ونصرهم أعز النصر، وكانوا قد أشركوا صبيانهم في دعائهم استغزالاً برحمة الله
بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا^(١).

العبّاشي: عنها عليه السلام في هذه الآية قالوا: نحن أولئك^(٢).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فيما يصلون به إلى الله.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: فيما يبلغ بهم إلى الشيطان.

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٥٣٤.

٢- تفسير العبّاشي: ج ١، ص ٢٥٧، ح ١٩٣، ١٩٤.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ
كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَعَ
الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا

﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾: ترغيب للمؤمنين
إلى القتال، وتشجيع لهم، وتنبيه لهم على أنهم أولياء الله وأنه ناصرهم.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾: عن القتال.
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾: واشتغلوا بما أمرتم به وذلك حين كانوا بمكة،
وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: كفوا أيديكم يعني كفوا ألسنتكم^(١)، وقال: أما ترضون أن
تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا وتدخلوا الجنة^(٢)؟

وعن الباقر عليه السلام: أنتم والله أهل هذه الآية^(٣).

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾:
يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه.
﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ

١- الكافي: ج ٢، ص ١١٤، ح ٨، باب الصمت وحفظ اللسان.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٨٩، ح ٤٣٤.

٢- الكافي: ج ٨، ص ١٤٦، ح ١٢٢.

أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنْ هَؤُلَاءِ أَلْقَوْا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا

٧٨

قَرِيبٌ ﴿١﴾: في الكافي (٢) والعياشي: عنه عليه السلام «كفّوا أيديكم»: مع الحسن عليه السلام، «كتب عليهم القتال»: مع الحسين عليه السلام، «إلى أجل قريب»: إلى خروج القائم عليه السلام فإنّ معه الظفر (٣).
﴿قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾: سريع التقضي.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: ولا ينقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه، وقرئ بالغيبة.

﴿أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾: في قصور

١ - قوله: «أو أشد خشية» عطف على «كخشية الله» ان جعلته حالاً وعلى اسم الله إن جعلته مصدراً، أي كخشية الله أو كخشية أشد خشية معه. منه يترتب.

٢ - لم نعر عليه في الكافي بل وجدناه في شرحه: راجع مرآة العقول: ج ٨، ص ٢١٧. وفيه: هذا الخبر إمّا تفسير لظاهر الآية كما ذكرنا أولاً أو لبطنها بتزليل الآية على الشيعة في زمن التقيّة وهذا أنشأ بكفّ الألسن تقيّة فإنّ أحوال الرسول ﷺ في أول الأمر حين كونه بمكة وترك القتال لعدم الأعوان وأمره في المدينة بالجهاد لوجود الأنصار، وكذا حال الحسن عليه السلام في الصلح والهدنة وحال الحسين عليه السلام عند وجود الأنصار ظاهراً حال سائر الأئمّة عليهم السلام في ترك القتال والتقيّة مع حال القائم عليه السلام فالآية وإن نزلت في حال الرسول ﷺ فهي شاملة لتلك الأحوال أيضاً لمشابهتها لها واشتراك العلل بينها وبينها.

أقول: ما يقرب من حديث الكافي الذي ذكر الفيض عليه السلام الكافي: ج ٨، ص ٣٣٠، ح ٥٠٦.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٧ - ٢٥٨، ح ١٩٥. وفيه: «فان معه النصر والظفر»:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^{٧٩}

محصصة أو مرتفعة.

﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾: أي نعمة كخصب.

﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي بلية كقحط.

﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾: يطيروا بك.

﴿قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: يبسط ويقبض حسب إرادته.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾: فيعلموا أن الله هو الباسط

القباض، وأفعاله كلها صادرة عن حكمة وصواب.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾: يا إنسان.

﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: من نعمة.

﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾: تفضلاً منه وامتناناً وامتحاناً، فإن كل ما يأتي به العبد من عبادة فلا

يكافي صغرى نعمة من أياديه.

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾: من بلية.

﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾: لأنها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله: «قُلْ كُلُّ

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» فإن الكل منه إيجاداً وإيصلاً غير أن الحسنة: احسان وإمتحان، والسَيِّئَةُ: مجازاة

وانتقام، قال الله تعالى: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ»^(١).

القَمِيُّ: عنهم؛ إن الحسنات في كتاب الله على وجهين: أحدهما: الصحة والسلامة

والسعة في الرزق، والآخر: الأفعال كما قال تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَاهِلَ»^(٢).

وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِظًا

وكذلك السيئات فمنها: الخوف والمرض والشدة، ومنها: الأفعال التي يعاقبون عليها^(١).
وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام: كما أن بادي النعم من الله عز وجل نحلكموه^(٢)،
فكذلك الشر من أنفسكم، وإن جرى به قدره^(٣).

وفي الكافي: عن الرضا عليه السلام: قال الله: يا ابن آدم بمشيقتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك
ما تشاء، وبقوتي أديت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سمياً بصيراً قوياً، «ما
أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك» وذلك أني أولى بحسناتك منك،
وأنت أولى بسيئاتك مني، وذلك أني لا أسئل عما أفعل وهم يسألون^(٤).
والعياشي: ما يقرب منه^(٥).

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: على ذلك فما ينبغي لأحد أن
يخرج من طاعتك.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾: لأنه في الحقيقة مبلغ، والآمر والناهي هو
الله وروي أنه عليه السلام قال: من أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله، فقال

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٤.

٢- نخله: أي أعطاه ووهبه من طيب نفس بلا توقع عوض. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٧٨.

٣- التوحيد: ص ٣٦٨، ح ٦، باب ٦٠- القضاء والقدر والفتنة والأرزاق والاسعار والآجال. وفيه: «من الله عز وجل وقد نحلكموه».

٤- الكافي: ج ١، ص ١٥٩- ١٦٠، ح ١٢، باب- الجبر والقدر والأمر بين الأمرين.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٥٨، ح ٢٠٠.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ
الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

المنافقون: لقد قارف^(١) الشرك وهو يهني عنه، ما يريد إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصراني عيسى فنزلت^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: ذروة^(٤) الأمر وسنامه، ومفتاحه، وباب الأشياء، ورضاء الرحمن: الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: «من يطع الرسول فقد أطاع الله»^(٥).

أقول: الإمام في هذا الحديث يشمل الرسول، وحكم سائر الأئمة حكمه لأنهم خلفاؤه جميعاً، وذلك لأن الإمام عليه السلام مبلغ كما أن الرسول مبلغ.

﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض عن طاعته.

﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها إنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: إذا أمرتهم بأمر.

﴿طَاعَةٌ﴾: أمرنا، وشأننا طاعة.

١- الإقتراف: الاكتساب، وقارف الذنب وغيره: إذا دناه ولاصقه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٨، مادة «قرف».

٢- الكشف: ج ١، ص ٥٣٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٣٢، س ١٠.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ج ١، باب فرض طاعة الأئمة.

٤- الذروة بالكسر والضم، من كل شيء: أعلاه، وسنام كل شيء: أعلاه، مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٨.

٥- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٥٩، ح ٢٠٢.

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾
 وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ
 إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ
 مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا
 قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾: خرجوا.

﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: دبّروا ليلاً.

﴿غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ﴾: خلاف ما قلت وأمرت به، أو خلاف ما قالت لك من القبول

وضمان الطاعة.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾: يثبتّه في صحائفهم للمجازات.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: يكفيك الله شرّهم.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾: يتأملون معانيه ويتبصرون ما فيه .

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ﴾: من كلام البشر كما زعموه .

﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾: من تناقض المعنى، وتفاوت النظم وخروج بعضه

عن الفصاحة وعن مطابقة الواقع إلى غير ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾: ممّا يوجب الأمن أو الخوف .

﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾: أفشوه، قيل: كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا

رسول الله ﷺ أو أخبرهم الرسول بما أوحى إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة

أذاعوه، وكانت إذاعتهم مفسدة^(١).

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾: ردوا ذلك الأمر.

﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾:

قيل: أي يستخرجون تدبيره بتجارهم وأنظارهم^(٢).

في الجوامع: عن الباقر عليه السلام هم الأئمة المعصومون عليه السلام^(٣).

والعياشي: عن الرضا عليه السلام يعني آل محمد صلوات الله عليهم، وهم الذين يستنبطون

من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام، وهم حجة الله على خلقه^(٤).

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام من وضع ولاية الله وأهل استنباط علم الله في غير أهل

الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر الله عز وجل وجعل الجهال ولاية أمر الله والمتكلفين

بغير هدى، وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله فكذبوا على الله وزاغوا عن وصية الله

وطاعته فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى، فضلوا وأضلوا أتباعهم فلا

تكون لهم يوم القيامة حجة^(٥).

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بإرسال الرسل وإنزال الكتب، في الجوامع:

عنهم عليه السلام فضل الله ورحمته: النبي وعلي صلوات الله عليهما^(٦).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام فضل الله: رسوله، ورحمته: الأئمة عليه السلام^(٧).

وعن الكاظم عليه السلام: الرحمة: رسول الله ﷺ، والفضل: علي بن أبي طالب عليه السلام^(٨).

﴿لَا تَبْعُمُ الشَّيْطَانَ﴾: بالكفر والضلال.

١- راجع الكشف: ج ١، ص ٥٤٠ - ٥٤١، وجوامع الجامع: ج ١، ص ٢٧٤.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٣٣، س ٦.

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٧٤. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٠، ح ٢٠٦.

٥- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٨، ح ٢، س ١٢، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وإن الأرض لا

تخلو من حجة. ٦- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٧٤.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٠، ح ٢٠٧. ٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦١، ح ٢٠٩.

فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: وهم أهل البصائر النافذة.

﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: إن تركوك وحدك.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾: فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد فإن الله ينصرك لا الجنود.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن الله كلّف رسول الله ﷺ ما لم يكلف أحداً من خلقه، كلفه أن يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاوم معه ولم يكلف هذا أحداً من خلقه قبله ولا بعده ثم تلا هذه الآية (١). والعيّاشي: ما في معناه (٢).

روي: أن أبا سفيان يوم أحد لما رجع واعد رسول الله ﷺ موسم بدر الصغرى فكره الناس وتثاقلوا حين بلغ الميعاد فنزلت فخرج النبي وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده (٣).

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهم قريش وقد كفّ بأسهم بأن

بدا لأبي سفيان، وقال: هذا عام مجذب وانصرف النبي ﷺ بمن معه سالمين.

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾: من قريش.

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذيباً تهديد وتقريع (٤) لمن لم يتبعه.

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٤، ح ٤١٤. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٦١، ح ٢١١.

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٥.

٤- القرع: الضرب بشدة الاعتاد. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٧٧.

مَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ
شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقِيتًا

٨٥

﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً﴾: راعى بها حقَّ مسلم إمّا بدفع شرِّ عنه أو جلب خير
إليه ابتغاء لوجه الله . ومنها الدعاء للمسلم ^(١).

﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾: ثواباً لها.

﴿وَمَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً سَيِّئَةً﴾: وهي ما كان خلاف ذلك، ومنها الدعاء على المؤمن.

﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾: نصيب من وزرها مساو لها في القدر، فإنَّ الكفل: النصيب

والمثل.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾: مقتدراً وحفيظاً، يعطي على قدر الحاجة، فإنَّ

المقيت جاء بالمعنيين.

في الحاصل: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم الصلاة والسلام عن النبي ﷺ من أمر
بمعروف أو نهى عن منكر أو دلَّ على خير أو أشار به فهو شريك، ومن أمر بسوء أو دلَّ عليه
أو أشار به فهو شريك ^(٢).

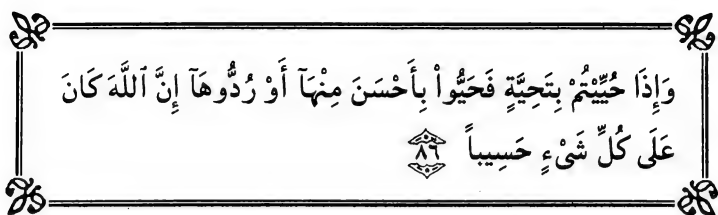
وفي الجوامع: عنه عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال له الملك:
ولك مثله في ذلك النصيب ^(٣).

وفي الكافي: عن السجاد عليه السلام أَنَّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب

١- وفي نسخة: [للمؤمن].

٢- الحاصل: ص: ١٣٨، ح ١٥٦، باب ثلاثة يشتركون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٧٥.



ويذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعوه بالخير وهو غائب عنك، وتذكره بخير قد أعطاك الله تعالى مثلي ما سألت له وأثنى عليك مثلي ما أثنت عليه ولك الفضل عليه، وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعوه عليه قالوا: بنس الأخ أنت لأخيك كف أيها المستر على ذنوبه وعورته، وأربع على نفسك وأحمد الله الذي ستر عليك، واعلم أن الله أعلم بعبده منك^(١).

أقول: أربع على نفسك: أي قف وامسك ولا تتعب نفسك من - ريع - كمنع.

﴿وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام:

ان المراد بالتحية في هذه الآية: السلام، وغيره من البر والإحسان^(٢).

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا عطس أحدكم قولوا: يرحمكم الله، ويقول هو: يغفر الله لكم ويرحمكم، قال الله تعالى: «وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِتَحِيَّةٍ» الآية^(٣).

وفي المناقب: جاءت جارية للحسن عليه السلام بطاق ريحان فقال عليه السلام: أنت حرة لوجه الله، فقيل له: في ذلك؟ فقال: أدبنا الله تعالى فقال: «وَإِذَا حُيِّنْتُمْ بِتَحِيَّةٍ» الآية، وكان أحسن منها إعتاقها^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه الصلاة والسلام قال: قال رسول الله ﷺ: السلام: تطوع، والرد: فريضة^(٥).

١ - الكافي: ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٧، باب الدعاء بظهر الغيب .

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٥ . ٣ - الخصال: ص ٦٣٣، ح ١٠، باب حديث أربعمائة .

٤ - مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٨، باب إمامة أبي محمد الحسن عليه السلام فصل في مكارم أخلاقه .

٥ - الكافي: ج ٢، ص ٦٤٤، ح ١، باب التسليم .

وعنه عليه السلام: إذا سلّم من القوم واحد أجراً عنهم، وإذا رد واحد أجراً عنهم^(١).
وعنه عليه السلام: القليل يبدأون الكثير بالسلام، والراكب يبدأ الماشي، وأصحاب البغال يبدأون أصحاب الحمير، وأصحاب الخيل يبدأون أصحاب البغال^(٢).
وفي رواية: يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد^(٣).
وفي أخرى: إذا لقيت جماعةً جماعةً سلّم الأقل على الأكثر، وإذا لقي واحد جماعةً سلّم الواحد على الجماعة^(٤).

وعنه عليه السلام: ومن التواضع أن تسلم على من لقيت^(٥).
وقال: البخيل من بخل بالسلام^(٦).
وعنه عليه السلام: عن النبي صلى الله عليه وآله: أولى الناس بالله وبرسوله: من بدأ بالسلام^(٧).
وعن الباقر عليه السلام: إن الله يحب إفشاء السلام^(٨).
أقول: إفشاء السلام: أن يسلم على من لقي كائناً من كان.
وعن الصادق عليه السلام: ثلاثة يرد عليهم رد الجماعة وإن كان واحداً: عند العطاس يقال: يرحمكم الله، وإن لم يكن معه غيره، والرجل يسلم على الرجل فيقول: السلام عليكم، والرجل يدعو للرجل فيقول عافاكم الله، وإن كان واحداً فإن معه غيره^(٩).
أقول: أراد بالردّ: ما يشمل الإبتداء، وبالعير في آخر الحديث: الملائكة، والرد بالأحسن في السلام: أن يضيف ورحمة الله، فإن قالها المسلم أضاف وبركاته وهي النهاية،

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٧، ح ٣، باب إذا سلّم واحد من الجماعة أجراً عنهم، وإذا ردّ واحد من الجماعة أجراً عنهم.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٦، ح ٢، باب من يجب أن يبدأ بالسلام.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٦، ح ١، باب من يجب أن يبدأ بالسلام.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٧، ح ٣، باب من يجب أن يبدأ بالسلام.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٦، ح ١٢، باب التسليم. ٦- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٥، ح ٦، باب التسليم.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٤، ح ٣، باب التسليم. ٨- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٥، ح ٥، باب التسليم.

٩- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٥، ح ١٠، باب التسليم.

فيرد بالمثل.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه على قوم^(١) فسلم عليهم، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السلام، إنّما قالوا: ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت^(٢).

وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك، فقال الرجل: نقصتني، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية فقال: إنّك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام من قال: السلام عليكم فهي عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله فهي عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهي ثلاثون حسنة^(٤).

وعنه عليه السلام: من تمام التحية للمقيم: المصافحة، وتمام التسليم على المسافر: المعانقة^(٥).

وعنه عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تبدأوا أهل الكتاب بالتسليم. وإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: ثلاثة لا يسلمون: الماشي مع الجنازة، والماشي إلى الجمعة، وفي بيت الحمام^(٧).

وفي الخصال: عنه عن أبيه عليه السلام: لا تسلموا على اليهود، ولا على النصارى، ولا على

١- وفي نسخة [يقوم] كما في المصدر. ٢- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٦، ح ١٣، باب التسليم.

٣- الكشف: ج ١، ص ٥٤٤. ٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٥، ح ٩، باب التسليم.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٦، ح ١٤، باب التسليم.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٩، ح ٢، باب التسليم على أهل الملل.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٦٤٥ - ٦٤٦، ح ١١، باب التسليم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِتْنَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ
اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

المجوس، ولا على عبدة الأوثان، ولا على موائد شرب الخمر، ولا على صاحب الشطرنج والنرد، ولا على الخنث^(١)، ولا على الشاعر الذي يقذف المحصنات، ولا على المصلي، وذلك أن المصلي لا يستطيع أن يرد السلام لأن التسليم من المسلم تطوع والرد عليه فريضة، ولا على آكل الربا، ولا على رجل جالس على غائط، ولا على الذي في الحمام، ولا على الفاسق المعلن بفسقه^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾: بحاسبكم على التحية وغيرها.
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: إنكار.

﴿فَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ﴾: فالكم تفرقتم فيهم فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم.
في المجمع: عن الباقر عليه السلام نزلت في قوم قدموا من مكة وأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك، ثم سافروا إلى اليمامة فاختلف المسلمون في غزوهم لاختلافهم في إسلامهم وشركهم^(٣).

١ - خنث خنثاً - من باب تعب - إذا كان فيه لين وتكسر، يعدي بالتضعيف فيقال: خنثه غيره، ومنه الخنث بفتح النون والتشديد، وهو من يوطأ في دبره لما فيه من الانحناء، وهو التكسر والتشي، ويقال: هو من الخنثى. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

٢ - الحصال: ص ٤٨٤، ح ٥٧، باب لا يسلم على اثني عشر.

٣ - مجمع البيان: ج ٣، ٤، ص ٨٦.

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ
وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾: ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا.
﴿بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: أن تجعلوه من المهتدين.
﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: إلى الهدى.
﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾: تمنّوا أن تكفروا ككفرهم.
﴿فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾: في الضلال.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث: وإن لشياطين الانس حيلة ومكرًا وخدائع
ووسوسة بعضهم إلى بعض، يريدون إن استطاعوا أن يردوا أهل الحق عمّا أكرمهم الله به من
النصرة^(١) في دين الله الذي لم يجعل الله شياطين الانس من أهله إرادة أن يستوي أعداء الله
وأهل الحق في الشكّ والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى في كتابه «ودّوا
لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء»^(٢).

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فلا تتولّوهم وإن
آمنوا حتّى يهاجروا هجرة صحيحة هي لله لا لغرض من أغراض الدنيا.
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة.

١- وفي نسخة [من النظر في دين الله] كما في المصدر.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٤٠٥ - ٤٠٦، رسالة أبي عبدالله عليه السلام إلى جماعة الشيعة س ٢٢. وفيه: «إنّ لشياطين
الإنس حيل ومكرًا».

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
 حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِذَا اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوا
 وَالْقُوا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: كسائر الكفرة.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: أي جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: استثناء من قوله:

«فخذوهم واقتلوه» أي الا الذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم عهداً، ويفارقون محاربتكم.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام: هو هلال بن عويرة الأسلمي واثق عن قومه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في مواعده (١) على أن لا نحيف (٢) يا محمد من أتانا، ولا تحيف من أتاك، فنهى الله سبحانه أن يعرض لأحد عهد إليهم (٣).

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾: ضاقت. العياشي: عن الصادق عليه السلام: هو

الضيق (٤).

﴿أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: نزلت في بني مدلج

جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنا قد حصرت صدورنا أن نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله فلسنا

١ - المواعدة: المصالحة. منه صلى الله عليه وآله.

٢ - الحيف: الجور والظلم، وقد حاف عليه بحيف، أي جار، الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٧، مادة «حيف».

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٨٨، وفيه: أن لا تحيف يا محمد من أتانا ولا تحيف من أتاك.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٢، ح ٢١٦.

معك ولا مع قومنا عليك فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثم يدعوهم فإن أجابوا وإلا قاتلهم^(١).
 القُتَيْمِي: في قوله عزّ وجلّ «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا...إلى آخر الآية» نزلت في
 أشجع^(٢)، وبني ضمرة^(٣)، وكان خبرهم أنّه لما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لموعد مر قريباً
 من بلادهم، وقد كان رسول الله ﷺ صادر^(٤) بني ضمرة ووادعهم^(٥) قبل ذلك فقال
 أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منا، ونخاف أن يخالفونا إلى
 المدينة أو يعينوا علينا قريشاً فلو بدأنا بهم، فقال رسول الله ﷺ: كلاً إني أبر العرب
 بالوالدين، وأوصلهم للرحم، وأوفاهم بالعهد، وكانت أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة
 وهم بطن من كنانة، وكانت أشجع بينهم وبين بني ضمرة حلف بالمراعاة والأمان، فأجذبت
 بلاد أشجع وأخصبت بلاد بني ضمرة فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة فلما بلغ رسول
 الله ﷺ مسيرهم إلى بني ضمرة تهيأ للمصير إلى أشجع فيغزوهم للمواعدة التي كانت بينه
 وبين بني ضمرة فأنزل الله «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا» الآية.

ثم استثنى بأشجع فقال: «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُوكُمْ
 حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَنْتَهِلُوا قَوْمَهُمْ» الآية. وكانت أشجع محالها البيضاء
 والجليل والمستباح، وقد كانوا اقربوا من رسول الله ﷺ فهابوا لقربهم من رسول الله أن يبعث
 إليهم من يغزوهم وكان رسول الله ﷺ قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً فهم بالمسير
 إليهم. فبينما هو على ذلك إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رحيلة، وهم سبعمائة فنزلوا
 شعب سلع^(٦) وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست فدعا رسول الله ﷺ أسيد بن حصين فقال له:

١ - الكافي: ج ٨، ص ٣٢٧، ح ٥٠٤، قصّة بني مدج.

٢ - أشجع بن ريث بن غطفان أبو قبيلة. القاموس المحيط: ج ٣ ص ٤٣.

٣ - بنو ضمرة: رهط عمرو بن أمية الضمري. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٧٦.

٤ - صدره على كذا: أي طال به. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٦٨.

٥ - وادعهم: صالحهم، وتوادعاً: تصالحو. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٩٢.

٦ - سلع جبل بالمدينة، قال: تَأْبُطُ شَرًّا: (ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل) الصحاح: ج ٣،

إذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع، فخرج أسيد ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم فقال: ما أقدمكم فقام إليه مسعود بن رحيلة وهو رئيس أشجع فسلم على أسيد وعلى أصحابه، وقالوا: جئنا لنوادع محمداً ﷺ فرجع أسيد إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم ثم بعث إليهم بعشرة أجمال تمر فقدمها أمامه، ثم قال: نعم الشيء الهدية أمام الحاجة، ثم أتاهم فقال: يا معشر أشجع ما أقدمكم؟ قالوا: قربت دارنا منك وليس في قومنا أقل عدداً منا فضقنا لحربك لقرب دارنا وضقنا لحرب قومنا لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي ﷺ ذلك منهم ووادعهم فأقاموا يومهم، ثم رجعوا إلى بلادهم، وفيهم نزلت هذه الآية «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُوا» الآية (١).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾: بأن قوى قلوبهم، وبسط صدورهم، وأزال

الرعب عنهم.

﴿فَلَقَسْتَلُوكُمْ﴾: ولم يكفوا عنكم.

﴿فَإِذَا أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَفْتَتِلُوكُمْ﴾: فإن لم يتعرضوا لكم.

﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ﴾: الاستسلام، والانقياد.

﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم.

القمي: عن الصادق عليه السلام: كانت السيرة من رسول الله ﷺ قبل نزول سورة البراءة ألا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وقد كان نزل في ذلك من الله سبحانه فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً وكان رسول الله ﷺ: لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة وأمر بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين قد كان عاهدكم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة إلى مدة، منهم: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو (٢) والحديث طويل وهو مذكور بتمامه في سورة براءة.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٧.

ص ١٢٣٠. مادة «سَلَع».

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلُّ
 مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ تَغْتَرِلُوْكُمْ وَيُلْقُوا
 إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
 تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٩١﴾

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾: قيل: كانوا يظهرون الإسلام ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا^(١).

في المجمع: عن الصادق عليه السلام: نزلت في عيينة بن حصين الفزاري، أجذبت بلادهم فجاء إلى رسول الله ﷺ ووادعه على أن يقيم ببطن نخل^(٢) ولا يتعرض له، وكان منافقاً ملعوناً، وهو الذي ساء رسول الله ﷺ الأحمق المطاع^(٣)، والقمي مثله^(٤).

﴿كُلُّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين.
 ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب.
 ﴿فَإِنْ لَمْ تَغْتَرِلُوْكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾: فإن لم يعتزل هؤلاء قتالكم ولم يستسلموا لكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾: فأسروهم.
 ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾: حيث تمكنتم منهم.
 ﴿وَأُولَئِكَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾: تسلطاً ظاهراً وحجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم وكفرهم وغدرهم.

٢- بطن نخل: موضع بين مكة والطائف.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٧.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٨٩.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٨٩.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا
 خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا
 فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ
 وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ
 أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
 مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ﴾: وما صحّ لمؤمن ولا استقام له وما لاق بحاله.

﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: بغير حق.

﴿إِلَّا خَطَاً﴾: لأنّه في عرضة الخطأ. والقطي: يعني ولا خطأ^(١).

في المجمع: عن الباقر عليه الصلاة والسلام نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أخى
 أبي جهل لأمّه كان أسلم، وقتل بعد إسلامه رجلاً مسلماً وهو لم يعلم بإسلامه، وكان المقتول
 الحارث بن يزيد أبو نبيشة^(٢) العامري قتله بالحرّة^(٣) بعد الهجرة، وكان أحد من ردّه عن
 الهجرة وكان يعذب عياشاً مع أبي جهل^(٤).

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: فعله تحرير رقبة.

١- تفسير القتي: ج ١، ص ١٤٧.

٢- وفي نسخة: [أبو نبيشة].

٣- الحرّة - بالفتح والتشديد - أرض ذات أحجار سود ومنه حرّة المدينة، والمجمع جرار مثل كلبة وكلاب ويوم
 الحرّة معروف، وهو يوم قاتل عسكر يزيد بن معاوية أهل المدينة ونههم، وكان المتأمر عليهم مسلم بن عقبة،
 وقتل فيه خلق كثير من المهاجرين والأنصار وكان ذلك في سنة ثلاث وستين من الهجرة، وعقبها هلك يزيد.

مجمع البحرين ج ٣، ص ٢٦٤، مادة «حرر». ٤- مجمع البيان ج ٣ - ٤، ص ٩٠.

﴿مُؤْمِنَةٍ﴾: فيما بينه وبين الله كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي (١).
 وفي الكافي (٢) والعياشي: عنه عليه السلام: كلّ العتق يجوز فيه المولود إلا في كفارة القتل فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ» يعني بذلك مقرة قد بلغت الحنث (٣) (٤).
 والعياشي: عن الكاظم عليه السلام سئل كيف تعرف المؤمنة؟ قال: على الفطرة (٥).
 ﴿وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾: مؤدّة إلى أولياء المقتول.
 ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾: يتصدّقوا عليه بالدية، سميّ العفو عن الدية صدقة حثّاً عليه وتنبيهاً على فضله. وفي الحديث كلّ معروف صدقة (٦).
 العياشي: سئل الصادق عليه السلام - عن الخطأ الذي فيه الدية والكفارة - هو الرجل يضرب الرجل ولا يتعمد قتله؟ قال: نعم، قيل: فإذا رمى شيئاً فأصاب رجلاً؟ قال: ذلك الخطأ الذي لا شكّ فيه، وعليه الكفارة والدية (٧).
 ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾: في الفقيه: عن الصادق عليه السلام في رجل مسلم في أرض الشرك فقتله المسلمون، ثمّ علم به الإمام بعد، فقال: يعتق مكانه رقبة مؤمنة، وذلك قول الله عزّ وجلّ: «فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ» الآية (٨).
 وزاد العياشي: وليس عليه دية (٩).

-
- ١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٢، ح ٢١٧.
 - ٢ - الكافي: ج ٧، ص ٤٦٢، ح ١٥، باب النوادر.
 - ٣ - الحنث بسكر الحاء المهملّة والنون، ثمّ المثلثة: يقال: غلام لم يدرك الحنث: أي لم يجز عليه القلم. منه قوله.
 - وقال الطريحي: والحنث في البين: نقضها والنكث فيها، يقال: حنث في يمينه يحنث حنثاً: إذا لم يف بموجها، فهو حانث قال في النهاية: وكأنّه من الحنث الاثم والمعصية، وغلام لم يدرك الحنث: أي لم يجز عليه القلم. بجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٠، مادة «حنث».
 - ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٣، ح ٢١٩.
 - ٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٣، ح ٢٢٠.
 - ٦ - عوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٧٦، ح ١٠١، وص ٤٥٣، ح ١٨٦.
 - ٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٦، ح ٢٢٩.
 - ٨ - من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١١٠، ح ٣٧٣ / ١، باب ٣٦ - ما يجب في الرجل المسلم يكون في أرض الشرك فيقتله المسلمون ثمّ يعلم به الإمام.
 - ٩ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٦، ح ٢٣٠، إلّا أنه ليس فيه الزيادة كما زعمه.

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾: كفرة.

﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾: عهد.

﴿فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾: يلزم قاتله كفارة لقتله كذا في

المجمع: عن الصادق عليه السلام (١).

﴿فَنَ لَمْ يَجِدْ﴾: رقة بأن لا يملكها، ولا ما يتوصل به إليها.

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ﴾: بحاله.

﴿عَلِيًّا حَكِيمًا﴾: فيما أمر في شأنه. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن كان على رجل صيام

شهرين متتابعين فافطر أو مرض في الشهر الأول فإن عليه أن يعيد الصيام، وإن صام الشهر الأول وصام من الشهر الثاني شيئاً ثم عرض له ماله فيه عذر فله أن يقضي (٢).

أقول: يعني يقضي ما بقي عليه.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾: في الكافي (٣) والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن

المؤمن يقتل المؤمن متعمداً أله توبة؟ فقال: إن كان قتله لإيمانه فلا توبة له، وإن كان قتله

لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدنيا فإن توبته أن يقاد منه، وإن لم يكن علم به انطلق إلى

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٩١.

٢- الكافي: ج ٤، ص ١٣٩، ح ٧، باب من وجب عليه صوم شهرين متتابعين فعرض له أمر يمنعه عن اتمامه.

وفيه: «فإن عليه أن يقضي». وفي نسخة [فعليه أن يقضي].

٣- الكافي: ج ٧، ص ٢٧٦، ح ٢، باب أن من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَسْبِيحُوا وَلَا
تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ
أَلَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَسْبِيحُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

أولياء المقتول فأقر عندهم بقتل صاحبهم فإن عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية واعتق
نسمة وصام شهرين متتابعين واطعم ستين مسكيناً توبة إلى الله عز وجل^(١).
وعنه عليه السلام: لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً^(٢).
وقال: لا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة^(٣).

وفيه^(٤) وفي المعاني^(٥) والعياشي: عنه عليه السلام: من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد
الذي قال الله عز وجل في كتابه: «وأعد له عذاباً عظيماً»، قيل: والرجل يقع بين الرجل وبينه
شيء فيضربه بالسيف فيقتله؟ قال: ليس ذلك المتعمد الذي قال الله عز وجل: «فجزأوه جهنم»^(٦).
وفي المعاني في قوله تعالى: «فجزأوه جهنم خالداً فيها» قال: إن جازاه^(٧).
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: سافرت للغزو.
﴿فَتَسْبِيحُوا﴾: فاطلبوا بيان الأمر وميزوا بين الكافر والمؤمن، وقرئ فتشبتوا في

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٧-٢٦٨، ح ٢٣٩.

٢ و ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٧، ح ٢٣٨.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٢٧٥، ح ١، باب أن من قتل مؤمناً على دينه فليست له توبة.

٥- معاني الأخبار: ص ٣٨٠، ح ٤، باب نوادر المعاني.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٧، ح ٢٣٧.

٧- معاني الأخبار: ص ٣٨٠، ح ٥، باب نوادر المعاني.

الموضعين أي توقفوا وتأثوا حتى تعلموا من يستحق القتل، والمعنيان. متقاربان يعني لا تعجلوا في القتل لمن أظهر إسلامه ظناً منكم بأنه لا حقيقة لذلك .

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ﴾: لمن حيّاكم بتحية السلام، وقرئ السلم بغير ألف، وهما بمعنى الاستسلام والانقياد، وفسر السلام بتحية الإسلام أيضاً.
والعياشي نسب قراءة السلام إلى الصادق عليه السلام^(١).

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾: وإنما فعلت ذلك خوفاً من القتل .
﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾: تطلبون ماله الذي هو حطام سريع الزوال، وهو الذي يبعثكم على العجلة وترك التثبت .

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾: تنفيكم من قتل أمثاله لماله .
﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾: أول ما دخلتم في الإسلام وتفوّهتم بكلمتي الشهادة فتحصّنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن تعلم موالة قلوبكم ألسنتكم .
﴿فَمِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين .

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾: وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم، ولا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفاً، وتكريرها تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: عالمأبه وبالفرض منه فلا تنها فتوافي القتل واحتاطوا فيه. القمي: نزلت لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له: مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلما أحسّ بخيل رسول الله ﷺ جمع ماله وأهله وصار في ناحية الجبل فأقبل يقول أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ فرّ به أسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع إلى رسول الله ﷺ أخبره بذلك، فقال له رسول

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

الله ﷻ: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فقال: يا رسول الله إنما قالها
تعوذاً من القتل، فقال رسول الله ﷺ أفلا شققت الغطاء عن قلبه؟ لا ما قال بلسانه
قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت، فحلف أسامة بعد ذلك أن لا يقاتل ^(١) أحداً قال: أشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ. فتخلف عن أمير المؤمنين ﷺ في حروبه، وأنزل الله
في ذلك «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ» الآية ^(٢).

أقول: في هذا الخبر دلالة ^(٣) على نفاق أسامة، وابتغائه عرض الحياة الدنيا، وكفى في
ذلك قول النبي ﷺ: ولا ما كان في نفسه علمت عذراً لأمر المؤمنين ﷺ في حروبه فإنه كان
قد علم ذلك من الله، ومن رسوله على أن طاعة الإمام ﷺ واجبة فلا عذر لأسامة في تخلفه عنه.
وفي رواية العامة أن مرداساً أضاف إلى الكلمتين السلم عليكم ^(٤) وهي تؤيد قراءة
السلم وتفسيره بتحية الإسلام.

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾: عن الحرب.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾: الأصحاء، وقرئ منصوباً أي حال خلهم

من الضرر المانع من الخروج.

١- وفي نسخة: [أن لا يقتل أحداً] كما في المصدر.

٢- تفسير القتي: ج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩.

٣- وفي نسخة: [ما يدل].

٤- الكشف: ج ١، ص ٥٥٢.

دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ٩٦

في الجمع: نزلت في كعب بن مالك من بني سلمة، ومرة بن ربيع من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية من بني واقف، تخلّفوا عن رسول الله ﷺ يوم تبوك، وعذر الله أولي الضرر، وهو عبد الله بن أم مكتوم، قال: رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره (١).

وفي العوالي: روى زيد بن ثابت أنّه لم يكن في آية نفي المساواة بين المجاهدين والقاعدين استثناء غير أولي الضرر. فجاء ابن أم مكتوم وكان أعمى وهو يبكي، فقال: يا رسول الله كيف بمن لا يستطيع الجهاد فغشيه الوحي ثانياً ثم سرى (٢) عنه ﷺ. فقال: «اقرأ غير أولي الضرر» فألحقها والذي نفسي بيده لكأنّي أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف (٣).
﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾: ترغيب للقاعد في الجهاد.
﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا﴾:
من القاعدين والمجاهدين.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾: المثوبة الحسنى، وهي الجنة، لحسن عقيدتهم وخلوص نيّتهم.

في الجوامع: عن النبي ﷺ لقد خلفتم في المدينة أقواماً ما سرتهم مساراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، وهم الذين صحت نيّاتهم، ونصحت جيوبهم، وهوت أفئدتهم إلى الجهاد، وقد منعهم من المسير ضرر أو غيره (٤).

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ * دَرَجَتٍ مِّنْهُ

١- مجمع البيان: ج ٣، ٤، ص ٩٦. ٢- سرى عنه: انكشف. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٣٤٢.

٣- عوالي الثمالي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٢٧٢. ٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٨١.

وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴿١﴾ في المجمع: جاء في الحديث أَنَّ اللَّهَ سبحانه فضَّلَ المجاهدين على القاعدين سبعين درجة، بين كلِّ درجتين مسيرة سبعين خريفاً^(١) للفرس الجواد المضر^(٢)(٣).

قيل: كَرَّرَ تفضيل المجاهدين وبالع في اجمالاً وتفصيلاً تعظيماً للجهاد وترغيباً فيه^(٤).

وقيل: الأول: ما خوَّهم^(٥) في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر، والثاني: ما جعل

لهم في الآخرة^(٦).

وقيل الدرجة: إرتفاع منزلتهم عند الله، والدرجات منازلهم في الجنة^(٧).

وقيل: القاعدون الأول: هم الأضرء، والقاعدون الثاني: هم الذين أذن لهم في التخلف

اكتفاء بغيرهم^(٨).

وقيل: المجاهدون الأولون: من جاهد الكفار، والآخرون: من جاهد نفسه كما ورد

في الحديث: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر^(٩).

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالأول: قوماً، وبالأخر: آخرين، فإنَّ ما بين المجاهد

والمجاهد كما بين السماء والأرض.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ يغفر لما عسى أن يفرط منهم، ويرحمهم بإعطاء الثواب.

١ - الخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، وهو بحساب المنجمين أحد وتسعون يوماً وثمن، هو نصف آب وأيلول وتشرين الأول ونصف تشرين الثاني، قيل: والمراد من قوله ﷺ: «فقرأ أمتي يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً» أربعون سنة لأنَّ الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة فإذا انقضى أربعون خريفاً فقد مضت أربعون سنة.

وفي معاني الأخبار: الخريف: سبعون سنة، وفي مواضع من كتب الحديث، الخريف: ألف عام، والعام ألف سنة، وفي بعض الروايات «قلت ما الخريف جعلت فداك ؟ قال: زاوية في الجنة يسير الراكب فيها أربعين عاماً، مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٣، مادة «خرف» . ٢ - المضر: أي سريع السير، المجد في الركض .

٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٩٧ . ٤ - راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٣٨ .

٥ - خوَّه الله الشيء: أي ملكه إيَّاه، وخوَّه نعمة: أعطاه نعمة، خوَّه المال: أي أعطاه إيَّاه متفضلاً . مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦٦ .

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ
وَسِعَةً فَتُجَارُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿٩٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾: يحتمل الماضي والمضارع، وقرئ توفَّيْتَهُمْ.

﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة.

في الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» ^(١) وقوله: «قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» ^(٢) وقوله عز وجل: «تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا» ^(٣) وقوله تعالى: «الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ» ^(٤) فمرة يجعل الفعل لنفسه، ومرة لملك الموت، ومرة للرسول، ومرة للملائكة.

فقال: إِنَّ اللَّهَ تعالى أَجَلَ وَأَعْظَمَ من أن يتوَلَّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته: فعله. لأنهم بأمره يعملون فاصطفى من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» ^(٥) فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النعمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنعمة، يصدرون عن أمره وفعلهم فعله، وكل ما يأتونه منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت. ففعل ملك الموت فعل الله، لأنه يتوَلَّى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي وينع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمثاله فعله

٢- السجدة: ١١.

١- الزمر: ٤٢.

٤- النساء: ٩٧.

٣- الأنعام: ٦١.

٥- الحج: ٧٥.

كما قال: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^(١) (٢).

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال: إن الله تعالى جعل للملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فيتوفاهم الملائكة، ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفاهم الله تعالى من ملك الموت^(٣).

وفي التوحيد: سئل أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك؟ فقال: إن الله تعالى يدبر الأمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء بما يشاء. أما ملك الموت فإن الله يوكله بخاصة من يشاء، ويوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه، والملائكة الذين ساءمهم الله عز ذكره وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه، وإن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء، وليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفتره لكل الناس لأن منهم القوي والضعيف، ولأن منه ما يطاق حمله، ومنه ما لا يطاق حمله إلا من يسهل الله له حمله وأعانته عليه من خاصة أوليائه، وإنما يكفيك أن تعلم أن الله المحيي والميت وأنه يتوفى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم^(٤).

أقول: ولعموض هذه المسألة قال عليه السلام: ما قال والسرف فيه أن قابض روح النبات ومتوفيه ورافعه إلى سماء الحيوانية هي النفس المختصة بالحيوان وهي من أعوان الملائكة الموكلة بإذن الله لهذا الفعل باستخدام القوى الحساسة والمحركة وكذلك قابض روح الحيوان ومتوفيه ورافعه إلى سماء الدرجة الإنسانية هي النفس المختصة بالإنسان وهي كلمة الله المسماة بالروح القدس الذي شأنه إخراج النفوس من القوة الهيولانية إلى العقل المستفاد بأمر الله

١- الانسان: ٣٠.

٢- الإحتجاج: ج ١ إحتجاجة على زنديق جاء مستدلاً بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. الأسئلة تكون في صفحة ٣٦٤ والأجوبة تكون في ص ٣٦٧.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٨٢، ح ٣٧١ / ٢٦، باب غسل الميت.

٤- التوحيد: ص ٢٦٨، ح ٥، والحديث طويل جداً، باب ٣٦- الرد على الثنوية والزنادقة.

وإيصال الأرواح إلى جوار الله وعالم الملكوت الأخروي، وهم المرادون بالملائكة والرسل، وأما الإنسان بما هو إنسان فقابض روحه ملك الموت: «قُلْ يَتَوَفَّى كُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» (١) وأما المرتبة العقلية فقابضها هو الله سبحانه «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ» (٢) «يَسْعِي سِي إِلَى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٣) «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (٤).

﴿قَالُوا﴾: أي الملائكة توبيخاً لهم.

﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾: في أي شيء كنتم من أمر دينكم.

﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا

وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، ويمنعوننا من الإيمان بالله واتباع رسوله، واعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمته.

﴿قَالُوا﴾: أي الملائكة تكذيباً لهم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا﴾: فتخرجوا من أرضكم،

ودوركم، وتفرقوا من يمنعكم من الإيمان إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبيشة.

﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: قيل: نزلت في أناس من مكة

أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (٥).

وفي المجمع (٦)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: هم: قيس بن الفاكهة بن المغيرة، والحارث بن

زمنة بن الأسود، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو العاص بن ميثبه بن الحجاج، وعلي بن أمية ابن خلف (٧).

٢- الزمر: ٤٢.

١- السجدة: ١١.

٤- المجادلة: ١١.

٣- آل عمران: ٥٥.

٦- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٩٨- ٩٩.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٣٩.

٧- لم نثر عليه، ولعله سهو من قلمه الشريف.

والقَمِي: نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولم يقاتلوا معه، فقالت الملائكة لهم عند الموت: فيم كنتم؟ «قالوا كنّا مستضعفين في الأرض» أي لم نعلم مع من الحق، فقال الله: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا» أي دين الله، وكتاب الله واسع فتنظروا فيه ^(١).
أقول: لا منافاة بين الخبرين لأنّ الأول تفسير، والثاني تأويل، والآية تشملهما.
وفي نهج البلاغة قال عليه السلام: ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه ^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل ما تقول في المستضعفين ^(٣) فقال: شبيهاً بالفرع فتركتم أحداً يكون مستضعفاً وأين المستضعفون؟ فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق ^(٤) إلى العواتق في خدورهنّ وتحدّثت به السقّاءات ^(٥) في طرق المدينة ^(٦).
وعن الكاظم عليه السلام: أنّه سئل عن الضعفاء؟ فكتب: الضعيف من لم ترفع له حجّة ولم يعرف الاختلاف فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف ^(٧).
أقول: وفي الآية دلالة على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكّن الرجل فيه من إقامة دينه.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٩.

٢- نهج البلاغة: ص ٢٨٠، ومن كلام له عليه السلام في الايمان ووجوب الهجرة.

٣- المستضعف عند أكثر الأصحاب: من لا يعرف الإمام ولا ينكره ولا يوالي أحداً بعينه، وقال ابن إدريس: هو من لا يعرف اختلاف الناس في المذاهب، ولا يفيض أهل الحقّ على اعتقادهم، فالمستضعف من لا يكون عالماً بالحقّ والباطل.

٤- العواتق من النساء: جمع عاتق، وهي الشابة أول ما تدرك منه نكاح. وقال الطريحي: التي لم تبّن من والدتها ولم تزوج وقد أدركت وشيّت. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢١١، مادة «عق».

٥- السقّيات: جمع سقّاء بالهمزة، والسقّاية موضع يتخذ لسقي الناس. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٢٠.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٤، باب المستضعف.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٦، ح ١١، باب المستضعف.

إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا
يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾

وعن النبي ﷺ: من قرّب دينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ (١).

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾: استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول، وضميره والإشارة إليه.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام: هو الذي لا يستطيع حيلة يدفع بها عنه الكفر، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر، قال: والصبيان، من كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان (٢).

وعنه عليه السلام إنه سئل من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم، ثم قال: أرايت أم أيمن فإني أشهد إنها من أهل الجنة وما كانت تعرف ما أنتم عليه (٣).

وفي المعاني (٤)، والعياشي: عنه عليه السلام ما يقرب من الحديث الأول، وفي آخره مرفوع عنهم القلم (٥).

وعن الصادق عليه السلام: لا يستطيعون حيلة إلى النصب فينصبون ولا يهتدون سبيلاً إلى الحق، فيدخلون فيه هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها،

١- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٨٢، والكشاف: ج ١، ص ٥٥٥.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٤، ح ٣، باب المستضعف.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤٠٥، ح ٦، باب المستضعف.

٤- معاني الأخبار: ص ٢٠١، ح ٤، باب معنى المستضعف.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦٩، ح ٢٤٨.

فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا
 وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا
 وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
 يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا

ولا ينالون منازل الأبرار^(١).

والعتاشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن المستضعفين فقال: البلهاء^(٢) في خدرها^(٣) والخادم تقول لها صلي فتصلي لا تدري إلا ما قلت لها، والجليب الذي لا يدري إلا ما قلت له، والكبير الفاني، والصغير^(٤).

أقول: الجليب الذي يجلب من بلد إلى آخر.

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: إذا صفح عن

ذنوب عباده سائرًا عليهم ذنوبهم.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾: يفارق أهل الشرك، ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: في منهاج دينه.

١ - معاني الأخبار: ص ٢٠١، ح ٥، باب معنى المستضعف.

٢ - البله: جمع الأبله، وهو الذي فيه البله - بفتحين - يعني الغفلة، وفي الحديث «عليك بالبلهاء ! قلت: وما البلهاء ؟ قال: ذوات الخدور العفائف» مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٤٣. مادة «بله».

٣ - الخدر - بالكسر - : ستر أعد للجرارية البكر في ناحية البيت، والجمع خدور، وجرارية مخدرة: إذا ألزمت الخدر. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٨٣، مادة «خدر».

٤ - تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٧٠، ح ٢٥١.

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ
الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا
لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا: متحولاً من الرغام، وهو التراب، ومخلصاً من الضلال.

﴿وَسَعَةً﴾: في الرزق وإظهار الدين في رغم بذلك أنوف من ضيق عليه من قومه.
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: في الجمع: عن أبي حمزة الثمالي: لما نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع أو جندب بن ضمرة، وكان بمكة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله أني لأجد قوة وأنني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديداً المرض فقال لبنيه: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فإني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية (١).

والعياشي: عن محمد بن أبي عمير، قال: وجّه زرار بن أعين ابنه عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر، وعبدالله الأفطس، فمات قبل أن يرجع إليه عبيداً ابنه، قال محمد بن أبي عمير: حدثني محمد بن حكيم، قال ذكرت لأبي الحسن عليه السلام زراراً وتوجهه عبيداً إلى المدينة فقال: إني لأرجو أن يكون زراراً ممن قال الله: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» الآية (٢).

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرت.
﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾: بتنصيف الرباعيات، لما أمر

الله بالجهاد والهجرة، بين صلاة السفر والخوف.

قيل: لأنهم ألفوا الإتمام وكان مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً في التقصير فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمأنوا إليه^(١).

وفي الفقيه^(٢) والعياشي: عن زرارة ومحمد بن مسلم، قالوا: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي؟ فقال: إن الله عز وجل يقول: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ» فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر، قالوا: قلنا: إنما قال الله تعالى: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» ولم يقل افعلوا كيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ فقال عليه السلام: أوليس قد قال الله عز وجل: «إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»^(٣) ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض لأن الله عز وجل ذكره في كتابه وصنعه نبيه عليه السلام وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكره الله تعالى في كتابه، قالوا: قلنا له: فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كان قد قرأت عليه آية التقصير وفسرت له وصلى أربعاً أعاد، وإن لم يكن قرأت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه، والصلوات كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير، وتركها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السفر والحضر ثلاث ركعات^(٤).

وزاد في الفقيه: وقد سافر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذي خشب، وهي مسيرة يوم من المدينة يكون إليها بريدان أربعة وعشرون ميلاً فقصر وأفطر فصارت سنة، وقد سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوماً صاموا حين أفطر «العصاة» إلى يوم القيامة وإننا لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا^(٥).

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٥٥٨. وراجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤٠، س ٩.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٧٨-٢٧٩، ح ١٢٦٦/١، باب ٥٩- الصلاة في السفر.

٣- البقرة: ١٥٨. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧١، ح ٢٥٤.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٧٨-٢٧٩، ح ١٢٦٦/١، باب ٥٩- الصلاة في السفر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ
وَلْيَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا
حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ
وَأَمْعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحِجَّةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ
كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ
وَتَأْخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

وعن النبي ﷺ فرض المسافر ركعتان غير قصر^(١).

أقول: وأقل سفر يقصر فيه: ثمانية فراسخ ذاهباً وجائياً، كما يستفاد من الأخبار المعصومية، وأكثر أصحابنا قد خفي عليهم ذلك حيث زعموا أنَّ هذه المسافة معتبرة في الذهاب خاصة، وقد حققنا ذلك في كتابنا الموسوم بالوافي^(٢) وغيره.

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في أنفسكم أو دينكم، وهذا الشرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت. فإنَّ القصر ثابت في حال الأمن أيضاً.

وفي الكافي^(٣)، والفقيه^(٤)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية أنَّها في الركعتين

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٠١، س ٢٣.

٢- الوافي: ج ٧، ص ١٣٣- ١٣٤.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٤٥٨، ٤، باب صلاة المطاردة والموافقة والمسايقة.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ١٣٤٣/٧ مع تفاوت في ألفاظ الحديث، باب صلاة الخوف والمطاردة والموافقة والمسايقة.

تنقص منها واحدة^(١) يعني في حال الخوف.

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: ظاهر العداوة.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾: في أصحابك الضارين في الأرض الخائفين عدوهم أن يغزوهم.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾: بأن تؤمهم.

﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: من أصحابك.

﴿مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾:

يجرسونكم.

﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾:

تحرّزهم وتيقّظهم.

﴿وَأَسْلَحَتْهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾: تمنّوا أن ينالوا منكم غيرة^(٢) في صلاتكم فيحملون عليكم

حملة واحدة، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا

أَسْلِحَتَكُمْ﴾: رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض.

﴿وَأَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: كي لا يهجم عليكم العدو.

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾: مُذَلًّا.

القمي: نزلت لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية يريد مكة، فلما رفع الخبر إلى فريش

بعثوا خالد بن الوليد في مأتي فارس ليستقبل رسول الله ﷺ فكان يعارض رسول الله ﷺ

على الجبال فلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر أذن بلال، وصلى رسول الله ﷺ

بالناس، وقال خالد بن الوليد: لو كنّا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لا يقطعون

١ - تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٣٠٠، ح ٩١٤ / ٥، باب ٢٩ - صلاة الخوف.

٢ - الغرّة - بالكسر - الغفلة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٢ مادة «غر».

الصلاة، ولكن تحييء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم، فنزل جبرئيل عليه السلام بصلاة الخوف بهذه الآية، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فرقتين ووقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلّوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ومروا فوققوا مواقف أصحابهم وجاء أولئك الذين لم يصلّوا فصلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية ولهم الأولى وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاموا أصحابه فصلّوا هم الركعة الثانية وسلّم عليهم ^(١). وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه في غزوة ذات الرقاع ^(٢) صلاة الخوف ففرّق أصحابه فرقتين أقام فرقة بإزاء العدو، وفرقة خلفه فكبر وكبروا فقرأ وأنصتوا فركعوا فسجد وسجدوا، ثم استمرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً وصلّوا لأنفسهم ركعة، ثم سلّم بعضهم على بعض، ثم خرجوا إلى أصحابهم فقاموا بإزاء العدو وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى بهم ركعة ثم تشهد وسلّم عليهم، فقاموا وصلّوا لأنفسهم ركعة ثم سلّم بعضهم على بعض ^(٣).

وعنه عليه السلام أنه سئل عن صلاة الخوف؟ قال: يقوم الإمام وتحيي طائفة من أصحابه فيقومون خلفه، وطائفة بإزاء العدو فيصلّي بهم الإمام ركعة، ثم يقوم ويقومون معه فيمّثل قائماً ويصلّون هم الركعة الثانية، ثم يسلم بعضهم على بعض، ثم ينصرفون فيقومون مقام أصحابهم ويحيي الآخرون فيقومون خلف الإمام فيصلّي بهم الركعة الثانية، ثم يجلس الإمام فيقومون هم فيصلّون ركعة أخرى، ثم يسلم عليهم فينصرفون بتسليمه، قال: وفي المغرب بمثل ذلك يقوم الإمام وتحيي طائفة فيقومون خلفه، ثم يصلّي بهم ركعة، ثم يقوم ويقومون فيمّثل الإمام قائماً فيصلّون ركعتين فيتشهدون ويسلم بعضهم على بعض، ثم ينصرفون فيقومون في مواقف أصحابهم، ويحيي الآخرون ويقومون في مواقف أصحابهم خلف الإمام فيصلّي بهم ركعة يقرأ فيها، ثم يجلس فيتشهد، ثم يقوم ويقومون معه ويصلّي بهم ركعة أخرى، ثم يجلس ويقومون هم

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٠.

٢- غزوة معروفة كانت في سنة الخمس من الهجرة بأرض غطفان من نجد. مرآة العقول: ج ١٥ ص ٤٢٤.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٥٦٦، ح ٢، باب صلاة الخوف.

فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى
 جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
 عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

فَيَتَمُونَ رَكْعَةً أُخْرَى ثُمَّ يَسَلِّمُ عَلَيْهِمُ (١).

﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ﴾: فإذا فرغتم من صلاتكم وأنتم محاربوا أعداءكم (٢).
 ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾: ادعوا الله في هذه الأحوال لعله
 ينصركم على عدوكم، ويظفركم به مثل قوله تعالى: «إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٣).

﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾: فإذا استقررتُم في أوطانكم وأقمتُم في أمصاركم.
 ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فأتوا الصلاة التي أذن لكم في قصرها، وتخفيفها في حال السفر
 والخوف واتموا حدودها.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾: في الكافي (٤)، والعياشي: عن
 الباقر عليه السلام: يعني مفروضاً وليس يعني وقت فوتها إذا جاز ذلك الوقت ثم صلاتها لم تكن صلاته
 هذه مؤداة ولو كان كذلك لهلك سليمان بن داود عليه السلام حين صلاتها لغير وقتها، ولكن
 متى ما ذكرها صلاتها (٥).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: موقوتاً أي ثابتاً وليس ان عجلت قليلاً أو أخرت قليلاً

١- الكافي: ج ٣، ص ٤٥٥ - ٤٥٦، ح ١، باب صلاة الخوف.

٢- وفي نسخة: [عدوكم]. ٣- الأنفال: ٤٥.

٤- الكافي: ج ٣، ص ٢٩٤، ح ١٠، باب من نام عن الصلاة أو سها عنها.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٣، ح ٢٥٩.

وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ
كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً
حَكِيماً ١٠٤

بالذي يضرك ما لم تضع تلك الإضاعة، فإن الله عز وجل يقول لقوم: «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» (١)(٢).

﴿وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾: لا تضعفوا في طلب القوم الذين هم أعداء الله وأعداؤكم.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ﴾: بما ينالكم من الجراح منهم.

﴿فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ﴾: أيضاً بما ينالهم من ذلك.

﴿كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾: من إظهار الدين، واستحقاق

الثواب. فأنتم أولى وأحرى على حربهم وقتالهم منهم على قتالكم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾: بمصالح خلقه.

﴿حَكِيماً﴾: في تدبيره إياهم.

القصي: إن النبي ﷺ لما رجع من وقعة أحد ودخل المدينة نزل عليه جبرئيل فقال:

يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلا من به جراحة. فأمر رسول

الله ﷺ منادياً ينادي يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم

يكن به جراحة فليقم. فأقبلوا يضمّدون جراحاتهم ويداوونها فأنزل الله على نبيّه: «وَلَا

تَهْنُؤْا» الآية (٣) وقال عز وجل: «إِنْ يَسْئَلُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» إلى قوله:

١- مريم: ٥٩.

٢- الكافي: ج ٣، ص ٢٧٠، ح ١٣، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها.

٣- آل عمران: ١٣٩.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ
 اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٦﴾

«شُهَدَاءَ»^(١) فخرجوا على ما بهم من الأثم والجراح^(٢).

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ﴾: بما عرّفك وأوحى به إليك. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: واللّه ما فوّض اللّه إلى أحد من خلقه إلّا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة: قال اللّه عزّ وجلّ: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ» وهي جارية في الأوصياء^(٣).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام: أنّه قال لأبي حنيفة: وتزعم إنّك صاحب رأي وكان الرأي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله صواباً ومن دونه خطأ، لأنّ اللّه قال: «فاحكم بينهم بما أرىٰك الله»^(٤) ولم يقل ذلك لغيره^(٥).

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾: لأجلهم والذب عنهم.

﴿خَصِيماً﴾: للبراء.

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: بما هممت به.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾: لمن يستغفره. القمي: كان سبب نزولها إنّ قوماً من الأنصار من بني أبيرق اخوة ثلاثة كانوا منافقين بشير، ومبشّر، وبشر، فنقبوا على عمّ

١- آل عمران: ١٤٠. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٥.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٦٧ - ٢٦٨، ح ٨، باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين.

٤- اقتباس من قوله تعالى في سورة النساء: ١٠٥.

٥- الإحتجاج: ج ٢، ص ١١٧، فيما احتجّ به الصادق عليه السلام على أبي حنيفة والآية «لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ اللَّهُ».

قتادة بن النعمان، وكان قتادة بذرياً وأخرجوا طعاماً كان أعدّه لعياله وسيفاً ودرعاً، فشكا قتادة ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن قوماً نقبوا على عمي وأخذوا طعاماً كان أعدّه لعياله ودرعاً وهم أهل بيت سوء، وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يقال له لبيد بن سهل، فقال بنو أبيرق لقتادة: هذا عمل لبيد بن سهل فبلغ ذلك لبيداً فأخذ سيفه وخرج عليهم فقال: يا بني أبيرق أترمونني بالسرق وأنتم أولى به مني وأنتم المنافقون تهجون رسول الله وتنسونه إلى قريش لتبينن ذلك أو لأملأن سيفي منكم فداروه فقالوا له: ارجع رحمك الله فإنك بريء من ذلك، فشى بنو أبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له: أسيد بن عروة، وكان منطبقاً بليغاً فشى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منّا أهل شرف وحسب ونسب فرماهم بالسرق فأتاهم بما ليس فيهم، فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك وجاء إليه قتادة فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال له: عمدت إلى أهل بيت شرف وحسب ونسب فرميتهم بالسرقه. فعاتبه عتاباً شديداً فاغتم قتادة من ذلك ورجع إلى عمّه، وقال: ياليتني متّ ولم أكلم رسول الله ﷺ فقد كلّمني بما كرهته، فقال عمّه: الله المستعان فأنزل الله في ذلك على نبيه: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» الآيات (١).

وفي المجمع ما يقرب منه قال: وكان بشير يكتي أبا طعمة وكان يقول الشعر ويهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم يقول قاله فلان (٢).

وفي الجوامع: يروى أن أبا طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جاره اسمه قتادة بن النعمان وخبأها عند رجل من اليهود، فأخذ الدرع من منزل اليهودي، فقال: دفعها إليّ أبو طعمة، فجاء بنو أبيرق إلى رسول الله ﷺ وكلموا أن يجادلوا عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك واقتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي فنزلت (٣). وفي

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٠ - ١٥١. ٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٠٥.

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٨٦.

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ
 كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
 مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
 اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

معناه ما روته العامة مع (١) زيادات.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: جعل المعصية خيانة لها كما

جعلت ظلماً عليها، لأنّ وبالها يعود عليها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾: مبالغاً في الخيانة مصراً عليها.

﴿أَثِيمًا﴾: منهمكاً فيه.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾: يستترون منهم حياءً وخوفاً.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾: لا يستحيون منه وهو أحقّ بأن يستحيى منه ويخاف.

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبّرون، ويزوّدون بالليل.

﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾: من رمي البريء. القمّي: يعني الفعل، فوقع القول مقام

الفعل (٢).

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾: لا يفوت عنه شيء.

﴿هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾

الْقِسْمَةُ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١﴾: محامياً عنهم، يحميهم من عذاب الله.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾: قبيحاً، يسوء به غيره.

﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾: بما يختص به ولا يتعداه.

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾: بالتوبة.

﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾: لذنوبه.

﴿رَحِيمًا﴾: متفضلاً عليه.

في نهج البلاغة: من أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة، ثم تلا هذه الآية (١).

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: لا يتعداه وباله.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: وهو عالم بفعله، حكيم في مجازاته.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾: ذنباً على غير عمد.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذنباً تعمده كبشير.

﴿ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا﴾: كما رمى بشير لبيداً أو اليهودي

﴿فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بسبب رمي البريئ، وتنزيه النفس

الخاطئة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾
١١٣

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾: باعلام ما هم عليه بالوحي.
﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ﴾: عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال، وليس
القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه.
﴿وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾: لأن وبالهم عليهم.
﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾: فإن الله عاصمك وناصرك ومؤيدك، وما خطر ببالك
كان إعتاداً منك على ظاهر الأمر، لا ميلاً في الحكم.
﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾: من
خفيات الأمور.

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾: إذ لا فضل أعظم من النبوة.
القمي: عن الباقر عليه السلام قال: إن أناساً من رهط بشير الأدين^(١) قالوا انطلقوا بنا إلى
رسول الله صلى الله عليه وآله نكلمه في صاحبنا ونعذره فإن صاحبنا بريئ فلما أنزل الله «يَسْتَخْفُونَ مِنْ
النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ» إلى قوله «وكيلاً» فأقبلت رهط بشير فقالت: يا
بشير استغفر الله وتب من الذنب، فقال: والذي أحلف به ما سرقها إلا لبيد فنزلت «وَمَنْ
يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» ثم إن بشيراً كفر ولحق بمكة

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

وأنزل الله في النفر الذين أعذروا بشيراً وأتوا النبي ﷺ ليعذروه «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ» الآية ونزل في بشير وهو بمكة «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^(١).

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: «إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ» يعني فلاناً، وفلاناً، وأبا عبيدة بن الجراح^(٢).

ومثله العياشي: عنه^(٣) وعن الباقر عليه السلام قال: وفي رواية: الأول، والثاني، وأبو عبيدة ابن الجراح^(٤).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وقد بين الله قصص المغيرين بقوله: «إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ» بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود باطلهم حسبما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والإنجيل، وتحريف الكلم عن مواضعه^(٥).

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: أمر جميل.

﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾: تأليف بينهم بالمودة.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٣٤، ح ٥٢٥.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٢.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٥، ح ٢٦٨.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٥، ح ٢٦٧.

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠-٣٧١، احتجاجة على زنديق جاء مستدلاً بأي من القرآن متشابهة.

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

في الكافي^(١)، والعيّاشي^(٢)، والقمي: عن الصادق عليه السلام يعني بالمعروف: القرض^(٣).
والقمي: عنه عليه السلام إن الله فرض التحل في القرآن فسئل وما التحل؟ قال: أن يكون
وجهك أعرض من وجه أخيك فتتحل له وهو قوله تعالى: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ»^(٤).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما
ملكتم أيديكم^(٥).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام الكلام ثلاثة صدق وكذب وإصلاح بين الناس، وفسّر
الإصلاح: بأن تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال
فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه^(٦).

وفي الخصال: عنه عليه السلام عن أبيه عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله: ثلاثة يحسن فيهنّ الكذب:
المكيدة في الحرب، وعدتك وزوجتك، والإصلاح بين الناس^(٧).

﴿وَمَنْ يَقْعُلْ ذَلِكَ﴾: أي الأمور الثلاثة، أو الأمر بها.
﴿أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: وقرئ بالياء.
﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾: يخالفه.

١- الكافي: ج ٤، ص ٣٤، ح ٣، باب القرض. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٧٥، ح ٢٧١.

٣- لم نعثر عليه. والظاهر أنه سهر من قلعه الشريف.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٢. ٥- الكافي: ج ٢، ص ٣٤١، ح ١٦، باب الكذب.

٦- الخصال: ص ٨٧، ح ٢٠، باب الثلاثة.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾: أي ظهر له الحق.
﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ما هم عليه من الدين الحنيفي.
﴿نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾: نجعله والياً لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلّي بينه وبين ما
اختاره.

﴿وَنُضِلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: القمي: نزلت في بشير كما مر^(١).
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: تكريره إما
للتأكيد، أو لقصة بشير.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن الحق.
﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: ما يدعو هؤلاء المشركون وما يعبدون من دون الله.
﴿إِلَّا إِنْسَانًا﴾: يعني اللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وأساف، ونائلة، كان لكل
حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بنى فلان كذا قيل^(٢).

وفي المجمع: عن تفسير أبي حمزة الثمالي قال: كان في كل واحدة منهن شيطانة أنثى
تتراءى للسنة^(٣)، وتكلمهم وذلك من صنيع ابليس، وهو الشيطان الذي ذكره الله ولعنه^(٤).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٢.

٢- مجمع البيان: ص ٣- ٤، ص ١١٢، وأنوار التنزيل: ج ١ ص ٢٤٤، وتفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٢٣٣.

٣- السنة: جمع السادن بكسر الدال: خادم الكعبة، وسدنت الكعبة سداً من باب، قتل: خدمتها. مجمع

البحرين: ج ٦، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، مادة «سدن». ٤- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١١٣.

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأُمُرَّتْهُمْ فَلِيْئَسُّوكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَمِ
وَلَأُمُرَّتْهُمْ فَلِيْغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ
دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ﴿١١٩﴾

﴿وَأِنْ يَدْعُونَ﴾: أن يعبدون عبادتها.

﴿إِلَّا شَيْطَاناً مَّرِيداً﴾: لأنه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكأن طاعته في

ذلك عبادة له، والمريد: الخارج عن الطاعة الذي لا يعلق بخير.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبغده عن الخير.

﴿وَقَالَ﴾: أي الشيطان.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾: قدر لي وفرض قاله عداوة وبغضاً.

في المجمع: عن تفسير الثمالي عن النبي ﷺ في هذه الآية من بني آدم تسعة وتسعون

في النار وواحد في الجنة^(١).

وفي رواية أخرى من كل ألف واحد لله، وسائرهم للنار ولإبليس^(٢).

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾: عن الحق.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: الأمانى الباطلة كطول العمر، وأن لا يبعث ولا عقاب.

﴿وَلَأُمُرَّتْهُمْ فَلِيْئَسُّوكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَمِ﴾: قيل: كانوا يشقون آذانها إذا ولدت خمسة

أبطن، والخامس ذكر، وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها^(٣).

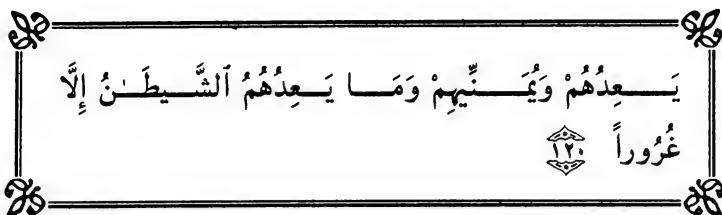
وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: ليقطعن الأذن من أصلها^(٤).

٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١١٣.

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١١٣.

٤- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١١٣.

٣- الكشف: ج ١، ص ٥٦٦.



﴿وَلَا مُرَمَّةَ لَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾: فيه. عنه عليه السلام يريد دين الله أمره، ونهيه، ويؤيده قوله سبحانه: «فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» (١) (٢).

أقول: ويزيده تأييداً قوله عز وجل عقيب ذلك: «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» (٣) وتفسيرهم عليه السلام فطرة الله: بالإسلام، ولعله يندرج فيه كل تغيير لخلق الله عن وجهه صورة أو صفة من دون إذن من الله كقضائهم (٤) عين الفحل الذي طال مكثه عندهم واعفاؤه عن الركوب، وخصاء العبيد وكل مثله، ولا ينافيه التفسير بالدين والأمر لأن ذلك كله داخل فيها.

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: بأن يؤثر طاعته على طاعة الله عز وجل. ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: إذ ضيع رأس ماله، وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار. ﴿يَعِدُّهُمْ﴾: ما لا ينجز.

﴿وَيُمْنِيهِمْ﴾: ما لا ينالون.

﴿وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾: وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه. في المجالس: عن الصادق عليه السلام: لما نزلت هذه الآية «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» (٥) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم

٢- جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١١٣.

١- الروم: ٣٠.

٣- الروم: ٣٠.

٤- الفقه بالهمزة: الشق، يقال: فقات عينه أفاؤها: أي شقتها. جمع البحرين: ج ١، ص ٣٣٢.

٥- آل عمران: ١٣٥.

﴿١٢١﴾ أُولَٰئِكَ مَاوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ
 أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ
 الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها، قال: بماذا؟ قال له: بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، فقال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة^(١).

﴿أُولَٰئِكَ مَاوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: معدلاً ومهرباً.
 ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾: تأكيد بليغ.
 ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: القمي: ليس ما تتمنون أنتم ولا
 أهل الكتاب أي أن لا تعذبوا بأفعالكم^(٢).

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾: عاجلاً وأجلاً. في العيون: أن إسماعيل قال
 للصادق عليه السلام: يا أبتاه ما تقول في المذنب منا ومن غيرنا؟ فقال: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي»

١- الامالي للشيخ الصدوق: ص ٣٧٦، ح ٥، المجلس الحادي والسبعون.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٣.

أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ»^(١).

وفي المجمع: عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء؟ فقال: أما والذي نفسي بيده أنها لكانت نزلت، ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا أنه لا يصيب أحداً منكم مصيبة إلا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه^(٢).

أقول: معنى قاربوا وسددوا: اقتصدوا في أموركم، واطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة من غير غلو ولا تقصير.

وفي معنى هذا الحديث أخبار كثيرة عن أهل البيت:

فالعياشي: عن الباقر عليه السلام لما نزلت هذه الآية «مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشدها من آية! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تبتلون في أنفسكم وأموالكم وذرائعكم؟ قالوا: بلى، قال: هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات، ويمحو به السيئات^(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إن الله تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم، وإن لم يفعل ذلك ابتلاه بالحاجة، فإن لم يفعل ذلك به شدد عليه الموت ليكافئه بذلك الذنب^(٤) الحديث.

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾: لنفسه.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾: من يواليه.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: يدفع عنه العذاب.

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، ح ٥، باب ٥٨- قول الرضا عليه السلام لأخيه زيد بن موسى حين افتخر على من في مجلسه.

٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١١٥.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٧، ح ٢٧٨.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٤٤، ح ١، باب تعجيل عقوبة الذنب. وفيه «ليكافئه».

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
 أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
 إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾: بعضها.
 ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: وقرئ بضم الياء
 وفتح الحاء.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾: بنقص شيء من الثواب، والنقير: النقطة التي في النواة.
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: أخلص نفسه لله.
 ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: آت بالحسنات. وفي الحديث النبوي: الإحسان: أن تعبد الله كأنك
 تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١).
 ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: التي هي دين الإسلام، والمتفق على صحتها يعني اقتدى
 بدينه وسيرته وطريقته.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن سائر الأديان.
 ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾: اصطفاه، وخصّصه بكرامة الخلّة.
 في الكافي: عنها عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً، وإن
 الله اتخذهُ نبياً، قبل أن يتّخذه رسولاً، وإن الله اتخذهُ رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإن الله
 اتخذهُ خليلاً قبل أن يجعله إماماً^(٢).

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١١٦.

٢- الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٢ و٤، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام.

وفيه ^(١) والعياشي: عن الباقر عليه السلام: لما اتخذ الله عز وجل إبراهيم خليلاً أتاه بشراه بالخلّة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً فدخل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه الدار فاستقبله خارجاً من الدار وكان إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه رجلاً غيوراً، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه، ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون الرجال فأخذه بيده، وقال: يا عبد الله من أدخلك داري؟ فقال: ربها أدخلنيها، فقال: ربها أحق بها مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. ففرع إبراهيم عليه السلام وقال: جئتني لتسلمني روعي؟ قال: لا، ولكن اتخذ الله عبداً خليلاً فبحث لبشارته، قال: فمن هو؟ لعلني أخدمه حتى أموت، قال: أنت هو. فدخل على سارة فقال لها: إن الله تعالى اتخذني خليلاً ^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف وكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف وأنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ فقال: دخلتها بإذن ربها يردد ذلك ثلاث مرّات. فعرف إبراهيم عليه السلام أنه جبرئيل فحمد ربّه، ثم قال: أرسلني ربك إلى عبد من عبيده يتّخذ خليلاً، قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت؟ قال: فأنت، قال: فبم ذلك؟ قال: لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قط، ولم تسأل شيئاً قط فقلت: لا ^(٣).

والقمي: عنه عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام هو أول من حوّل له الرمل دقيقاً، وذلك أنه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله فكره أن يرجع بالحمار خالياً فلأجراه رملاً فلما دخل منزله خلا بين الحمار وبين سارة استحياءاً منها ودخل البيت ونام ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدمت إليه طعاماً طيباً فقال إبراهيم عليه السلام: من أين لك هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصري، فقال إبراهيم: أما إنّه خليلي وليس

١- الكافي: ج ٨، ص ٣٩٢، ح ٥٨٩. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٨، ح ٢٨٠.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٤٠، ح ٦، باب معرفة الجود والسخاء.

بمصري فلذلك أعطى الخلّة فشكر الله وحمده وأكل^(١).

وفي الإحتجاج: عن النبي ﷺ في حديث قولنا: إنّ إبراهيم عليه السلام خليل الله، فإنّما هو مشتقّ من الخلّة، والخلّة إنّما معناها الفقر والفاقة، فقد كان خليلاً إلى ربّه فقيراً وإليه منقطعاً، وعن غيره متعففاً، معرضاً مستغنياً، وذلك أنّه لما أريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث الله إلى جبرئيل فقال له: أدرك عبيدي فجاءه فلقيه في الهواء فقال: كلفني ما بدالك فقد بعثني الله لنصرتك، فقال: بل حسبي الله ونعم الوكيل، إنّّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلّا إليه. فسماه خليله، أي فقيره ومحتاجه، والمنقطع إليه عمّا سواه، قال: وإذا جعل معنى ذلك من الخلّة وهو أنّه قد تخلل معانيه ووقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان الخليل معناه: العالم به وبأموره ولا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، ألا ترون أنّه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله، وإذا لم يعلمه بأسراره لم يكن خليله^(٢).

وفي العميون: عن الصادق عليه السلام: إنّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لأنّه لم يرد أحداً ولم يسأل أحداً قط غير الله^(٣).

وفي العلل: عنه عليه السلام: لكثرة سجوده على الأرض^(٤).

وعن الهادي عليه السلام: لكثرة صلواته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين^(٥).

وعن النبي ﷺ: لإطعامه الطعام، وصلاته بالليل والناس نيام^(٦).

أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لأنّها كلّها مشتركة في معنى انقطاعه إلى الله واستغنائه عمّا سواه وأنّه الموجب لاتّخاذ الله إيّاه خليلاً، ومما يدلّ على هذا المعنى ما ورد في بعض الروايات أنّ الملائكة قال بعضهم لبعض اتّخذ ربّنا من نطفة خليلاً وقد أعطاه ملكاً

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٣.

٢ - الإحتجاج: ج ١، ص ١٩، فصل في ذكر طرف ممّا جاء عن النبي ﷺ من الجدال والمحاربة والمناظرة وما يجري مجرى ذلك.

٣ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٦، ح ٤، باب ٣٢ - في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٤ و ٥ - علل الشرائع: ص ٣٤، ح ١ ب ٣٢ - العلّة التي من أجلها اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا
 يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَنَصَّى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ
 مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
 آلِ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

عظيماً جزيلاً، فأوحى الله تعالى إلى الملائكة اعمدوا على أزهدكم ورئيسكم فوق الاتفاق
 على جبرئيل وميكائيل فزلا إلى إبراهيم في يوم جمع غنمه وكان لإبراهيم عليه السلام أربعة آلاف
 راع، وأربعة آلاف كلب، في علق كل كلب طوق وزن من ذهب أحمر، وأربعون ألف غنمة
 حلابة، وما شاء الله من الخيل والجمال، فوقف الملكان في طرفي الجمع فقال أحدهما -
 بلذادة -: صوت سبوح قدوس، فجأوبه الثاني: رب الملائكة والروح، فقال: أعيداها ولكما
 نصف مالي، ثم قال: أعيداها ولكما مالي وولدي وجسدي فنادت ملائكة السموات هذا
 هو الكرم هذا هو الكرم فسمعوا منادياً من العرش يقول: الخليل موافق لخليله (١).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً وأمراً وملكاً فهو مستغن عن
 جميع خلقه، وجميع خلقه محتاجون إليه.
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾: علماً وقدره.
 ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾: ويسألونك الفتوى أي تبين الحكم.
 ﴿فِي النِّسَاءِ﴾: في ميراثهن. القمي: عن الباقر عليه السلام سئل النبي ﷺ عن النساء ما لهنَّ

من الميراث فأُنزل الله الربع والثمن^(١).

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: يبين لكم ما سألتكم في شأنهن.

﴿وَمَا يُثَلِّي عَلَيْكُمْ فِي آلِكِتَابٍ﴾: أي ويفتيكم^(٢) لكم أيضاً ما يقرأ

عليكم القرآن.

﴿فِي يَتَسَمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾: لا تعطونهن.

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: من الميراث كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغير ولا المرأة وكانوا

يقولون لا يورث^(٣) إلا من قاتل ودفع عن الحرم فأُنزل الله تعالى آيات الفرائض التي في أول

السورة وهو معنى قوله: «لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام^(٤).

وزاد القمي: وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً فلما أنزل الله فرائض الموارث

وجدوا^(٥) من ذلك وجداً شديداً فقالوا: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ فنذكر ذلك له لعله يدعه

أو يغيره فأتوه، فقالوا: يا رسول الله للجارية نصف ما ترك أبوها وأخوها ويعطى الصبي

الصغير الميراث وليس واحد منها يركب الفرس ولا يحوز^(٦) الغنيمة ولا يقاتل العدو؟ فقال

رسول الله ﷺ: بذلك أمرت.

﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: عن نكاحهن^(٧). القمي: إن الرجل كان في حجره

اليتيمة فتكون دميمة^(٨) وساقطة يعني حمقاء فيرغب الرجل أن يتزوجها ولا يعطيها مالها

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٤. ٢- وفي نسخة: [يبين].

٣- وفي نسخة: [لا تؤرث]. ٤- مجمع البيان: ج ٣، ص ١١٨.

٥- الوجد من لغات الاضداد، بمعنى الفرح والحزن، والمراد هنا: هو الأخير. وذكر المحدث الطريحي في مجمعه: ج

٣، ص ١٥٥، ووجد في الحزن وجداً بالفتح وتوجدت لفلان حزن له.

٦- الحوز: الجمع، وكل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه. مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧.

٧- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٤.

٨- الدميم: القبيح المنظر، يقال: ذم الرجل من بابي - ضرب وتعب - دمامة بالفتح: قبح منظره، وصغر جسمه

فهو دميم. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٦٤.

وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
 أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ
 وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

فينكحها غيره من أجل مالها ويمنعها النكاح ويتربص بها الموت ليرثها فهى الله عن ذلك (١).
 ﴿وَالْمُسْتَضْعِفِينَ﴾: ويفتيكم في المستضعفين.

﴿مِنَ الْأَوْلَادِ﴾: من الصبيان الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأن فيما يتلى عليكم
 «وآتوا اليتامى أموالهم» كما مضى.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط في
 أنفسهم وأموالهم.

﴿وَمَا تَقُولُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: في أمر النساء واليتامى وغير ذلك.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾: وعد لمن أثر الخير في ذلك.

﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا﴾: توقعت لما ظهر لها من المحائل.

﴿نُشُوزًا﴾: تجافياً عنها، وترفعاً عن صحبتها وكرهتها لها، ومنعاً لحقوقها.

﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾: بأن يقل مجالستها ومحادثتها.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾: في الكافي (٢)، والعياشي: عن

الصادق عليه السلام: وهي المرأة تكون عند الرجل فيكرها فيقول لها: أريد أن أطلقك، فتقول له: لا
 تفعل إني أكره أن يشمت بي، ولكن أنظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت، وما كان سوى ذلك من
 شيء فهو لك ودعني على حالتي، وهو قوله تعالى: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا»
 هذا هو الصلح (٣).

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا
كُلَّ أَمِيلٍ فْتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾

والقَمِّي: ما في معناه مع ذكر سبب النزول^(١).

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: من التفرقة وسوء العشرة.

﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾: لكونها مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح

باعراض الزوج عنها وتقصيره في حقها، ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحققها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها.

القَمِّي: قال: «وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ» فمنها من اختارته، ومنها من لم تختره^(٢).

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾: في العشرة.

﴿وَتَتَّقُوا﴾: النشوز والإعراض ونقص الحق.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الإحسان والخصومة.

﴿خَبِيرًا﴾: فيجازيكم عليه.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾: أن تسووا بينهن في المحبة والمودة

بالقلب كما مضى في أوائل السورة من الكافي^(٣)، ورواه العياشي^(٤)، والقَمِّي عن الصادق عليه السلام^(٥).

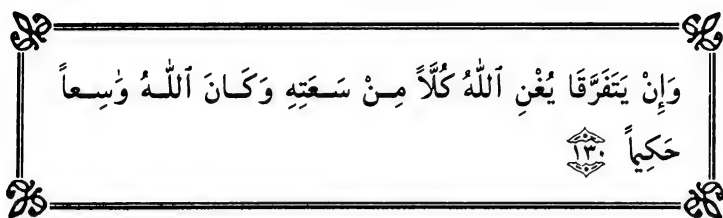
وفي المجمع: عنها عليه السلام أن معناه التسوية في كل الأمور من جميع الوجوه^(٦).

١- تفسير القَمِّي: ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٥. ٢- تفسير القَمِّي: ج ١، ص ١٥٥.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، ح ١، باب فيما أحله الله عز وجل من النساء.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٧٩، ح ٢٨٤. ٥- تفسير القَمِّي: ج ١، ص ١٥٥.

٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٢١.



﴿وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾: على ذلك كل الحرص فإن ذلك ليس إليكم ولا تملكونه ولا تكلفونه ولا تؤاخذون به. في الجمع: عن النبي ﷺ أنه كان يقسم بين نسائه ويقول: اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك^(١).
 ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾: بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾: التي ليست ذات بعل ولا أيما^(٢).
 في الجمع: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليه السلام أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن^(٣).

قال: وروي أن علياً عليه الصلاة والسلام كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى^(٤).

﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾: ما تفسدون من أمورهن.
 ﴿وَتَتَّقُوا﴾: فيما يستقبل.
 ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: يغفر لكم ما مضى من قبلكم.
 ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾: قيل: يعني إذا أبى كل واحد منهما مصالحة الآخر ويتفرقا بالطلاق يغن الله كلا منهما عن الآخر ببذل أو سلو من غنائه وقدرته

١- جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٢١.

٢- الأيم - ككيس - : من لا زوج لها، بكرأ أو ثيباً، ومن لا امرأة له، والجمع أيايم وأيامى. منه يَتَّقُ.

٣ و ٤- جمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٢١.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا
 فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا
 حَمِيدًا ﴿٣١﴾

ويرزقه من فضله^(١).

﴿وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنه شكا رجل إليه الحاجة فأمره بالتزويج، فاشتد به الحاجة فأمره بالمفارقة فأثرى وحسن حاله، فقال له: أمرتك بأمرين أمر الله بهما، قال تعالى «وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ» إلى قوله: «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»^(٢) وقال «وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ»^(٣).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: لا يتعذر عليه الإغناء بعد الفاقة، والإيناس بعد الوحشة، تنبيه على كمال قدرته وسعة ملكه.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: في هذه الآية قد جمع الله ما يتوصى به المتواصون من الأولين والآخرين في خصلة واحدة وهي التقوى، وفيه جماع كل عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلى^(٤).

١- اقتباس من مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٢١، ٢٠. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤٨، س ١٤.

٢- النور: ٣٢.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٣٣١، ح ٦، باب أن التزويج يزيد في الرزق.

٤- مصباح الشريعة: ص ١٦٣، الباب السابع والسبعون في الوصية. وفيه: «قد أجمع الله ما يتوصى».

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
 ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مالك الملك كله لا يتضرر بكفرانكم وعصيانكم كما لا ينتفع بشرككم وتقواكم، وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾: عن الخلق وعبادتهم. ﴿حَمِيدًا﴾: في ذاته، حمد أولم يحمد. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: كلّ يدل بحاجته إلى غناه^(١) وبما فاض عليه من الوجود والكمال على كونه حميداً. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: حافظاً للجميع لا يعزب عنه مثقال ذرة فيها. وقيل: راجع إلى قوله: «يَغْنَى اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ» فإنه يوكل بكفائتها وما بينها تقرير لذلك^(٢). ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: يفتنيكم. ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾: ويوجد قوماً آخرين مكانكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾: من الإعدام والإيجاد. ﴿قَدِيرًا﴾: بليغ القدرة لا يعجزه مراد. في المجمع: ويروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي ﷺ يده على ظهر سلمان رضي الله عنه، وقال: هم قوم هذا يعني عجم الفرس^(٣).

١- وفي نسخة: [على غناه].

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤٩، س ٣.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٢٢.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا
قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوُلْدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: كمن يجاهد للغنيمة.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: فليطلب الثوابين جميعاً من عند الله وما باله

يكتفي بأختها ويدع أشرفها على أنه لو طلب الأشرف لم يخطئه الأخس.

في الكافي^(١)، والحصال: عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين،
صلوات الله عليهم قال: كانت الحكماء والفقهاء إذا كاتب بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث
ليس معهن رابعة، من كانت الآخرة همته: كفاه الله همته من الدنيا، ومن أصلح
سريره: أصلح الله علاقته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله: أصلح الله فيما بينه وبين
الناس^(٢).

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام: الدنيا طالبة ومطلوبة. فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى

يخرجه منها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه^(٣).

١- الكافي: ج ٨، ص ٣٠٧، ح ٤٧٧، حديث الفقهاء والعلماء.

٢- الحصال: ص ١٢٩، ح ١٣٣، باب الثلاثة.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٢٩٣، ح ٦٣ / ٨٨٣، باب في النواذر، وهو آخر أبواب الكتاب.

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾: عالماً بالأغراض. فيجازي كلاً بحسب قصده.
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾: مواظبين على العدل مجتهدين
 في اقامته.

﴿شَهِدَاءَ لِلَّهِ﴾: بالحق تقيمون شهادتكم لوجه الله.
 ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقرؤا عليها.
 ﴿أَوِ الْوُلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾: المشهود عليه أو المشهود له.
 ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾: فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة للغني على الفقير، لاستغناء المشهود
 له، وفقر المشهود عليه، ولا عن إقامة الشهادة للفقير على الغني، تهاوناً بالفقير، وتوقيراً للغني،
 وخشية منه أو حشمة له.

﴿قَالَ اللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا﴾: بالغني والفقير وأنظر لها.
 ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾: لأن تعدلوا عن الحق من العدول أو لأجل أن
 تعدلوا في الشهادة من العدل نهي عن متابعة الهوى في اقامتها كمرعاة صداقة أو غداوة أو
 وحشة أو عصبية أو غير ذلك.

﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾: ألسنتكم عن شهادة الحق.
 ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾: عن أدائها. في المجمع: عن الباقر عليه السلام: إن تلووا أي تبدلوا الشهادة
 أو تعرضوا أي تكتموها^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن تلووا الأمر أو تعرضوا عما أمرتم به، وقرئ وإن تلووا
 على معنى إن وليتم إقامة الشهادة^(٢).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيجازيكم عليه.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٢٤.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٢١، قطعة من ح ٤٥، باب فيه نكت وتنف من التزليل في الولاية.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي
 نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
 بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ
 أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بألستكم وظاهركم ^(١).

﴿ءَامَنُوا﴾: بقلوبكم وباطنكم.

﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾: يعني القرآن.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾: التوراة والإنجيل وغيرهما، أريد به الجنس

وقرئ على البناء للمفعول فيها.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: ومن يكفر

بشيء من ذلك.

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: كاليهود آمنوا بموسى عليه السلام والمنافقين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: ثم عبد اليهود العجل وارتد المنافقون.

﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾: عادوا إلى الإيمان.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾: وكفر اليهود بعيسى عليه السلام وارتد المنافقون مرة أخرى.

﴿ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا﴾: بمحمد صلى الله عليه وسلم، وتنادوا في الغي، وأصرّوا عليه حتى ماتوا.

القصي: نزلت في الذين آمنوا برسول الله إقراراً لا تصديقاً، ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الأمر في أهل بيته أبداً، فلما نزلت الآية^(١) وأخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم لأمر المؤمنين ﷺ آمنوا إقراراً لا تصديقاً، فلما مضى رسول الله ﷺ كفروا وازدادوا كفراً^(٢). والعتاشي: عن الباقر ﷺ قال: هما، والثالث، والرابع، وعبدالرحمن، وطلحة، وكانوا سبعة^(٣) (الحديث) وذكر فيه مراتب إيمانهم وكفرهم.

وعن الصادق ﷺ: نزلت في فلان، وفلان، وفلان، آمنوا برسول الله ﷺ في أول الأمر، ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال: من كنت مولاة فعلي مولاة، ثم آمنوا بالبيعة لأمر المؤمنين ﷺ حيث قالوا: بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه، ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقرّوا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهو لا لم يبق فيهم من الإيمان شيء^(٤).

وفي رواية أخرى عنهما ﷺ نزلت في عبدالله بن أبي سرح^(٥) الذي بعثه عثمان إلى مصر، قال: وازدادوا كفراً حتى لم يبق فيه من الإيمان شيء^(٦).

١- وفي نسخة: [الولاية] كما في المصدر. ٢- تفسير القصي: ج ١، ص ١٥٦.

٣- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٧٩، ح ٢٨٦. ٤- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٨١، ح ٢٨٩.

٥- وهو عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان من الرضاعة، ومن جملة من أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة. وذلك لأنه أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى رسول الله، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكة. فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتله أينما وجد حتى لو تعلق بأستار الكعبة، فلما علم ذلك استتر عند عثمان فاستجاره وغيبه حتى جيئ به إلى النبي ﷺ وهو يبايع الناس، فقال: يا رسول الله بايع عبدالله فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي كفت يدي عن مبايعته فيقتله؟ فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليّ يا رسول الله؟ فقال: ان النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين، وأسلم ذلك اليوم، ثم ولّاه عثمان في زمن خلافته مصر سنه خمس وعشرين، ومات سنة ست وثلاثين.

وقيل: بقي إلى زمن معاوية وشهد معه صفين، وتوفي سنة تسع وخمسين.

٦- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١، ح ٢٨٧.

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ
 الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ
 فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا
 سَمِعْتُمْ أَيْتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
 حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ
 الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

وفي أخرى من زعم أن الخمر حرام ثم شرها، ومن زعم أن الزنا حرام ثم زنى، ومن
 زعم أن الزكاة حق ولم يؤدها^(١).

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾: إلى الجنة، لأن بصائرهم عميت
 عن الحق، فلا يتأتى منهم الرجوع إليه.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ﴾: يتعززون بمولاتهم.

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: لا يتعزز إلا من أعزه الله، وقد كتب العزة لأوليائه كما قال
 عز وجل: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»^(٢).

القمي: نزلت في بني أمية حيث حالقوا على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم^(٣).

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن.

﴿أَنْ﴾: أنه.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨١، ح ٢٨٨. ٢ - المنافيق: ٨.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٦.

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ
 نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ
 عَلَيْكُمْ وَمَنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى
 يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: القمي: آيات الله: هم الأئمة (عليهم السلام) (١).

وفي الكافي (٢): عن الصادق (عليه السلام)، والعياشي: عن الرضا (عليه السلام) في تفسيرها: إذا سمعت
 الرجل يجحد الحق، ويكذب به، ويقع في أهله، فقم من عنده ولا تقاعده (٣).

وعن الصادق (عليه السلام): وفرض الله على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن
 يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله، فقال في ذلك: «وقد نزل
 عليكم» الآية قال: ثم استثنى موضع النسيان فقال: «وَأَمَّا نِسْيَانُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ
 الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (٤) (٥).

﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾: في الكفر إذ رضيتم به، وإلا ففي الإثم، لقد رتكم على الإنكار
 والإعراض.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ﴾: القاعدين والمقعود معهم.
 ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾: الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون وقوع أمر بكم.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٦. ٢ - الكافي: ج ٢، ص ٣٧٧، ح ٨، باب مجالسة أهل المعاصي.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨١، ح ٢٩٠. ٤ - الانعام: ٦٨.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٢، ح ٢٩٢، والكافي: ج ٢، ص ٣٣، ح ١، باب في أن الإيمان مبثوث لجوارح
 البدن كلها.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم.

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾: من الحرب.

﴿قَالُوا﴾: للكافرين.

﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾: ألم نغلبكم ونتمكّن من قتلكم فأبقينا عليكم، والاستحواذ: الاستيلاء، وكان القياس أن يقال: ألم نستحذ فجاءت على الأصل.

﴿وَنَنْتَعِمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بأن أخذلناهم عنكم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم، وتوانينا في مظاهرتهم، وكنا عيوناً لكم حتى انصرفوا عنكم، وغلبتموهم فأشركونا فيما أصبتم. قيل: إنما سمي ظفر المسلمين فتحاً، وظفر الكافرين نصيباً: لحسة حظهم، فإنه مقصور على أمر دنيوي سريع الزوال^(١).

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: يفصل بينكم بالحق.

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: بالحجة وإن جاز أن يغلبوهم بالقوة. في العيون: عن الرضا عليه السلام قيل له: إن في سواد الكوفة قوماً يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو، فقال: كذبوا لعنهم الله، إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو، قيل: وفيهم قوم يزعمون أن الحسين بن علي صلوات الله عليهما لم يقتل، وأنه ألقى شبهة على حنظلة بن سعد الشامي، وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام، ويحتجّون بهذه الآية: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» فقال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكذيبهم النبي ﷺ في إخباره بأن الحسين عليه السلام سيقتل، والله لقد قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما، وقتل من كان خيراً من الحسين: أمير المؤمنين، والحسن بن علي عليه السلام، وما منّا إلا مقتول، وأتى والله لمقتول باغتيال^(٢) من يغتالي أعرف ذلك بعهد معهود إلي من رسول الله ﷺ أخبره

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥١.

٢ - الغيلة بالكسر: الاغتيال. يقال: قتله غيلة، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله.

الصالح: ج ٥، ص ١٧٨٧.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى
الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

به جبرئيل عن رب العالمين فأما قوله عز وجل «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» فإنه يقول: لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة، ولقد أخبر الله تعالى عن كفار قتلوا نبين بغير الحق، ومع قتلهم إيتاهم لن يجعل الله لهم على أنبيائه: سبيلاً من طريق الحجة^(١).
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ﴾: مضى تفسيره في أول سورة البقرة.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾: متناقلين كالمكره على الفعل، وقرئ كسالى بالفتح.
﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾: ليخالوهم مؤمنين.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إذ المرأى لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه.
في الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر، فقال الله عز وجل: «يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢).

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾: مرددين بين الإيمان والكفر، من الذبذبة، وهو جعل الشيء

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٥، باب ٤٦ - ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة والرد على الغلاة والمفوضة لعنهم الله.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٥٠١، ح ٢، باب ذكر الله عز وجل في السر.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ
 نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

مضطرباً، وأصله الذب بمعنى الطرد، وقرئ بكسر الذاًل بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم.
 ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾: لا يصيرون إلى المؤمنين بالكلية ولا إلى
 الكافرين كذلك، يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون، ولكن لا يضمرونه كما يضمرون،
 ويضمرون الكفر، كما يضمره الكافرون، ولكن لا يظهره كما يظهرهون.
 ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: طريقاً ومذهباً نظيره قوله تعالى: «وَمَنْ
 لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»^(١).
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:
 فإنه صنيع المنافقين وشعارهم.
 ﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حجة بيّنة فإن موالاته
 الكافرين دليل النفاق.
 ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾: فإن للنار دركات كما أن للجنة
 درجات، سميت بهما لأنها متدركة متتابعة بعضها فوق بعض، والأسفل منها هي التي في قعر
 جهنم، وقرئ الدرك بسكون الراء.
 ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: يخرجهم منه.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ
لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ
اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: عن النفاق.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا من أسرارهم، وأحوالهم في حال النفاق.

﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾: وثقوا به وتمسكوا بدينه.

﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾: لا يريدون بطاعتهم إلا وجهه.

﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من عدادهم في الدارين.

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: فيسأهمونهم فيه.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾: أيتشقى به غيظاً، أو يدفع به

ضراً، أو يستجلب به نفعاً؟ سبحانه هو الغني المتعال عن النفع والضرر، وإنما يعاقب المصّر على

كفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر ونقّى نفسه عنه

تخلص من تبعته وإنما قدّم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهاً ثم يعين

النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به كذا قيل^(١).

﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾: مثيباً يقبل اليسير، ويعطي على القليل الجزيل^(٢).

﴿عَلِيمًا﴾: بحق شكركم وإيمانكم.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٢، س ١٣.

٢- هكذا في الأصل، والأظهر: يعطي الجزيل على القليل.

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ
 سَمِيعاً عَلِيماً ﴿١٤٨﴾ إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْواً قَدِيراً ﴿١٤٩﴾

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾: في الجمع: عن
 الباقر عليه السلام لا يحب الله الشتم في الانتصار إلا من ظلم، فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز
 الانتصار به في الدين (١).
 وفيه: ونظيره «وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ» (٢) (٣).

والقمي: ما يقرب منه قال: وفي حديث آخر في تفسيرها إن جاءك رجل وقال فيك ما
 ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح. فلا تقبله منه وكذبك فقد ظلمك (٤).
 وفي الجمع: عن الصادق عليه السلام أنه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح
 عليه في أن يذكر سوء ما فعله (٥).

والعبّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم فلا
 جناح عليهم فيما قالوا فيه (٦).

وعنه عليه السلام «الْجَهْرُ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ»: أن يذكر الرجل بما فيه (٧).

﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً﴾: لما يجر به من سوء القول.

﴿عَلِيماً﴾: بصدق الصادق، وكذب الكاذب. فيجازي كلاً بعمله.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْراً﴾: تظهروا طاعة وبراً.

٢- الشعراء: ٢٢٧.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٣١.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٧.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٣١.

٦ و ٧- تفسير العبّاشي: ج ١، ص ٢٨٣، ح ٢٩٦ و ٢٩٧.

٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٣١.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ
 اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
 أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا
 وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾

﴿أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ﴾: مع قدرتكم على الانتقام من دون جهر بالسوء من القول وهو المقصود ذكره، وما قبله تمهيد له ولذا رتب عليه قوله:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾: لم يزل يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام، وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملاً على مكارم الأخلاق. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾: بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (١).

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾: تؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض كما فعلته اليهود صدقوا موسى عليه السلام ومن تقدمه من الأنبياء وكذبوا عيسى ومحمداً عليهما السلام، وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه وكذبوا محمداً عليه السلام.

﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بين الإيمان والكفر. ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى الضلالة مع أن الإيمان بالله لا يتم إلا بالإيمان برسله كلهم وتصديقهم فيما بلغوا عنه كله، فالكافر ببعض ذلك كافر بالكل «فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ» (٢).

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾: الكاملون في الكفر.

١ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٣، س ٢، والعبارة مشوشة.

٢ - يونس: ٣٢.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
 أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٦﴾
 يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ
 سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
 الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 أَلْبَيِّنَاتٌ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٧﴾

﴿حَقًّا﴾: تأكيد لئلا يتوهم أن قولهم تؤمن ببعض يخرجهم عن حيز الكفار.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: يهينهم ويذلهم.

القسمي قال: هم الذين أقروا برسول الله ﷺ وأنكروا أمير المؤمنين عليه السلام (١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾: بل آمنوا

بجميعهم.

﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ﴾: نعطيهم.

﴿أَجْرُهُمْ﴾: الموعودة لهم، سمي الثواب أجراً للدلالة على استحقاقهم لها والتصدير،

بسوف للدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر، وقرئ يؤتيهم بالياء.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لم يزل يغفر ما فرط منهم من المعاصي.

﴿رَّحِيمًا﴾: يتفضل عليهم بأنواع الإنعام.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: في المجمع: روي

أن كعب بن الأشرف، وجماعة من اليهود قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ
سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا
غَلِيظًا ١٥٤

جملة كما أتى موسى ﷺ بالتوراة جملة فنزلت (١).

﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾: أي لا يعظم عليك سؤالهم إياك، إنزال الكتاب من السماء، فإنهم سألوا موسى أعظم من ذلك بعد ما آتاهم الآيات (٢) الظاهرة والمعجزات الباهرة، وهذا السؤال وإن كان من آباءهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بذهبهم تابعين لهم، والغرض أن عرفهم (٣) راسخ في ذلك، وإن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم.

﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً.

﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ بظلمهم﴾: بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل.

﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: عبوده.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾: المعجزات الباهرات.

﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾: لسعة رحمتنا.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾: حجة بيّنة تبين عن صدقه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾: الجبل.

﴿بِمِثْقِهِمْ﴾: ليقبلوه.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾: على لسان موسى ﷺ.

﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾: باب حطة.

٢- وفي نسخة: [بالبينات].

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٣٣.

٣- وفي نسخة: [عرفهم راسخ في ذلك].

فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ
بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

﴿سُجِّدَّا وَقُلْنَا لَهُمْ﴾: على لسان موسى وداود.
﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾: لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حرم عليكم.
﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾: على ذلك.
﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾: يعني فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بسبب نقضهم،
و«ما» مزيدة للتأكيد، ويجوز أن يكون «الباء» متعلقة بجرّنا عليهم طيبات متقدمة عليه.
﴿وَكُفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بحججه وأدلّته.
﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: القمّي: قال: هؤلاء لم يقتلوا الأنبياء وإنما قتلهم
أجدادهم فرضي هؤلاء بذلك فألزمهم الله القتل بفعل أجدادهم، وكذلك من رضي بفعل فقد
لزمه وإن لم يفعل^(١).

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أوعية للعلوم أو في أكنة كما مرّ تفسيره.
﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾: فجعلها محجوبة عن العلم، وخذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات، والتذكر بالمواعظ.
﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: منهم أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه.
﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾: بعيسى عليه السلام.
﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾: يعني نسبتها إلى الزنا.

وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

في المجالس: عن الصادق عليه السلام: إن رضى الناس لا يملك، وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا مريم ابنة عمران إلى أنها حملت بعيسى عليه السلام من رجل نجار، اسمه يوسف؟^(١)

﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾: يعني رسول الله بزعمه نظيره^(٢) «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُونَ»^(٣) وذلك لما رفعه الله إليه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾: قد مضى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران عند قوله تعالى «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَنعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ»^(٤).

وقيل: إنما ذمهم الله بما دلَّ عليه الكلام من جرأتهم على الله، وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم^(٥) به لا لقولهم هذا على حسب حساباتهم^(٦).

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: قيل: لما وقعت تلك الواقعة اختلف

١- الأماشي للشيخ الصدوق: ص ٩١-٩٢، المجلس الثاني والعشرون، ج ٣، ص ٢٣.

٢- هكذا في الأصل، والعبارة غير واضحة، والظاهر أن المراد من قوله ﷺ «بزعمه» أي بزعم اليهود بأن عيسى رسول الله استهزاء منهم به، وذلك نظير قوله تعالى: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُونَ».

٣- الشعراء: ٢٧. ٤- آل عمران: ٥٥.

٥- التبجح: الفرح، يقال تبجح بالشيء بالكسر أو بفتح ففتح أي فزحته ففرح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «تبجح».

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٤، س ٢١.

الناس فقال بعض اليهود: أنه كان كاذباً فقتلناه حقاً، وتردد آخرون فقال بعضهم: إن كان هذا عيسى عليه السلام فأين صاحبنا؟ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه أن الله يرفعني إلى السماء: رفع إلى السماء، وقال قوم: صلب الناسوت وصعد اللاهوت^(١).

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾: ولكنهم يتبعون الظن.
 ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: قتلاً يقيناً كما زعموه، أو تأكيد لنفي القتل يعني حقاً.
 ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: رد وإنكار لقتله، واثبات لرفعه.

في الفقيه: عن السجاد عليه السلام: إن لله بقاعاً في سماواته فن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه، ألا تسمع الله يقول في قصة عيسى بن مريم: «بل رفعه الله إليه»^(٢).
 القمي: رفع وعليه مدرعة من صوف^(٣).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: رفع عيسى بن مريم بمدرعة صوف من غزل مريم، ومن نسج مريم، ومن خياطة مريم، فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى ألق عنك زينة الدنيا^(٤).
 وفي الإكمال عن النبي صلى الله عليه وآله أن عيسى بن مريم أتى إلى بيت المقدس فكث يدعوهم ويرغبهم فيما عند الله ثلاثة وثلاثين سنة حتى طلبته اليهود وادّعت أنها عذّبتة ودفنته في الأرض حياً، وادّعى بعضهم أنهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه، ولا على قتله وصلبه، لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله تعالى ولكن: «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» بعد أن توفّاه^(٥).
 وقد سبق صدر هذا الحديث في سورة آل عمران^(٦).

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٥.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٢٧، ذيل ح ٦٠٣ / ٤، باب ٢٩- فرض الصلاة.

٣- تفسير القمي: ج ١، ٢٢٤. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٥٣.

٥- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ح ٢٠، الباب الثاني والعشرون «ان الارض لا تخلو من حجة

لله عزوجل على خلقه إلى يوم القيامة». ٦- ذيل الآية: ٥٥ من سورة آل عمران.

وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: لا يغلب على ما يريد.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبره لعباده.

﴿وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قيل: يعني ما من اليهود والنصارى أحد، إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدالله ورسوله قبل أن يموت، ولو حين تزهر روحه، ولا ينفعه إيمانه ^(١) وبه رواية عنهم ^(٢).

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: فيشهد على اليهود بالكذب، وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله.

القمي: عن شهر بن حوشب، قال: قال لي الحجاج: يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيها الأمير آية آية هي؟ فقال: «وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» واللّه لأنّي أمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفثيه حتّى يحمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي عليه السلام، قال: ويحك أتى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدّثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال: جئت بها من عين صافية ^(٣). قال القمي: وروي أنّ رسول الله ﷺ إذا رجع آمن به الناس كلّهم ^(٤).

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٥؛ وراجع تفسير أبي السعدي: ج ٢، ص ٢٥٢.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٨. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٨.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٨.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ
وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

والعياشي: عن الباقر عليه السلام في تفسيرها ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه حقاً من الأولين والآخرين ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: إنما إيمان أهل الكتاب إنما هو بمحمد صلى الله عليه وآله ^(٢).

وفي المجمع: في أحد معانيها ليؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابي، قال: ورواه أصحابنا ^(٣).

وفي الجوامع: عنها عليه السلام: حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمداً وعلياً عليه السلام ^(٤). والأخبار في هذا المعنى كثيرة ^(٥).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: هذه نزلت فينا خاصة إنه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقرّ للإمام وبإمامته كما أقرّ ولد يعقوب ليوסף حين قالوا: «تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا» ^(٦) ^(٧).

أقول: يعني أنّ ولد فاطمة هم المعنيون بأهل الكتاب هنا، وذلك لقوله سبحانه: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» ^(٨) فاتّهم المرادون بالمصطفين هناك كما يأتي ذكره عنده تفسيره.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: فبظلم عظيم منهم.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٠٣. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٠١.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٣٧- ١٣٨. ٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٠٢.

٥- راجع الكافي: ج ٣، باب ما يعاين المؤمن والكافر، ح ١ و ٢ و ٣ و ٦ و ٨. وغير ذلك: أقول: لما حضر وفاة جدي كان آخر كلامه أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمة الأطهار واحداً بعد واحد واضعاً يده على صدره احتراماً لهم. فهذا دليل على رؤيتهم صلوات الله عليهم. اللهم أمتنا على محبتهم ولقنا نظرة وسرورا.

٦- يوسف: ٩١. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٣- ٢٨٤، ح ٣٠٠. ٨- فاطر: ٣٢.

وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٦١﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً ﴿١٦٢﴾

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾: قيل: هي التي ذكرت في الأنعام في قوله سبحانه: «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ» (١) الآية (٢).

في الكافي (٣)، والعياشي (٤)، والقمي: عن الصادق: من زرع حنطة في أرض ولم يزك زرعه فخرج زرعه كثير الشعير فيظلم عمله في ملك رقية الأرض أو يظلم لمزارعيه وأكرته لأن الله يقول: «فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» يعني لحوم الإبل والبقر والغنم (٥).

﴿وَبِضَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾: بالرشوة وغيرها من الوجوه المحرمة. أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾: دون من تاب وآمن.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾: قيل: يعني ويؤمنون بالمقيمين الصلاة يعني الأنبياء (٦).

١- الانعام: ١٤٦. ٢- الكشف: ج ١، ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٣٠٦، ح ٩، باب النوادر. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٠٤.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٨.

٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٤٠. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٦.

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ
زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

وقيل: بل نصب على المدح^(١)، وقرئ في الشواذ بالرفع^(٢).

﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾: لجمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾: قيل: هذا

جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، واحتجاج عليهم بأن

أمره في الوحي كسائر الأنبياء الذين تقدموه^(٣).

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى

وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾: وقرئ بضم الزاي.

﴿وَرُسُلًا﴾: وأرسلنا رسلاً.

﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ

١ - قاله الطبرسي في تفسيره جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٠٣، وهكذا قاله البياض في تفسيره أنوار التنزيل:

ج ١، ص ٢٥٦.

٢ - القاري هو نافع، كما ذكره البياض في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٦.

٣ - قاله البياض في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٦. وراجع جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٠٣.

مُوسَى تَكْلِيماً: قيل: وهو منتهى مراتب الوحي خصَّ به موسى من بينهم، وقد فضّل الله به محمداً ﷺ بأن أعطاه مثل ما أعطى كلّ واحد منهم^(١). العياشي: عنهما عليه السلام: «إِنَّا أُوحِيَنا إِلَيْكَ كَمَا أُوحِيَنا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» فجمع له كلّ وحي^(٢).
وفي الكافي: عن النبي ﷺ أعطيت السور الطوال^(٣) مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصل ثمان وستون سورة^(٤).

١- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٦.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣٠٥. وفيه: «إِنِّي أُوحِيتُ إِلَيْكَ كَمَا أُوحِيتُ إِلَى نُوحٍ».

٣- الطوال: جمع الطوالي تأنيث الأطول، وإِنَّمَا سَمَّيْتُ هَذِهِ السُّورَ «الطَّوَالَ» لِأَنَّهَا أَطْوَلُ سُورِ الْقُرْآنِ. وهي البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والاعراف، والأنفال مع التوبة لِأَنَّهَا تَدْعِي الْقَرِيبَتَيْنِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَفْضَلَ بَيْنَهُمَا بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

وَأَمَّا الْمَثَانِي: فَهِيَ السُّورُ التَّالِيَةُ لِلسَّعِ الطَّوَالَ. فَأُولَٰهَا سُورَةُ يُونُسَ وَآخِرُهَا سُورَةُ النُّحْلِ. وَإِنَّمَا سَمَّيْتُ مَثَانِي لِأَنَّهَا ثَنِيَّتُ الطَّوَالَ. أَيُ تَلْتَهَا فَكَأَنَّ الطَّوَالَ هِيَ الْمَبَادِي وَالْمَثَانِي لَهَا ثَوَانِي، وَوَاحِدُهَا مَثْنٍ مِثْلُ الْمَعْنَى وَالْمَعَانِي.
وقيل: المثنائي سور القرآن كلّها طوالها وقصارها من قوله تعالى في سورة الزمر: ٢٣، «كَتَابًا مَثْبُتًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ».

ووجه التسمية: أَنَّ اللَّهَ ثَنَى فِيهَا الْحُدُودَ وَالْأَمْثَالَ وَالْفَرَائِضَ.

وقيل: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْمَثَانِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» الْحَجَرُ ٨٧. هُوَ الْحَمْدُ، وَهُوَ الْمُرَوِّى عَنْ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمَّا الْمُؤُونُ: فَهِيَ كُلُّ سُورَةٍ تَكُونُ نَحْوًا مِنْ مِائَةِ آيَةٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ أَوْ دُونَهُ وَهِيَ سَبْعٌ: أُولَٰهَا سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَآخِرُهَا الْمُؤْمِنُونَ.

وقيل: إِنَّ الْمَثِينَ: مَا وَلَى السَّعِ الطَّوَالَ، ثُمَّ الْمَثَانِي بَعْدَهَا، وَهِيَ الَّتِي تَقْصُرُ عَنِ الْمَثِينَ وَتَزِيدُ عَلَى الْمَفْضَلِ وَسَمَّيْتُ الْمَثَانِي لِأَنَّ الْمَثِينَ مِبَادِيهَا.

وَأَمَّا الْمَفْضَلُ: فَمَا بَعْدَ الْحَوَامِمِ مِنْ قِصَارِ السُّورِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ.

وسمّيت مفصلاً لكثرة الفصول بين سورها بـ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» راجع مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٤.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٠، باب فضل القرآن.

وفيه^(١)، وفي الإكمال^(٢)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام وكان بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ» يعني لم يسمّ المستخفين كما سمي المستعلنين من الأنبياء^(٣).

وفي الخصال: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّ الله ناجى موسى عليه السلام بمائة ألف كلمة، وأربعة وعشرين ألف كلمة في ثلاثة أيّام ولياليهنّ، ما طعم فيها موسى عليه السلام ولا شرب فيها، فلما انصرف إلى بني إسرائيل وسمع كلامهم مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام الله عزّ وجلّ^(٤).

وفي التوحيد: عن الكاظم عليه السلام في حديث فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام إنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتى يسمعه من جميع الوجوه^(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: كلّم الله موسى تكليماً بلا جوارح وأدوات وشفة ولا لهوات^(٦) سبحانه وتعالى عن الصفات^(٧).

١ - الكافي: ج ٨، ص ١١٥، ح ٩٢، حديث آدم مع الشجرة. وفيه: «يعني لم اسم المستخفين كما سميت المستعلنين من الأنبياء».

٢ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٥، قطعة من ح ٢ س ١٢، باب ٢٢، اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام وأن الأرض لا تخلو من حجة لله عزّ وجلّ على خلقه إلى يوم القيامة. وفيه: «يعني من لم يسمّهم من المستخفين كما يسمى المستعلنين».

٣ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣٠٦. وفيه: «يعني لم اسم المستخفين كما سميت المستعلنين».

٤ - الخصال: ص ٦٤١، ٦٤٢، ح ٢٠، باب ما بعد الألف «ناجى الله تعالى موسى عليه السلام بمائة ألف كلمة وأربعة وعشرين ألف كلمة».

٥ - التوحيد: ص ١٢١، ح ٢٤، س ١٣، باب ٨ - ما جاء في الرؤية.

٦ - اللهوات: جمع لهاء - كحصاة - وهي سقف الفم، وقيل: هي اللحمية الحمراء المتعلقة في أصل الحنك. بمجمع البحرين: ج ١، ص ٣٨٥، مادة «هأ». ٧ - التوحيد: ص ٧٩، قطعة من ح ٣٤، باب ٢ - التوحيد ونبي التشبيه.

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
 بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ
 بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ
 شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

وعنه عليه السلام في حديث وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات وكلام الله ليس بنحو واحد منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ، فهو كلام الله، فاكثف بما وصفت لك من كلام الله فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد، فإن منه ما تبلغ رسل السماء رسل الأرض ^(١).

وفي الإحتجاج: في مكالمة اليهود النبي صلى الله عليه وآله قالوا: موسى خير منك قال: ولم؟ قالوا: لأن الله عز وجل كلمه أربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك، قالوا: وما ذاك؟ قال: قوله عز وجل: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا» ^(٢) الآية ^(٣) ويأتي تمام الحديث في سورة بني إسرائيل إن شاء الله.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾: فيقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم.
 ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: لا يغلب فيما يريد.

﴿حَكِيمًا﴾: فيما دبر.

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: قيل: لما نزلت «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» قالوا: ما

١- التوحيد: ص ٢٦٤، ح ٣ س ١٥، باب ٣٦ الرد على الثنوية والزنادقة.

٢- الاسراء: ١.

٣- الإحتجاج: ج ١، ص ٥٥ - ٥٦، إحتجاجة صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا
 بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ
 وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

نشهد لك بهذا. فنزلت (١).

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾: بآنك مستأهل له.

﴿وَأَلَمَّتْ كُفْرَهُمْ يَتَشَدَّدُونَ﴾: أيضاً.

﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: وإن لم يشهد غيره.

القمي: عن الصادق عليه السلام: إنما أنزلت «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» في علي الآية (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾: لأنهم

جمعوا بين الضلال والإضلال، ولأن المضل يكون أغرق في الضلال، وأبعد من الإنقلاص عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾: جمعوا بينها.

﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾: إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: في الكافي (٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال:

نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حَقَّهُمْ لَمْ

يَكُنِ اللَّهُ» الآية (٤).

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٧، س ١.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٩.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤٢٤، ح ٥٩، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣٠٧.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا
 خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي
 دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ
 وَاحِدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٨﴾

والقمتي: قرأ أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ» الآية (١).
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾:
 إيماناً خيراً لكم، أو أتوا أمراً خيراً لكم، أو يكن الإيمان خيراً لكم.
 ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾:
 في الكافي (٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: «قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ» في ولاية علي
 فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا بولاية علي (٣) الآية.
 ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾: غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى
 رموه بأنه ولد لغير رشده، والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلهاً.

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٩.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤٢٤، ذيل ح ٥٩، باب فيه نكت و تنف من التنزيل في الولاية.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣٠٧.

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: يعني تنزيهه عن الشريك، والصاحبة، والولد.
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾:
أوصلها إليها، وحصلها فيها.

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: صدرت منه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: أنه سئل عنها؟ قال: هي روح مخلوقة خلقها الله في آدم وعيسى (١).

وفي التوحيد: عن الباقر عليه السلام: روحان مخلوقتان اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى عليه السلام (٢).

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وِرْثَهُ وَلَا تَقُولُوا: الْآلَهُ.

﴿ثَلَاثَةٌ﴾: الله، والمسيح، ومريم، كما يدلّ عليه قوله تعالى «أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» (٣).

﴿أَنْتَهُوا﴾: عن التثليث.

﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾: مر نظيره.

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: وحدة حقيقية لا يتطرق إليها نحو من أنحاء الكثرة والتعدد أصلاً.

﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾: سُبْحَهُ تسبيحاً من أن يكون له ولد، كيف والولد

لابدّ أن يكون مماثلاً للوالد تعالى الله أن يكون له مماثل ومعادل.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: ملكاً وملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من

ذلك فيتخذه ولداً.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: تنبيهاً على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه إنما تكون ليكون

وكيلاً لأبيه، والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء، كاف في ذلك، مستغن عمّن يخلفه أو يعينه.

١ - الكافي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٢، باب الروح.

٢ - التوحيد: ص ١٧٢، ح ٤، باب ٢٧ - معنى قوله عزّ وجلّ ونفخت فيه من روحي.

٣ - المائدة: ١١٦.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
 إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ
 اسْتَنْكَفَوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾: لن يأنف.

﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾: لأن عبودية الله شرف يباهي به وإنما المذلة والإستنكاف في عبودية غيره، وروي أن وفد نجران قالوا للرسول الله ﷺ: لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد الله، قال: إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله، قالوا: بلى. فنزلت (١).

﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله. ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾: ويرفع عنها والإستكبار دون الإستنكاف وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق كما هو في الله سبحانه.

﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾: المستنكف، والمستكبر، والمقر بالعبودية، فيجازيهم على حسب أحوالهم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ
فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾

فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا: ظاهر المعنى.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾:

قيل: البرهان: رسول الله، والنور: القرآن^(١).

وقيل: البرهان: المعجزات، والنور: القرآن، أي جاءكم دلائل العقل، وشواهد النقل،

ولم يبق لكم عذر ولا علة^(٢).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: النور: ولاية علي صلوات الله وسلامه عليه^(٣).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾: ثواب

مستحق.

﴿وَفَضْلٍ﴾: وإحسان زائد عليه.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى﴾: أي إلى الله أو إلى الموعد من الرحمة والفضل.

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: قد مضى تحقيق معنى الصراط في سورة الفاتحة.

العياشي: عن الصادق عليه السلام: البرهان: محمد، والنور: علي، والصراط المستقيم: علي

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٥٩٨. وراجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٩.

٢- قاله البياضي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٩.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٤٧.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُوا هَلَكَ لَيْسَ
لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً
رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ
تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

١٧٦

صلوات الله عليه (١).

والقَمِي: النور: إمامة أمير المؤمنين، والإعتصام: التمسك بولايته وولاية الأئمة عليهم السلام بعده (٢).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾: أي في الكلالة كما يدل عليه الجواب، روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي كلاله فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت (٣).

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾: قد مضى تفسيرها في أول السورة.
﴿إِنْ أَمْرُوا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾: أي أخت لأُم وأب، أو أخت لأب، كذا عن الصادق عليه السلام (٤) كما مر.

﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا﴾: أي والمرء يرث أخته جميع ما لها إن كانت الأخت هي الميتة.

﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾: ولا والد لأن الكلام في ميراث الكلالة، ولأن السنة دلت

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٣٠٨. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٩.

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٩. وجوامع الجامع، ج ١، ص ٣٠٦.

٤- الكافي: ج ٧، ص ١٠١، قطعة من ح ٣، باب ميراث الاخوة والاخوات مع الولد.

على أن الإخوة لا يرثون مع الأب كما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام.

﴿فَإِنْ كَانَتْ أُنثَىٰ﴾: الضمير لمن يرث الإخوة.

﴿فَلَهَا الثَّلَاثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ

الْأُنثَىٰ﴾: القمّي: عن الباقر عليه السلام: إذا مات الرجل وله أخت تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذ البنت لو كانت، والنصف الباقي يرد عليها بالرحم إذا لم يكن للميّت وارث أقرب منها فإن كان موضع الأخت أخ أخذ الميراث كلّ بالآية لقول الله تعالى: «وهو يرثها إن لم يكن لها ولد» فإن كانت اختين أخذتا الثلثين بالآية والثلث الباقي بالرحم، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين وذلك كلّ إذا لم يكن للميّت ولد وأبوان أو زوجة^(١) ومضمون هذا الخبر مروي في كثير من الأخبار المعصوميّة المرويّة في الكافي^(٢) وغيره^(٣).

﴿يُيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾: قيل: أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا

خليتم وطبائعكم لتحترزوا عنه، وتتحروا خلافة أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلّوا أو لثلاث تضلّوا^(٤).

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: فهو عالم بمصالح العباد والمخيا والمهمات.

قيل: هي آخر آية نزلت في الأحكام^(٥).

في ثواب الأعمال^(٦) والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام من قرأ سورة النساء في كلّ جمعة أو من من ضغطة القبر إن شاء الله تعالى^(٧).

١- تفسير القمّي: ج ١، ص ١٥٩ - ١٦٠.

٢- راجع الكافي: ج ٧، ص ١٠١، ح ١، وص ١٠٢، ح ٤، وص ١٠٤، ح ٧.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٤٣٤، باب ١ من أبواب ميراث الأبوين والأولاد.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦٠، س ١.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٥٩، س ١٢.

٦- ثواب الأعمال: ص ١٠٥، ثواب من قرأ سورة النساء في كلّ جمعة.

٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢١٥، ح ١.

سورة المائدة

1871

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُثْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلَّى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ
اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ

سورة المائدة: هي مدنيّة في قول ابن عباس ومجاهد، وقيل: هي مدنيّة كلّها إلّا قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^(١) فإنّه نزل في حجة الوداع^(٢)، وهي مائة وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: القميّ: عن الصادق عليه السلام أي بالعهود^(٣).
أقول: الإيفاء والوفاء بمعنى، والعقد: العهد الموثق ويشمل هاهنا كلّ ما عقد الله على عباده وألزمه إيتاءهم من الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وأوصياء رسله، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه، والإتيان بفرائضه وسننه، ورعاية حدوده، وأوامره، ونواهيه، وكلّ ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله، وفيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات الغير المحظورة.
والقميّ: عن الجواد عليه السلام إنّ رسول الله ﷺ عقد عليهم لعلي عليه السلام بالخلافة في عشر مواطن،

١- المائدة: ٣.

٢- قاله جعفر بن مبشر والشعبي كما جاء في مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٠.

٣- تفسير القميّ: ج ١، ص ١٦٠.

ثم أنزل الله «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» التي عقدت عليكم لأمر المؤمنين ﷺ^(١).
«أَحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ»: قيل: إضافة بيان أريد بها الأزواج الثمانية^(٢).
 والمستفاد من ظاهر الأخبار أن بيان حل الأنعام في آيات أخر. والمراد هنا: بيان حل
 الأجنّة التي في بطونها.

في الكافي^(٣)، والتهذيب^(٤)، والفقيه^(٥)، والعيّاشي: عن أحدهما ﷺ في تفسيرها:
 الجنين في بطن أمّه إذا أشعر وأوبر، فذكاته ذكاة أمّه^(٦)، وزاد في الكافي^(٧)، والقمّي: فذلك الذي
 عنى الله عزّ وجلّ به^(٨). وفي رواية: وإن لم يكن تامّاً فلا تأكله^(٩).

والعيّاشي: عن الباقر ﷺ هي الأجنّة التي في بطون الأنعام، وقد كان أمير المؤمنين ﷺ
 يأمر ببيع الأجنّة^(١٠).

أقول: لعلّ هذا يكون أحد معانيها، ويحتمل أن يكون المراد بهذه الأخبار بيان الفرد
 الحفي^(١١)، أو يكون تحديد الأوّل تسميتها بالبهيمة وحلّها فلا ينافي التعميم مع أنّه نصّ في حلّ
 الأم.

والعيّاشي: عنه ﷺ إنّ عليّاً ﷺ سئل عن أكل لحم الفيل، والدب، والفرد؟ فقال: ليس
 هذا من بهيمة الأنعام التي تؤكل^(١٢).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٠. ٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦٠.

٣- الكافي: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ١، باب الأجنّة التي تخرج من بطون الذبائح.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٥٨، ح ٢٤٤ / ٢٤٤، باب ١- الصيد والذكاة.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٠٩، ح ٩٦٦ / ٥٦، باب ٩٦- الصيد والذبائح.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٠، ح ١١.

٧- الكافي: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ١، باب الأجنّة التي تخرج من بطون الذبائح.

٨- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٠.

٩- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٠٩، ح ٩٦٥ / ٥٥، باب ٩٦- الصيد والذبائح.

١٠- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ح ١٠.

١١- وفي نسخة: [الفرد الأخفى]. ١٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٠، ح ١٢.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ
وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْآلِفَتِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن
تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه.

﴿غَيْرَ مُحِلَّى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: قيل: يعني أحلت لكم في حال امتناعكم من
الصَّيْدِ وأنتم محرمون لئلا يتحرَّج عليكم (١).

أقول: وهو لا ينافي عموم حلها سائر الأحوال.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾: من تحليل وتحريم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾: لا تتهاونوا بمحرمات الله، جمع

شعيرة، وهي ما جعله الله شعار الدين، وعلامته من أعمال الحج وغيرها.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: بالقتال فيه، في المجمع: عن الباقر عليه السلام: نزلت في رجل من بني

ربيعة، يقال له: الحطم (٢).

أقول: يعني حين قدم حاجاً وأراد المسلمون قتله في أشهر الحرم لكفره وبغيه، وكان

١ - قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٦٠١.

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٣. والمراد من الحطم: الراعي الظلوم للماشية كما ورد في هامش مجمع

البيان: ص ١٥٣.

قد استاق^(١) سرح^(٢) المدينة.

قيل: هي منسوخة بقوله تعالى: «أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^(٣)(٤).

وفي الجمع: عنه عليه السلام لم ينسخ من هذه السورة، شيء ولا من هذه الآية لأنه لا يجوز أن يبتدي المشركون في الأشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا^(٥).

﴿وَلَا أَهْدِي﴾: ما أهدي إلى الكعبة.

﴿وَلَا أَقْلَسِدْ﴾: ما قلّد به الهدى من نعل قد صلى فيه أو غيره ليعلم به أنه هدي فلا

يتعرض له.

﴿وَلَا آمِنَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ﴾: قاصدين لزيارته.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾: أن يشبههم من فضله، ويرضى عنهم، أو

يرزقهم بالتجارة ويرضى عنهم بنسكهم بزعمهم، والمقصود النهي عن التعرض هؤلاء، وقرئ رضواناً بضم الراء.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾: من إحرامكم.

﴿فَاصْطَادُوا﴾: إن شئتم.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنكم أو لا يكسبنكم.

﴿شَتَانُ قَوْمٍ﴾: شدة بغضهم وعدوانتهم، وقرئ بسكون النون.

﴿أَن صَدُّوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: صدوكم: يعني عام الحديبية، وقرئ بكسر

الهمزة.

﴿أَن تَعْتَدُوا﴾: بالانتقام.

١ - وساق الماشية سوقاً وسياقة ومساقاً، واستاقها: فهو سائق، القاموس المحيط: ج ٣، ص ٢٤٧. مادة «ساق».

٢ - السرح: المال الساتم، سوم المال. القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٢٧. مادة «سرح».

٣ - التوبة: ٥.

٤ - نسب هذا القول الطبرسي إلى أكثر المفسرين في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٥، س ١١.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٥، س ١١.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَكُمْ فِسْقُ الْيَوْمِ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾: على العفو والإغضاء، ومتابعة الأمر، ومجانبة
الهُوى.

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: للتشقي، والإنقاذ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: فانتقامه أشد.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾: بيان لما يتلى عليكم.

﴿وَالْدَّمُ﴾: أي المسفوح منه لقوله تعالى: «أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا»^(١)، قيل: كانوا في

الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها^(٢).

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾: وإن ذكي، وإنما خص بالذكر دون الكلب وغيره لإعتيادهم أكله

دون غيره.

﴿وَمَا أَهْلَ﴾: رفع الصوت.

١- الأنعام: ١٤٥.

٢- راجع مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٧؛ والكشاف: ج ١، ص ٦٠٣.

﴿لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه.
 ﴿وَالْمُنْحَقَّةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ﴾: في العيون: عن الباقر عليه السلام: في تفسيرها: «الميتة والدم ولحم الخنزير»: معروف، «وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ»: يعني ما ذبح للأصنام، وأما «المنخقة»: فإن المجوس كانوا لا يأكلون الذبائح ويأكلون الميتة، وكانوا يخنقون البقر والغنم، فإذا انخنقت وماتت أكلوها، «والموقودة»: كانوا يشدون أرجلها ويضربونها حتى تموت، فإذا ماتت أكلوها، «والمتردية»: كانوا يشدون أعينها ويلقونها من السطح، فإذا ماتت أكلوها، «والنطيحة»: كانوا يناطحون بالكباش ^(١) فإذا مات أحدها أكلوه، «وما أكل السبع إلا ما ذكيتم»: فكانوا يأكلون ما يأكله الذئب والأسد فحرّم الله عزّ وجلّ ذلك، «وما ذبح على النصب»: كانوا يذبحون لبيوت النيران، وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخر فيذبحون لها، «وأن تستقيموا بالأزلام ذلكم فسق»: قال: كانوا يعمدون إلى الجزور فيجزّونه عشرة أجزاء، ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام فيدفعونها إلى رجل، وهي عشرة سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، فالتى لها أنصباء فالفذ، والتوأم، والمسبل، والنّافس، والحلس، والرقيب، والمعلّى، فالفذ: له سهم، والتوأم: له سهمان، والمسبل: له ثلاثة أسهم، والنّافس: له أربعة أسهم، والحلس: له خمسة أسهم، والرقيب: له ستة أسهم، والمعلّى: له سبعة أسهم، والتي لا أنصباء لها السفّيح، والمنيح، والوغد، وثن الجزور على من لم يخرج له من الأنصباء شيء وهو القمار فحرّمه الله ^(٢)، والقمي مثله ^(٣).
 وفي الفقيه ^(٤)، والتهديب: عن الجواد عليه السلام ما يقرب منه، إلا أنّه قال: «والموقودة» التي

١- الكبش: واحد الكباش والأكبش. الصحاح: ج ٣، ص ١٠١٧، مادة «كبش».

٢- لم نعرّ عليه في العيون، والظاهر أنّه سهو من قلّمه الشريف. نعم أخرجه الصدوق رحمته الله في الخصال: ص ٤٥١، ح ٥٧، باب ١٠- الأزلام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها: عشرة.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦١-١٦٢.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٦-٢١٨، ح ١٠٠٧/٩٧، باب ٩٦- الصيد والذبائح.

مرضت ووقدّها المرض حتى لم تكن بها حركة، قال عليه السلام: وكانوا في الجاهليّة يشترّون بغيراً فيما بين عشرة أنفس ويستقسمون عليه بالقداح، ثمّ ذكر أسماؤها السبعة والثلاثة كما ذكر، قال: وكانوا يحيلون السهام^(١) بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم من التي لا أنصاء لها ألزم ثلث ثمن البعير فلا يزالون كذلك حتّى تقع السهام الثلاثة التي لا أنصاء لها إلى ثلاثة منهم فيلزمونهم ثمن البعير ثمّ ينحرونه، ويأكله السبعة الذين لم ينقدوا في ثمنه شيئاً ولم يطعموا منه الثلاثة الذين أنقدوا ثمنه شيئاً فلما جاء الإسلام حرّم الله تعالى ذكره ذلك فيما حرّم، فقال عزّ وجلّ: «وَأَنْ تَسْتَقِيمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِسْقٌ»، يعني حرام^(٢).

أقول: معنى تجزئته عشرة أجزاء اشتراؤه فيما بين عشرة أنفس كما ذكر في حديث الجواد عليه السلام لا تجزئة لحمه، والإنصاء جمع نصيب، والفداء والذال المعجمة المشدّدة^(٣)، والتوأم: بالتاء المثناة فوقانيّة والهمزة^(٤)، والمسبل: كمحسن بالسين المهملة والباء الموحدة^(٥)، والثّافس: بالتّون والفاء والسين المهملة^(٦)، والجلس: بكسر الحاء وسكون اللّام والسين المهملة، وقد يحرك^(٧)، والرقيب: بالراء والقاف على وزن فاعيل^(٨)، والمعلّى: بضم الميم وسكون العين وفتح اللّام^(٩)، والسفيح: بالسين المهملة والفاء والحاء المهملة، على وزن

١- وفي نسخة: [يحيلون] كما في الفقيه.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٨٣ - ٨٤، ح ٨٩ / ٣٥٤، باب ٢ - الذبائح والأطعمة. وفيه: «الذين وفروا ثمنه».

٣ - الفذ: الواحد وجمعه فذوذ. قال أبو زيد: وأفذت الشاة بالآلف: إذا ولدت واحداً في بطن. المصباح المنير: ص ٤٦٥.

٤ - التوأم: اسم لولد يكون معه آخر في بطن واحد. المصباح المنير: ص ٧٨.

٥ - المسبل: السادس من سهام الميسرة. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٢٤. مادة «سبل».

٦ - الثافس: الخامس من سهام الميسر، ويقال هو الرابع. الصحاح: ج ٣، ص ٩٨٤، مادة «نفس».

٧ - المجلس: الرابع من سهام الميسر. الصحاح: ج ٣، ص ٩١٩، مادة «جلس».

٨ - الرقيب: الحافظ وهو الثالث من سهام الميسر. الصحاح: ج ١، ص ١٣٧، مادة «رقيب».

٩ - المعلّى يفتح اللام: السابع من سهام الميسر. الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٣٧.

فعليل^(١) كالمنيح بالتّون والحاء المهملة^(٢)، والوغد: بالواو والغين المعجمة والدال المهملة^(٣).
وقيل: معنى الإستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسّم لهم بالأقداح، يعني السهام،
وذلك أنّهم إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر
نهاني ربي، وعلى الثالث غفّل، فإنّ خرج الأمر مضوا على ذلك، وإن خرج الناهي تجنّبوا عنه،
وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً^(٤).

وفي بعض الأخبار إيماء إلى ذلك كما يأتي في أواخر السورة.
ويمكن التوفيق بالتعميم، وقوله تعالى: «إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ» يرجع إلى جميع ما تقدم ذكره من
المحرّمات سوى ما لا يقبل الزكاة من الخنزير، والدم، كذا في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٥).
والعياشي: عن الرضا عليه السلام المتردية، والنّطيحة، وما أكل السبع إذا أدركت ذكاته فكله^(٦).
وفي المجمع: عن الباقر، والصادق عليها الصلاة والسلام إن أدنى ما يدرك به الزكاة أن
يدركه وهو يحرك أذنه أو ذنبه أو يطرف عينيه^(٧).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في كتاب علي عليه السلام إذا طرفت العين أو ركضت الرجل أو
تحركت الذنب فكل منه فقد أدركت ذكاته^(٨)، وفي معناه أخبار أخرى.
﴿الْيَوْمَ﴾: الآن.

﴿يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾: انقطع طمعهم من دينكم أن تتركوه وترجعوا
منه إلى الشرك، القمّي: قال: ذلك لما نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام^(٩).

١ - السفّيح: سهم من سهام الميسر ممّا لا نصيب له. الصحاح: ج ١، ص ٣٧٥.

٢ - المنيح: سهم من سهام الميسر ممّا لا نصيب له إلّا أن يمنع صاحبه شيئاً. الصحاح: ج ١، ص ٤٠٨، مادة «منع».

٣ - الوغد: قح من سهام الميسر لا نصيب له. الصحاح: ج ٢، ص ٥٥٢، مادة «وغد».

٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦٢. وراجع الكشف: ج ١، ص ٦٠٤.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٨. ٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٢، ح ١٧.

٧ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٥٧. ٨ - الكافي: ج ٦، ص ٢٣٢، ح ٣، باب إدراك الزكاة.

٩ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٢.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: أن يظهرُوا على دين الإسلام ويردّوكم عن دينكم.

﴿وَأَخْشَوْنِي﴾: إن خالفتُم أمري أن تحلّ بكم عقوبي.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِيناً﴾: في الجمع: عنهما ﷺ، إنما أنزلت بعد أن نصب النبي ﷺ عليّاً ﷺ علماً للأنام يوم غدٍ
خم عند منصرفه عن حجة الوداع، قالوا ﷺ: وهي آخر فريضة أنزلها الله ثم لم تنزل بعدها
فريضة (١).

وفي الكافي: عن الباقر ﷺ، الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر
الفرائض، فأنزل الله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»، قال: لا أنزل بعده هذه فريضة، قد أكملت
لكم الفرائض (٢). والعياشي (٣)، والقمي: عنه ما يقرب منه (٤).

أقول: وإنما أكملت الفرائض بالولاية لأن النبي ﷺ أنهى جميع ما استودعه الله من
العلم إلى علي صلوٰت الله عليه، ثم إلى ذريته الأوصياء واحداً بعد واحد، فلما أقامهم مقامه
وتكّن الناس من الرجوع إليهم في حلالهم وحرامهم واستمرّ ذلك بقيام واحد به بعد واحد
كمل الدين وتمّت النعمة والحمد لله، وقد ورد هذا المعنى بعينه عنهم ﷺ، ويأتي ما يقرب منه في
خطبة الغدير إن شاء الله.

﴿فَمَنْ أَضْطَرُّ﴾: متصل بذكر المحرمات وما بينها إعتراض، والمعنى: فمن اضطر إلى

تناول شيء من هذه المحرمات.

﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: في مجاعة.

﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾: غير مائل.

﴿لَّا تُمْ﴾: والقمي: عن الباقر ﷺ غير متعمّد لإثم (٥).

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٥٩، س ١٤.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٤، باب ما نص الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة ﷺ واحداً فواحداً.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٣، ح ٢١ و ٢٢. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٢.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٢.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا
أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ



أقول: وذلك بأن يأكلها تلذذاً أو مجاوزاً أحد الرخصة، وهذا كقوله سبحانه: «غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ»، وقد مضى تفسيرهما في سورة البقرة^(١).

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يؤاخذ به بأكله.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ﴾: كأنهم لما تلى عليهم ما حرّم عليهم سألوا عما أحلّ لهم.
﴿لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُتُ﴾: قيل: ما لم يستخبثه الطباع السليمة، ولم تتنفر عنه^(٢).

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾: أي صيدهن وهي كواسب الصيد على أهلها من السباع والطيور.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مؤدبين لها، والمكلب مؤدّب الجوارح ومغريها بالصيد مشتق من الكلب، في الكافي^(٣)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام في كتاب علي عليه السلام في قول الله تعالى: «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ»، قال: هي الكلاب^(٤).

وعنه عليه السلام إذا أرسلت بازاً أو صقراً أو عقاباً فلا تأكل حتى تدركه فتذكيه وإن قتل

١- البقرة: ١٧٣.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦٢، س ٢٣.

٣- الكافي: ج ٦، ص ٢٠٧، ح ١، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٢، ح ٨٨ / ٨٨، باب ١ - الصيد والذكاة.

فلا تأكل^(١).

وعنه عليه السلام أنه سئل^(٢) عن إرسال الكلب والصَّقر، فقال: أمَّا الصَّقر فلا تأكل من صيده حتى تدرك ذكاته، وأمَّا الكلب فكل منه إذا ذكرت اسم الله عليه أكل الكلب منه أولم يأكل^(٣). وفي معناها أخبار كثيرة^(٤).

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾: ألهمكم من طرق التأديب، وفتر أدبه باتباعه الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه، وإمساكه عليه الصَّيد.

في الكافي: عن الباقر عليه السلام ما قتلت من الجوارح مكليين وذكرتم اسم الله عليه، فكلوا من صيدهنّ، وما قتلت الكلاب التي لم تعلّموها من قبل أن تدركوه فلا تطعموه^(٥).

وفي الكافي^(٦)، والفقيه^(٧)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام قال في صيد الكلب إن أرسله صاحبه وسمى فليأكل كلّ ما أمسك عليه، وإن قتل، وإن أكل فكل ما بقي، وإن كان غير معلّم فعلمّه في ساعته حين يرسله فليأكل منه فإنّه معلّم، فأما ما خلا الكلاب ممّا تصيده الفهود والصقور وأشبه ذلك فلا تأكل من صيده إلّا ما أدركت ذكاته لأنّ الله عزّ وجلّ قال: «مُكَلِّينَ» فما خلا الكلاب فليس صيده بالذي يؤكل إلّا أن تدرك ذكاته^(٨).

وأما الأخبار التي وردت بخلاف ذلك^(٩) فمحمولة على التقيّة لموافقها مذاهب العامّة

١- الكافي: ج ٦، ص ٢٠٧، ح ٢، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك.

٢- وفي نسخة: [وقد سئل].

٣- الكافي: ج ٦، ص ٢٠٧، ح ٣، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك.

٤- راجع الكافي: ج ٦، ص ٢٠٧-٢٠٨، ح ٥ و ٦ و ٧ و ١٠، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك.

٥- الكافي: ج ٦، ص ٢٠٣، ح ٥، باب صيد الكلب والفهد.

٦- الكافي: ج ٦، ص ٢٠٥، ح ١٤، باب صيد الكلب والفهد، بتفاوت يسير.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٠١، ح ٩١١/١، باب ٩٦- باب الصيد والذباحة. والنص له.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٤-٢٥، ح ٩٨/٩٨، باب ١- الصيد والذكاة، بتفاوت يسير.

٩- راجع تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٧، ح ١١٠/١١٠ و ١١١/١١١، باب ١- الصيد والذباحة.

أَلْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

كما بيّناه في الوافي^(١).

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن صيد البزاة، والصقور، والفهود، والكلاب؟ قال: لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب، قيل: فإن قتله؟ قال: كل، فإن الله يقول: «وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ»، ثم قال عليه السلام: كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلا الكلاب المعلّمة فإنها تمسك على صاحبها، وقال: إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته^(٢).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: فيما حرّم عليكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: فيؤاخذكم بما جلت ودق.

﴿أَلْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾:

القمي: قال: عن بطعامهم هاهنا: الحبوب والفاكهة غير الذبائح التي يذبحونها، فإنهم لا يذكرون اسم الله خالصاً على ذبائحهم، ثم قال: والله ما استحلّوا ذبائحكم فكيف تستحلّون ذبائحهم^(٣).

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٢-١٦٣.

١- الوافي: ج ١٩، ص ١٤٢.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٣.

في الكافي^(١)، وغيره عنها عليه السلام في عدة أخبار أن المراد به: الحبوب والبقول^(٢)، وفي بعضها لا تأكل من ذبائح اليهود، والنصارى، ولا تأكل من آيتهم^(٣)، وفي بعضها الذبيحة بالإسم ولا يؤمن عليها إلا أهل التوحيد^(٤).

وفي بعضها إذا شهدتموهم وقد سَمُوا اسم الله فكلوا ذبائحهم، وإن لم تشهدوهم فلا تأكلوا، وإن أتاك رجل مسلم فأخبرك أنهم سَمَوْا فكل^(٥).

وفي بعضها لا تأكله ولا تتركه، تقول: إنه حرام، ولكن تتركه تزهاً عنه، إن في آيتهم الخمر، ولحم الخنزير^(٦).

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾: فلا جناح عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم.

﴿وَأَلْخَصَّنْتُ﴾: وأحلّ لكم العقد على العفائف.

﴿مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام هنّ المسلمات^(٧).

﴿وَأَلْخَصَّنْتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: في الفقيه: عن

الصادق عليه السلام هنّ العفائف^(٨).

والعياشي: عن الكاظم عليه السلام أنه سئل ما معنى احصائهنّ؟ قال: هنّ العفائف من نسايتهم^(٩).

١- الكافي: ج ٦، ص ٢٦٤، ح ٦، باب طعام أهل الذمة ومواكلتهم وآيتهم.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٤، ح ٢٧٠ / ٥، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه، ومن لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٩، ح ١٠١٢ / ١٠٢، باب ٩٦- الصيد والذبائح.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٣- ٦٤، ح ٢٦٩ / ٤، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٣، ح ٢٦٧ / ٢، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٦٩، ح ٢٩٤ / ٢٩، باب ٢- الذبائح والأطعمة، وما يحل من ذلك وما يحرم منه.

٦- الكافي: ج ٦، ص ٢٦٤، ح ٩، باب طعام أهل الذمة ومواكلتهم وآيتهم.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٣٥، ح ٩٢.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٦، ح ١٣١٣ / ٢، باب ١٢٩- الإحصان.

٩- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٦، ح ٤٠.

وفي الكافي^(١)، والمجمع^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنها منسوخة بقوله: «وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ»^(٣)(٤). وزاد في المجمع، ويقول: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ»^(٥)(٦).

والقمي: أحل الله نكاح أهل الكتاب بعد تحريمه في قوله في سورة البقرة «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ»، قال: وإنما يحل نكاح أهل الكتاب الذين يؤدون الجزية وغيرهم لم تحل مناعتهم^(٧).

أقول: ويؤيد هذا الحديث النبوي إن سورة المائدة آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها^(٨).

وفي الكافي: عن الحسن بن الجهم، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانية على مسلمة؟ قلت: جعلت فداك، وما قولي بين يديك، قال: لتقولن فإن ذلك تعلم به قولي، قلت: لا يجوز تزويج نصرانية على مسلمة ولا على غير مسلمة، قال: ولم؟ قلت: لقول الله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ»^(٩)، قال: فما تقول في هذه الآية: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ»، قلت: فقول: «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» نسخت هذه الآية فتبسم ثم سكت^(١٠).

وفيه^(١١)، وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام في الرجل المؤمن يتزوج النصرانية واليهودية، قال: إذا أصاب المسلمة فما يصنع باليهودية والنصرانية، فقيل: يكون له فيها الهوى، فقال: إن فعل فيلمنعها من شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وأعلم أن عليه في دينه غضاضة^(١٢)(١٣).

١- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٨، ح ٨، باب نكاح الذمّية. ٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٦٢.

٣- الممتحنة: ١٠. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٦، ح ٣٨. ٥- البقرة: ٢٢١.

٦- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٦٢. ٧- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٣.

٨- الجامع لأحكام القرآن: ج ٦، ص ٣١. ٩- البقرة: ٢٢١.

١٠- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٧، ح ٦، باب نكاح الذمّية. ١١- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٦، ح ١، باب نكاح الذمّية.

١٢- وغض منه يغض بالضم: إذا وضع ونقص من قدره. يقال ليس عليك في هذا الأمر غضاضة، أي ذلة ومنقصة. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٩٥.

١٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٥٧، ح ١٢٢٢/٧، باب ١٢٤- ما أحل الله عز وجل من النكاح وما حرّم منه.

وعن الباقر عليه السلام لا ينبغي للمسلم أن يتزوج يهودية ولا نصرانية، وهو يجد مسلمة حرة أو أمة ^(١).

وعنه عليه السلام إنما يحلّ منهنّ نكاح البله ^{(٢)(٣)}.

وفي الفقيه: عنه عليه السلام أنّه سئل عن الرجل المسلم أيتزوج المجوسية؟ قال: لا، ولكن إن كانت له أمة مجوسية فلا بأس أن يطأها ويعزل عنها ولا يطلب ولدها ^(٤).

وفي رواية: لا يتزوج الرجل اليهودية والنصرانية على المسلمة ^(٥)، ويتزوج المسلمة على اليهودية والنصرانية ^(٦).

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام لا بأس أن يتمتع الرجل باليهودية والنصرانية وعنده حرة ^(٧).

وفيه: في جواز التمتع بهما وبالمجوسية أخبار أخر ^(٨).

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾: مهورهنّ.

﴿مُحْصِنِينَ﴾: أعفاء بالنكاح.

١- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٨، ح ١٠، باب نكاح الذمّية.

٢- بله الرجل يبيله بلهاً من باب تعب ضعف عقله فهو أبله، والأُنثى بلهاء والجمع بله كأحر وحمرأ ومُحر، وفي الحديث عليك بالبلهاء، قلن: وما البلهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٤٣، مادة «بله».

٣- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٦ - ٣٥٧، ح ٢، باب نكاح الذمّية، وتهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٩٩، ح ١٢٤٩/٧، باب ٢٦ - من يحرم نكاحهنّ بالأسباب.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٥٨، ح ١٢٢٣/٨، باب ٢٤ - ما أحلّ الله عزّ وجلّ من النكاح وما حرّم منه. ٥- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٧، ح ٤، باب نكاح الذمّية.

٦- الكافي: ج ٥، ص ٣٥٧، ح ٥، باب نكاح الذمّية.

٧- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٥٦، ح ٢٨/١١٠٣، باب ٢٤ - تفصيل أحكام النكاح.

٨- راجع تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٢٥٦، ح ٣١/١١٠٦، وح ٣٢/١١٠٧، وح ٣٣/١١٠٨، باب ٢٤ - تفصيل أحكام النكاح.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى
الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى
سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ
تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ
يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

﴿غَيْرُ مُسَفِّحِينَ﴾: غير مجاهرين بالزنا.

﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: مسرِّين به، والخدن: الصديق يقع على الذكر والأنثى.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾: بجحد الشرائع، أو بتركها، في الكافي: عن الصادق عليه السلام في

تفسيره ترك العمل الذي أقرَّ به من ذلك أن يترك الصلاة من غير سقم ولا شغل ^(١).

وفي رواية: ترك العمل حتى يدعه أجمع ^(٢). والعباشي مثله ^(٣).

وروى هو عن الصادق عليه السلام أدنى ما يخرج به الرجل من الإسلام أن يرى الرأي بخلاف

الحق فيقيم عليه، قال: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ» الذي لا يعمل بما أمر الله به ولا يرضى به ^(٤).

وعن الباقر عليه السلام: يعني ولاية علي عليه السلام ^(٥). والقمي: قال: من آمن ثم أطاع أهل الشرك ^(٦).

﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ * يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٨٧، ح ١٢، باب الكفر.

١- الكافي: ج ٢، ص ٣٨٤، ح ٥، باب الكفر.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٧، ح ٤٢.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٧، ح ٤٣.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٣.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٧، ح ٤٤.

إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴿١﴾ وقرئ بنصب الأرجل، وهو مردود عندنا كما يأتي، وأريد بالقيام القيام من النوم، في التهذيب ^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل ما معنى إذا قمتم؟ قال: إذا قمتم من النوم ^(٢).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام سئل ما عني بها؟ قال: من النوم ^(٣).

فاسترحنا من تكلفات المفسرين ^(٤) وإضماراتهم، وأمّا وجوب الوضوء بغير حدث النوم، فمستفاد من الأخبار كما أنّ وجوب الغسل بغير الجنابة مستفاد من محل آخر، وكما أنّ سائر مجملات القرآن إنّما يتبيّن بتفسير أهل البيت عليهم السلام وهم أدري بما نزل في البيت من غيرهم، والوجه ما يواجه به فلا يجب تحليل الشعر الكثيف أعني الذي لا يرى البشرة خلاله في التخاطب إذ المواجهة حينئذ إنّما تكون بالشعر لا بما تحته كما ورد عن الباقر عليه السلام: كلّ ما أحاط به الشعر فليس على العباد أن يطلبوا ولا أن يبحثوا عنه، ولكن يجري عليه الماء، رواه في التهذيب ^(٥).

وفيه ^(٦)، وفي الكافي: عن أحدهما عليه السلام أنه سئل عن الرجل يتوضّأ أبيضنّ لحيته ^(٧)؟

١- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٧، ح ٩ / ٩، باب الأحداث الموجبة للطهارة.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٧-٢٩٨، ح ٤٨.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٨، ح ٤٩.

٤- قال في مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٦٣، معناه إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم على غير طهر، وحذف الإرادة لأنّ في الكلام دلالة على ذلك، ومثله قوله: «(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله)» «وإذا كنت فيهم فأقمت الصلاة»، والمعنى إذا أردت قراءة القرآن، وإذا كنت فيهم فإذا أردت أن تقيم لهم الصلاة، وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين.

٥- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٣٦٤، ح ١١٠٦ / ٣٦، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٦- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٣٦٠، ح ١٠٨٤ / ١٤، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٧- أبيضنّ الرجل لحيته - بتشديد الطاء من بطن يُبطن - : إذا أدخل الماء تحتها مما هو مستور بشعرها. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢١٥، مادة «بطن».

قال: لا (١).

وأما حدّ الوجه في الفقيه (٢)، والكافي (٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام الوجه الذي أمر الله بغسله الذي لا ينبغي لأحد أن يزيد عليه ولا ينقص منه، إن زاد عليه لم يؤجر وإن نقص منه أثم مادارت الوسطى والإبهام من قصاص شعر الرأس إلى الذقن، وما جرت عليه الإصبعان من الوجه مستديراً فهو من الوجه، وما سوى ذلك فليس من الوجه، قيل: الصدغ ليس من الوجه، قال: لا (٤).

وأما في سائر الأعضاء فيجب إيصال الماء والبلل إلى البشرة وتحليل ما يمنع من الوصول كما هو مقتضى الأمر بالغسل والمسح، فلا يجزي المسح على القلنسوة والخفّين. في التهذيب: عن الباقر عليه السلام جمع عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وفيهم علي عليه السلام، فقال: ما تقولون في المسح على الخفّين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح على الخفّين، فقال علي عليه السلام: قبل المائدة أو بعد المائدة؟ فقال: لا أدري، فقال علي: سبق الكتاب الخفين إنما أنزلت المائدة قبل أن يقبض صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثة (٥). أقول: المغيرة بن شعبة هذا هو أحد رؤساء المنافقين من أصحاب العقبة، والسقيفة لعنهم الله.

وفي الفقيه: روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوئه على جلد غيره (٦).

وروي عنها أنها قالت: لأنّ أمسح على ظهر غير (٧) بالفلاة أحبّ إليّ من أن أمسح

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٨، ح ٢، باب حد الوجه الذي يغسل والذراعين وكيف يغسل.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٨، ح ٨٨/١، باب ١٠- حد الوضوء وترتيبه وثوابه.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٧-٢٨، ح ١، باب حد الوجه الذي يغسل والذراعين وكيف يغسل؟

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٩، ح ٥٢. ٥- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٣٦١، ح ٢١/١٠٩١، باب ١٦، صفة

الوضوء والفرض منه. ٦- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٠، ح ٩٦/٩، باب ١٠- حد الوضوء وترتيبه وثوابه.

٧- العير: الحمار الوحشي والأهلي. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤١٨، مادة «عير».

على خفي، ولم يعرف للنبي ﷺ خفّ إلا خفّ أهده له النجاشي، وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً، فمسح النبي ﷺ على رجليه وعليه خفاه، فقال الناس: أنه مسح على خفيه، وعلى أن الحديث في ذلك غير صحيح الإسناد، انتهى كلام الفقيه^(١).

ولما كانت اليد تطلق على ما تحت الزند، وعلى ما تحت المرفق، وعلى ما تحت المنكب، بين الله سبحانه غاية المغسول منها، كما تقول لغلامك: خضّب^(٢) يدك إلى الزند، وللصّقل صيقل سيني إلى القبضة فلا دلالة في الآية على ابتداء الغسل بالأصابع وانتهائه إلى المرافق كما أنه ليس في هاتين العبارتين دلالة على ابتداء الخضاب والتّصقيّل بأصابع اليد ورأس السّيف، فهي جملة في هذا المعنى تحتاج إلى تبين أهل البيت عليه السلام، والمرفق - بكسر أوله وفتح ثالثة أو بالعكس - : مجمعي عظمي الذّراع والعضد، ولا دلالة في الآية على إدخاله في غسل اليد، ولا على ادخال الكعب في مسح الرجلين، لخروج الغاية تارة ودخولها أخرى، فهي في هذا المعنى جملة، وإنما تتبين بتفسيرهم عليه السلام، والغسل: يحصل بصبّ الماء على العضو، أو غمسه فيه إن لم يدلك، والباء^(٣) في «برؤوسكم» للتّبعض، وكذا في «بوجوهكم»، وكذا في المعطوفين عليهما، أعني «أرجلكم وأيديكم» كذا عن الباقر عليه السلام^(٤)، كما يأتي.

والكعب: عظم مايل إلى الإستدارة واقع في ملتقى الساق والقدم نات^(٥) عن ظهره يدخل تنوّه في طرف الساق كالذي في أرجل البقر والغنم، وربّما يلعب به الأطفال، وقد يعبر عنه بالمفصل لمجاورته له، وإنما اختلف الناس فيها لعدم غورهم في كلام أهل اللّغة، وأصحاب التبشّيح وإعراضهم عن التأمل في الأخبار المعصوميّة سلام الله عليهم، ولما كانت الرجل تطلق على القدم وعلى ما تحت الركبة وعلى ما يشمل الفخذين بين الله سبحانه غاية المسوح

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣٠، ح ٩٧ / ١٠، باب ١٠ - حد الوضوء وترتيبه وثوابه.

٢- وفي نسخة: [أخضب]. ٣- وفي نسخة: [فالباء].

٤- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٧٠، ح ٣٧ / ١٨٨، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٥- نتأ الشيء يتنوّ بفتحيتين تنوّاً: خرج من موضعه وارتفع من غير أن يبيّن. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٠٦، مادة «نتأ».

منها، ثم دلالة الآية على مسح الرجلين دون غسلهما أظهر من الشمس في رابعة النهار وخصوصاً على قراءة الجرّ، ولذلك اعترف بها جمع كثير من القائلين بالغسل.

في التهذيب: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: «فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» على الخفض هي أم على النصب؟ قال: بل هي على الخفض ^(١).

أقول: وعلى تقدير القراءة على النصب أيضاً يدلّ على المسح لأنها تكون حينئذ معطوفة على محلّ الرؤوس، كما تقول: مررت بزيد وعمرو، إذ عطفها على الوجه خارج عن قانون الفصاحة، بل عن أسلوب العربية.

روت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه توضأ ومسح على قدميه ونعليه ^(٢).

وروا أيضاً عن ابن عباس أنه قال: إن في كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل ^(٣). وأنه قال: الوضوء غسّلتان ومسحتان، من باهلني باهلته ^(٤).

وأنه وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح على رجله ^(٥).

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن مسح الرجلين، فقال: هو الذي نزل به جبرئيل ^(٦).

١- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٧٠، ح ١٨٨ / ٣٧، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٢- راجع روايات كثيرة في السنن الكبرى: ج ١، ص ٧٢ - ٧٥، تدل على أنه صلى الله عليه وآله مسح على قدميه ونعليه. وأورده الشيخ في تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٦٣، ح ١٧٢ / ٢١، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٣- المجموع شرح المذهب: ج ١، ص ٤١٨، وأورده الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٦٣، ح ١٧٤ / ٢٣، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٤- راجع المجموع شرح المذهب: ج ١، ص ٤١٨، وأورده الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٦٣، ح ١٧٦ / ٢٥، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٥- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٦٣، ح ١٧٣ / ٢٢، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

٦- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٦٣، ح ١٧٧ / ٢٦، باب ١٦ - صفة الوضوء والفرض منه.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه يأتي عن الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه (١).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام إن الرجل ليعبد الله أربعين سنة ما يطيعه في الوضوء لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه (٢).

وفي الكافي (٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله، فدعا بطست أو تور (٤) فيه ماء فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفة فصّبها على وجهه فغسل بها وجهه، ثم غمس كفّه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكف لا يردّها إلى المرفق، ثم غمس كفّه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى، ثم مسح رأسه وقدميه بببل كفّه لم يحدث لهما ماءً جديداً، ثم قال: ولا يدخل أصابعه تحت الشراك، قال: ثم قال: إن الله تعالى يقول: «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ» فليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلّا غسله، وأمر بغسل اليدين إلى المرفقين فليس له أن يدع شيئاً من يديه إلى المرفقين إلّا غسله، لأن الله تعالى يقول: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»، ثم قال: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»، فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه، فقيل: أين الكعبان؟ قال: هاهنا، يعني المفصل دون عظم الساق، قيل: هذا ما هو؟ فقال: هذا من عظم الساق والكعب أسفل من ذلك، قيل: أصلحك الله فالغرفة الواحدة تجزي للوجه وغرفة للذراع؟ قال: نعم إذا بالغت فيها والشتان تأتيان على ذلك كلّ (٥).

١- الكافي: ج ٣، ص ٣١، ح ٩، باب مسح الرأس والقدمين.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٤، ح ٧٣/٥، باب ٧- مقدار الماء للوضوء والغسل.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٥-٢٦، ح ٥، باب صفة الوضوء.

٤- التور - بالفتح فالسكون -: إناء صغير من صفر أو خزف يشرب منه ويتوضأ فيه ويؤكل. مجمع البحرين: ج

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٨-٢٩٩، ح ٥١.

٣، ص ٢٣٤، مادة «تور».

وفي الفقيه^(١)، والعياشي: عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت؟ وقلت: إنَّ المسح ببعض الرأس وببعض الرجلين؟ فضحك عليه السلام ثم قال: يا زرارة قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل به الكتاب من الله لأن الله تعالى يقول: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» فعرفنا أنَّ الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: «وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه فعرفنا أنه ينبغي لهما أن تُغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ» فعرفنا حين قال: «بِرُءُوسِكُمْ» أنَّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه، فقال: «وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»، فعرفنا حين وصلهما بالرأس أنَّ المسح على بعضهما، ثم فسّر ذلك رسول الله للناس فضيّعوه، الحديث^(٢).

ويأتي تمامه عن قريب، وأشار عليه السلام بقوله لمكان «الباء» أنَّ الباء للتبعية، فلا وجه لإنكار سبويه مجيئها له في سبعة عشر موضعاً من كتابه، وإنَّما بسطنا الكلام في تفسير آية الوضوء لعموم البلوى بها وكثرة الاختلاف فيها، والحمد لله على ما هدانا ببركة أهل بيت نبيه صلوات الله عليه وعليهم، وتام الكلام فيه يطلب من كتابنا الوافي^(٣).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: عطف على جزاء الشرط الأول، أعني فاغسلوا وجوهكم، يعني إذا قمتم من النوم إلى الصلاة فتوضأوا، وإن كنتم جنباً فاغتسلوا، يدلّ عليه قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى» فإنَّه مندرج تحت الشرط ألْبَتَّة، فلو كان قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ» معطوفاً على قوله «إِذَا قُمْتُمْ» أو كان مستأنفاً لم ينتسق المتعاطفان، وللزم أن لا يستفاد الإرتباط بين الغسل والصلاة من الآية ولم يحسن لفظة «إن» بل ينبغي أن يقال: وإذا كنتم جنباً كما هو غير خاف على من تتبّع أساليب الكلام.

ويدلّ عليه أيضاً ما في الكافي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن المرأة يجامعها الرجل

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٦، ح ٢١٢/١، باب ٢١- التيمم.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩٩-٣٠٠، ح ٥٢.

٣- الوافي: ج ٦، ص ٢٧٦-٢٧٧.

فتحيض وهي في المغتسل؟ قال: جاءها ما يفسد الصلاة فلا تغتسل^(١).

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن غسل الجنابة؟ فقال: تبدأ فتغسل كفّيك، ثم تفرغ يمينك على شمالك فتغسل فرجك ومرافقك، ثم تضمض واستنشق، ثم تغسل جسدك من لدن قرنك إلى قدميك ليس بعده ولا قبله وضوء، وكل شيء أمسسته الماء فقد أنقيته، ولو أن رجلاً ارتس في الماء ارقماسة واحدة أجزأه ذلك، وإن لم يدلك جسده^(٢).

وفي الكافي مقطوعاً: إن لم يكن أصاب كفّه شيء غمسها في الماء ثم بدا بفرجه فأنقاه بثلاث غرف، ثم صب على رأسه ثلاث أكف، ثم صب على منكبيه الأيمن مرتين، وعلى منكبيه الأيسر مرتين، فاجرى عليه الماء أجزأه^(٣).

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء﴾: وقرئ لمستم.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾: قد مضى تفسير هذه الآية في سورة النساء^(٤)، فلا حاجة إلى إعادته.

وفي الفقيه: في حديث زرارة السابق أنفاً متصلاً بآخره، ثم قال: «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ» فلما وضع الوضوء إن لم يجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنه قال: «بوجوهكم» ثم وصل بها «وأيديكم» ثم قال: منه أي من ذلك التيمم لأنه علم أن ذلك أجمع لم يجز على الوجه لأنه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف، ولا يعلق ببعضها^(٥).

قوله عليه السلام: «من ذلك التيمم» الظاهر أن المراد به التيمم به بدليل قوله: «إن ذلك» يعني

١- الكافي: ج ٣، ص ٨٣، ح ١، باب المرأة ترى الدم وهي جنب.

٢- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ١٤٨، ح ٤٢٢/١١٣، باب ٦- حكم الجنابة وصفة الطهارة منها.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٤٣، ح ٣، باب صفة الغسل والوضوء قبله.

٤- ذيل الآية: ٤٣ من سورة النساء.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٦-٥٧، ح ٢١٢/١، باب ٢١- التيمم.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

الصعيد أجمع لم يجر على الوجه، ويستفاد منه أن لفظة «من» في «منه» للتبويض وأنه يشترط علوق التراب بالكف، وأنه لا يجوز التيمم بالحجر الغير المغبر كما مضى تحقيقه.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾: بفرض الطهارات.

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ﴾: من ضيق.

﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: من الأحداث والذنوب، فإن الطهارة كفارة للذنوب

كما هي رافعة للأحداث.

﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾: بهذا التطهير.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمته.

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بالإسلام ليدكركم المنعم ويرغبكم في شكره.

﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّقَكُمْ بِهِ﴾: قيل: يعني عند اسلامكم بأن تطيعوا الله فيما يفرضه

عليكم سرركم أو ساءكم^(١).

وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام إن المراد بالميثاق: ما بين لهم في حجة الواع من تحريم

المحرمات، وكيفية الطهارة، وفرض الولاية وغير ذلك^(٢).

أقول: وهذا داخل في ذاك.

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: القمي: قال: لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الميثاق عليهم

بالولاية، قالوا: «سمعنا وأطعنا»، ثم نقضوا ميثاقه^(٣).

١- قاله ابن عباس والسدي كما جاء في مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٦٨، س ٢.

٢- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٦٨. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٣.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ
لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَّاجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ ﴿١٠﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في إنساء نعمته، ونقض ميثاقه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بخفياتها فضلاً عن جليات أعمالكم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾: مرّ تفسيره (١).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: ولا يحملنكم.

﴿شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾: شدة عداوتهم وبغضهم، وقرئ بسكون النون.

﴿عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا﴾: فتعدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ، كمثلته، وقذف، وقتل

النساء، وصبيّة، ونقض عهد، تشفيّاً بما في قلوبكم.

﴿اَعْدِلُوا﴾: في أوليائكم وأعداءكم.

﴿هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فيجازيكم، قيل:

تكرير هذا الحكم إمّا لإختلاف السبب كما قيل: أنّ الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود،

أو لمزيد الإهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء نائرة الغيظ (٢).

﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَّاجْرٌ عَظِيمٌ﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ﴾: قابل الوعد بالوعيد،

١ - ذيل الآية ١٣٥ من سورة النساء.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ
 يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
 لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي
 وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ
 سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَن
 كَفَرَ بِعَدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

وفاءً بأحقّ الدعوة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا﴾:

يبسطوا.

﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بالقتل والإهلاك.

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾: منعها أن تُمدَّ إليكم وردّ مضرتها عنكم، القمّي: يعني أهل

مكة من قبل فتحها، فكفّ أيديهم بالصلح يوم الحديبية^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع

الشر.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: كفيلاً

أميناً شاهداً من كلّ سبط، ينقّب عن أحوال قومه، ويفتّش عنها، ويعرف مناقبهم.

فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾: بالنصرة.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾: وصدقتموهم.

﴿وَعَزَّزْتُوهُمْ﴾: ونصر قوتوهم وقويتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: بالإنفاق في سبيله.

﴿لَا كُفْرَنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: لا غطيها.

﴿وَلَا دُخِلْنَكُمْ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَنُكَفِّرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ

ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: قيل: أمر الله بني إسرائيل بعد هلاك فرعون بمصر بأن يسيروا إلى
أريحا من أرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة، وقال: إني كتبته لكم قراراً، وأمر موسى عليه السلام
بأن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به من الخروج إلى الجبابرة
والجهاد، وقائداً ورئيساً لهم، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به
وسار بهم، فلما دنا من أرضهم بعث النقباء يتجسسون فأروا أجراماً عظيماً وقوة، فرجعوا
وأخبروا موسى عليه السلام بذلك، فأمرهم أن يكتموا ذلك فحدثوا بذلك قومهم إلا كالب بن يوقنا
من سبط يهودا، ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف عليه السلام، وكانا من النقباء^(١).

﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: طردناهم من رحمتنا.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾: لا تتفعل من ^(١) الآيات والنذر، وقرئ قسيّة على

المبالغة.

﴿يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا﴾: تركوا نصيباً وافراً.

﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾: خيانة أو فرقة خائنة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾: لم يخونوا.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: حث على الصفح، القمي:

منسوخة بقوله: «أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» ^(٢).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾: ادّعوا نصره الله بالإتسام بهذا الإسم.

﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾: كما أخذنا ممن قبلهم من بني إسرائيل.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا﴾: فالزمتنا.

﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾: بالأفعال.

﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾: بالقلوب.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: بالجزاء

والعقاب.

١- وفي نسخة: [عن].

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٤.

يَتَأْهَلْ أَلِكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ أَلِكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

﴿يَتَأْهَلْ أَلِكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ أَلِكِتَابِ﴾: كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم في التوراة، وبشارة عيسى بأحمد ﷺ في الإنجيل. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾: مما تخفونه لا يخبر به، القمي: قال: بين النبي ﷺ كثيراً مما أخفيتموه مما في التوراة من أخباره ويدع كثيراً لا يبيته (١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام عند تفسير «يَتَأْهَلْ أَلِكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ أَلِكِتَابِ» (٢) من هذه السورة إن امرأة من خير ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرافهم وهما محصنان فكرها رجمها فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا إليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة، فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وشعبة بن عمرو، ومالك بن الضيف، وكنانة بن أبي الحقيق، وغيرهم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما، فقال ﷺ: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا نعم، فنزل جبرئيل بالرجم، فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به، فقال جبرئيل عليه السلام: اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له، فقال النبي ﷺ: هل تعرفون شاباً أُمرد أبيض أعور يسكن فذك، يقال له: ابن سوريا؟ قالوا: نعم، قال: فأبي رجل هو فيكم، قالوا: هو أعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى عليه السلام، قال: فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبدالله بن سوريا فقال له النبي ﷺ: إني أنشدك الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى، وقلق لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنّ والسلى هل

تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن؟ قال ابن سوريا: نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقتني رب التوراة أن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد؟ قال ﷺ: إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم، فقال ابن سوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على موسى عليه السلام، فقال له النبي ﷺ: فإذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله، قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عمّ ملك لنا فلم نرجمه، ثم زنى رجل آخر فأراد الملك رجمه، فقال له قومه: لا حتى ترجم فلاناً يعنون ابن عمّه، فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع، فوضعنا الحدّ والتّحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة، ثم يسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما، ففعلوا هذا مكان الرجم، فقالت اليهود: لابن سوريا ما أسرع ما أخبرته وما كنت لما أثينا عليك بأهل الكتاب، ولكنك كنت غائباً فكرهنا أن نغتائبك، فقال: إنّه أنشدني بالتوراة ولولا ذلك ما أخبرته به، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عن باب مسجده، وقال: أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأنزل الله سبحانه فيه: «يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»، فقام ابن سوريا: فوضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ، ثم قال: هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه، فأعرض النبي ﷺ عن ذلك^(١).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾: قيل: النور: محمد ﷺ، والكتاب:

القرآن^(٢). وقيل: كلاهما القرآن^(٣)، وأيد بتوحيد الضمير في به.

والقمي: قال: يعني بالنور: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام^(٤).

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٩٣- ١٩٤. ٢- راجع تفسير أبي السعود: ج ٣، ص ١٨.

٣- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ١، ص ٦١٧. وفي مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٧٤، نقلاً عن قتادة

٤- اختياره الزجاج. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٤.

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُ مَا يَخْلُقُ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السلامة من العذاب.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾: أنواع الكفر.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: بالإسلام.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بإرادته وتوفيقه.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: طريق هو أقرب الطرق إلى الله وإلى جنته.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ

شَيْئًا﴾: فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً.

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾: أشياع ابنه عزيز والمسيح.

يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ
الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ
بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾: في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ، وفي الآخرة بالنار ألباماً معدودة كما زعمتم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: وهم من آمن به وبرسله.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: وهم من كفر به، والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم.

﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: كلها سواء في كونه خلقاً وملكاً له.

﴿وَالَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: فيجازي^(١) كلًّا بما كسب.

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: ما يحتاج إلى البيان.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾: على فتور من الإرسال والإنقطاع من الوحي، قال الصدوق طاب ثراه في إكمالهِ: معنى الفترة أن لا يكون نبي ولا وصي ظاهر مشهور، وقد كان بين نبيِّنا ﷺ وبين عيسى عليه السلام أنبياء وأئمة مستورون خائفون، منهم: خالد بن سنان العبسي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، وكان بين مبعثه ومبعث نبيِّنا ﷺ خمسون سنة^(٢).

أقول: تصديق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور^(٣).

٢- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٥٩.

١- وفي نسخة: [فيجازيكم كلًّا بما كسب].

٣- نهج البلاغة: ص ٤٩٧، حكم ١٤٧.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
 جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا
 مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ آذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي
 كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾

﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾: فلا تعتذروا.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قد مضى في سورة النساء عند قوله: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ»^(١)، إن الأمم يوم القيامة تجحد تأدية رسالات رسلهم، وتقول: «مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ» والرسول يستشهدون نبينا، فيقول نبينا ﷺ لكل أمة «بَلَىٰ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وغير ذلك.

﴿يَنْقُومِ آذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام يعني الشام^(٢).

﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أن تكون مسكناً لكم، العياشي: عن الصادق عليه السلام إن بني إسرائيل قال الله لهم: «أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» فلم يدخلوها حتى حرمها عليهم وعلى أبنائهم وإنما دخلها أبناء الأبناء^(٣).

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٦، ح ٧٥.

١- النساء: ٤١.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٤، ح ٧٠.

قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دُخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ
رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْخِلُوا عَلَيْهِمُ
الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

وعنها عليه السلام كتبها لهم ثم محاه^(١).

﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾: ولا ترجعوا مدبرين.

﴿فَتَتَّقِلُوا خَسِرِينَ﴾: ثواب الدارين.

﴿قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: شديدي البطش والبأس والخلق، لا تتأق لنا مقاومتهم^(٢).

﴿وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دُخِلُونَ﴾: إذ لا طاقة لنا بهم.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: هما يوشع بن نون، وكالب بن يوقت، وهما ابنا عمه، كذا عن

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٤، ح ٦٩.

٢ - قال ابن عباس: بلغ من جبرية هؤلاء القوم أنه لما بعث موسى من قومه اثني عشر نقيباً ليخبروه خبرهم رأهم رجل من الجبارين يقال له: عوج فأخذهم في كتفه مع فاكهة كان يحملها في بستانه وأتى بهم الملك فنثرهم بين يديه، وقال للملك تعجباً منهم هؤلاء يريدون قتالنا، فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا، قال مجاهد: وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عقود منها خمسة رجال بالخشب، ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وأن موسى كان طوله عشرة أذرع وله عصا طولها عشرة أذرع ونزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عتق فقتله، وقيل: كان طول سريره ثمانمائة ذراع. مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٨٠، س ١٠.

قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا
أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

الباقر ع رَوَاهُ الْعِيَّاشِي (١).

﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: أَي يَخَافُونَ اللَّهَ وَيَتَّقُونَهُ.

﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ.

﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: بَاب قَرِيْبِهِمْ، أَي بَاغَتْوَهُمْ (٢) وَضَاغَتْوَهُمْ (٣) فِي الْمَضِيقِ

وَأَمْنَعُوهُمْ مِنَ الْإِصْحَارِ (٤).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: لَتَعَسَّرَ الْكُرُّ عَلَيْهِمْ فِي الْمَضَاقِ مِنْ عَظَمِ

أَجْسَامِهِمْ وَلَا تَهْمُ أَجْسَامُ لَا قُلُوبَ فِيهَا.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾: فِي نَصْرَتِهِ عَلَى الْجَبَّارِينَ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بِهِ وَمَصْدَقِينَ لَوَعْدِهِ.

﴿قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾: قَالُوا هَا اسْتِهَانَةً بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَدَمَ مَبَالَاةٍ بِهِمَا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٣، ح ٦٨.

٢ - بغتة: أي مفاجأة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٩١، مادة «بغت».

٣ - الضغطة - بالضم -: الشدة، وضغطاً - من باب نفع -: زحمة إلى حائط وعصره، ومنه ضغطة القبر لأنه يضيّق على الميت. المصباح المنير: ص ٣٦٢، مادة «ضغط».

٤ - أصر الرجل: أي خرج إلى الصحراء. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٦٢، مادة «صر».

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا
تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴿٢٦﴾: لا يدخلونها، ولا يملكونها سبب عصيانهم.
﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقاً.
﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾: لأنهم أحقاء بذلك لفسقهم، العياشي: عن
الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل
بالنعل، والقدّة بالقدّة حتى لا تخطون طريقهم ولا تخطأكم سنّة بني إسرائيل، ثم قال أبو
جعفر عليه السلام: قال موسى لقومه: «يَقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» فردّوا
عليه وكانوا ست مائة ألف، فقالوا: «يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ» الآيات، قال: فعصى إلا
أربعون ألفاً وسلم هارون وابناه ويوشع بن نون، وكالب بن يوفنا فسماهم الله فاسقين، فقال:
«لا تأس على القوم الفاسقين»، فتاهوا أربعين سنة لأنهم عصوا فكانوا حذوا النعل بالنعل إن
رسول الله ﷺ لما قبض لم يكن على أمر الله إلا علي والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام
وسلمان والمقداد وأبو ذر، فكثروا أربعين حتى قام علي فقاتل من خالفه (١).

وعنه عليه السلام قال: نعم الأرض الشام، وبئس القوم أهلها، وبئس البلاد مصر، أمّا إنّه
سجن من سخط الله عليه ولم يكن دخول بني إسرائيل إلا معصية منهم لله لأن الله قال:
«ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني الشام فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في
الأرض أربعين سنة في مصر وفيافيها، ثم دخلوها بعد أربعين سنة، قال: وما خروجهم من
مصر ودخولهم الشام إلا بعد توبتهم ورضاء الله عنهم (٢).

وعن الصادق عليه السلام وذكر موسى وقولهم: «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ»،

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٣ - ٣٠٤، ح ٦٨.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٥ - ٣٠٦، ح ٧٥.

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ
مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

قال: فحرّمها الله عليهم أربعين سنة وتيّههم فكانوا إذا كان العشاء وأخذوا في الرحيل نادوا
الرّحيل الرّحيل، الوحا الوحا^(١)، فلم يزلوا كذلك حتّى تغيب الشمس حتّى إذا ارتحلوا
واستوت بهم الأرض قال الله تعالى للأرض: ديري بهم، فلم يزلوا كذلك حتّى إذا أسحروا
وقارب الصبح قالوا: إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا فإذا أصبحوا إذا تيههم^(٢) ومنازلهم التي
كانوا فيها بالأمس، فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتّم وأخطأتم الطريق، فلم يزلوا
كذلك حتّى أذن الله لهم فدخلوها، وقد كان كتبها لهم^(٣).

وفي الكافي: عن النبي ﷺ إنّ موسى كليم الله مات في التّيه، فصاح صائح من السماء
مات موسى وأي نفس لا تموت^(٤).

والقمّي: عن الباقر عليه السلام مات هارون قبل موسى، وماتا جميعاً في التّيه^(٥).

والقمّي: لما أراد موسى عليه السلام أن يفارقهم فزعوا، وقالوا: إنّ خرج موسى من بيننا نزل
علينا العذاب ففزعوا إليه وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم^(٦).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾: قابيل وهابيل.

١ - الوحا الوحا - بالمد والقصر - أي السرعة السرعة، وهو منصوب بفعل مضمر. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٣٢، مادة «وحا».

٢ - التّيه - بالكسر - : وتيهاء ومتيهة كسفينة وتضم الميم: كمرحلة، ومقعد مضلة، وتيّه: ضيعه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٨٢، مادة «تيه».

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٥، ح ٧٤.

٤ - الكافي: ج ٣، ص ١١١ - ١١٢، ح ٤، باب علل الموت، وأنّ المؤمن يموت بكلّ ميتة.

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٥. ٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٥.

لَنْ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق.

﴿إِذْ قُرْبًا قُربَانًا﴾: القربان: ما يتقرب به إلى الله من ذبيحة أو غيرها.

﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: لأنه رضى بحكم الله، وأخلص النية لله، وعمد إلى أحسن ما

عنده، وهو هابيل^(١).

﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾: لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه، وقصد إلى

أخس ما عنده وهو قابيل.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾^(٢): توعده بالقتل لفرط حسده له على تقبل قربانه.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: يعني إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا

من قبلي.

قيل: فيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما

به، صار المحسود محظوظاً، لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه، وأن الطاعة لا تقبل

إلا من مؤمن متقٍ^(٣).

﴿لَنْ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ﴾: وقرئ يدي بإسكان

الباء.

١ - والأفضل أن تكون هذه الجملة «وهو هابيل» في بداية الشرح، وهكذا بالنسبة إلى «قابيل» في السطر الثاني.

٢ - وفي الكلام حذف وتقدير، أي قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لأقتلك، فقال له: لم تقتلني؟ قال: إنّه

تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني، قال له: وما ذنبي «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧١.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ
فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨٠﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَقْتُلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ: أن ترجع.
﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾: لعل
غرضه بالذات أن لا يكون ذلك له لا أن يكون لأخيه، في ثواب الأعمال: عن الباقر عليه السلام: من
قتل مؤمناً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب، وبرئ المقتول منها، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي
أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾^(١).
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾: اتسعت له.

﴿قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: ديناً ودنيا إذ بقي مدة عمره مطروداً
محزوناً نادماً، في المجمع: عن الباقر عليه السلام إن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية،
فولدت في أول بطن قابيل، وقيل: قابين، وتوأمته اقليما بنت آدم، والبطن الثاني هابيل،
وتوأمته ليوذا، فلما أدرکوا جميعاً أمر الله تعالى أن ينكح آدم عليه السلام قابيل اخت هابيل، وهابيل
اخت قابيل، فرضى هابيل وأبى قابيل، لأن اخته كانت أحسنهما، وقال: ما أمر الله بهذا ولكن
هذا من رأيك، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً فرضيا بذلك، فعمد هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ
من خير غنمه وزيداً ولبناً، وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه، ثم صعدا فوضعا
القربانين على الجبل فأثت النار فأكلت قربان هابيل وتجنّبت قربان قابيل، وكان آدم غائباً
بمكة خرج إليها ليزور البيت بأمر ربه، فقال قابيل: لا عشت يا هابيل في الدنيا، وقد تقبّل
قربانك ولم يتقبّل قرباني وتريد أن تأخذ أختي الحسنة وأخذ أختك القبيحة، فقال له هابيل:

١ - ثواب الأعمال: ص ٢٧٨ - ٢٧٩، ح ٩، باب عقاب من قتل نفساً متعمداً.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ
أَخِيهِ قَالَ يَوِيلَيَّ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

ما حكاه الله تعالى، فشدخه (١) بحجر فقتله (٢).

والعبّاشي: عن الصادق عليه السلام في حديث سبق صدره في أول سورة النساء، قيل له: إنهم يزعمون أن قابيل إنما قتل هابيل لأنهما تغيّرا على اختها فقال: تقول هذا أما تستحي أن تروي هذا على نبي الله آدم عليه السلام، فقيل فقيم قتل قابيل هابيل، فقال: في الوصية ثم قال إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا فتقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله (٣).

وفي الإكمال: عن الباقر عليه السلام: قال بعد ذكر قربانيهما: وكان القربان إذا قبل تأكله النار فعمد قابيل فبنى لها بيتاً وهو أول من بنى للنار البيوت، وقال: لأعبدنّ هذه النار حتى يتقبل قرباني، ثم إن عدو الله إبليس قال لقابيل: إنه قد تقبل قربان هابيل، ولم يتقبل قربانك، فإن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل، فلما رجع إلى آدم قال له: يا قابيل أين هابيل؟ فقال: ما أدري وما بعثني راعياً له، فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولاً، فقال: لعنت من أرض كما قبلت دم هابيل، فبكى آدم على هابيل أربعين ليلة (٤). وفي الكافي عنه عليه السلام ما في معناه (٥).

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ﴾

١ - شدخت رأسه شددخاً - من باب نفع - : كسرتة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤٣٥، مادة «شدخ».

٢ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٨٣. ٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٢، ح ٨٣.

٤ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٣ - ٢١٤، ح ٢، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام، وأن الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل على خلقه إلى يوم القيامة. ٥ - الكافي: ج ٨، ص ١١٣ - ١١٤، ح ٩٢، باب حديث آدم عليه السلام مع الشجرة.

يَنُوبِلْتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
النَّدَمِينَ ﴿١﴾: على قتله، القمي: عن السجّاد عليه السلام: بعد ذكر قربانيها، قال: فلم يدرك كيف يقتله
حتى جاء ابليس فعلمه، فقال: ضع رأسه بين حجرين ثم اشدخه، فلما قتله لم يدرك ما يصنع به،
فجاء غرابان فاقتنلا حتى قتل أحدهما صاحبه، ثم حفر الذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيها
صاحبه، قال قابيل: «يَنُوبِلْتَىٰ» ^(١) الآية، فحفر له حفيرة فدفنه فيها، فصارت سنة يدفنون
الموتى، فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل، فقال له آدم: أين تركت ابني؟ قال له قابيل:
أرسلتني عليه راعياً؟ فقال آدم انطلق معي إلى مكان القربان وأوجس ^(٢) قلب آدم بالذي فعل
قابيل، فلما بلغ مكان القربان استبان قتله، فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل، وأمر آدم أن
يلعن قابيل، ونودي قابيل من السماء لعنت كما قتلت أخاك ولذلك لا تشرب الأرض الدم،
فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله فأوحى
الله إليه إني واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل، فولدت حواء غلاماً زكياً مباركاً، فلما كان
اليوم السابع أوحى الله إليه يا آدم إن هذا الغلام هبة مني لك فسمّه هبة الله، فسماه هبة الله ^(٣).
وفي المجمع: روت العامة عن الصادق عليه السلام قال: قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء ^(٤) لا
يدري ما يصنع به، فقصد السباع فحمله في جراب ^(٥) على ظهره حتى أروح ^(٦) وعكفت ^(٧)

١ - الويل: حلول الشر، وبهاء الفضيحة، أو هو تفجيع. يقال: ويله وويلك وويلي، وفي الندبة ويلاه وويله.
القاموس المحيط: ج ٤، ص ٦٦.

٢ - الوجس - كالوعد -: الفرع يقع في القلب أو السمع من صوت أو غيره. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٥٧.
مادة «وجس».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٥ - ١٦٦.
٤ - العراء بالمد: فضاء لا يتوارى فيه شجر أو غيره، ويقال: العراء وجه الأرض. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٨٨، مادة «عراء».

٥ - الجراب - بالكسر -: وعاء من إهاب شاة يودع فيه الحب والدقيق ونحوهما. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٣.
مادة «جرب».

٦ - أروح الماء وأراح: إذا تغبّر ريحه وأنتن. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦١. مادة «روح».

٧ - عكف القوم حوله: استداروا. تاج العروس: ج ٢٤، ص ١٧٩.

عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه، ثم ألماه في الحفيرة وواراه، وقابيل ينظر إليه فدفن أخاه^(١).

العياشي: عن الباقر عليه السلام إن قابيل بن آدم معلق بقرونه في عين الشمس تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة صيره إلى النار^(٢).
وعنه عليه السلام وذكر ابن آدم القاتل ف قيل له: ما حاله أمن أهل النار هو؟ فقال: سبحان الله! الله أعدل من ذلك أن يجمع عليه عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة^(٣).

وفي الإحتجاج: قال طاووس اليماني لأبي جعفر عليه السلام هل تعلم أي يوم مات ثلث الناس؟ فقال: يا عبدالله لم يميت ثلث الناس قط إنما أردت ربع الناس، قال: وكيف ذلك؟ قال: كان آدم وحواء وقابيل وهابيل فذلك ربع، قال: صدقت. قال أبو جعفر: هل تدري ما صنع بقابيل؟ قال: لا. قال: علّق بالشمس ينضح^(٤) بالماء الحار إلى أن تقوم الساعة^(٥).

وروى القمي عن الباقر عليه السلام إنه كان جالساً في المسجد الحرام فإذا طاووس في جانب الحرم يحدث أصحابه حتى قال: أتدري أي يوم قتل نصف الناس؟ فأجابه أبو جعفر عليه السلام، فقال: أو ربع الناس يا طاووس، فقال: أو ربع الناس؟ فقال: أتدري ما صنع بالقاتل؟ فقلت إن هذه المسألة، فلما كان من الغد غدوت على أبي جعفر عليه السلام فوجدته قد لبس ثيابه وهو قاعد على الباب ينتظر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله، فقال: إن بالهند أو من وراء الهند رجلاً معقولاً برجله أي واحده لبس المسح موكل به عشرة نفر كلما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدله فالتناس يموتون والعشرة لا ينقصون يستقبلونه بوجه الشمس حين تطلع ويديرونه معها حين تغيب، ثم يصبون عليه في البرد الماء البارد وفي الحر الماء الحار، قال: فمر به رجل من الناس فقال له: من أنت يا عبدالله؟ فرفع رأسه ونظر إليه ثم قال له: إما أن

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ١٨٥. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١١، ح ٨٠ و ٨١.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١١، ح ٨١. ٤- النضح: الرش. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٤١٨.

٥- الإحتجاج: ج ٢، ٦٤ - ٦٥، في أجاب الباقر عليه السلام عن مسائل طاووس اليماني.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

تكون أحق الناس، وإما أن تكون أعقل الناس، إني لقائم ها هنا منذ قامت الدنيا ما سألي أحد غيرك من أنت؟ ثم قال يزعمون أنه ابن آدم^(١).

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: القمي: لفظ الآية خاص في بني إسرائيل، ومعناها جار في الناس كلهم^(٢).

﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بغير قتل نفس يوجب الإقتصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أو بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾: هتكه حرمة الدماء، وتسنيته سنة القتل، وتجراة

الناس عليه، في الفقيه^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام واد في جهنم لو قتل الناس جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدة كان فيه^(٤).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدة عذاب أهلها لو قتل الناس جميعاً إنما كان يدخل ذلك المكان^(٥).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٦-١٦٧. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٧.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٦٨، ح ٢٠٣ / ٩، باب ١٩- تحريم الدماء والأموال بغير حقها.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٣، ح ٨٦.

٥- الكافي: ج ٧، ص ٢٧١، ح ١، باب القتل، ورواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٦٨، ح ٢٠٤ /

١٠، باب ١٩- تحريم الدماء والأموال بغير حقها.

قيل: فإنه قتل آخر، قال: يضاعف عليه^(١).

وفي رواية أخرى له فقال: في النار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك المقعد^(٢).
والعياشي: ما يقرب من الروایتين^(٣).

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾: ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع من القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلاك، فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً، القمي: قال: من أنقذها من حرق أو غرق أو هدم أو سبع أو كفله حتى يستغني أو أخرجه من فقر إلى غني، وأفضل من ذلك من أخرجها من ضلال إلى هدى^(٤).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في تفسيرها قال: من حرق أو غرق، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: ذلك تأويلها الأعظم^(٥). وفيه^(٦)، والعياشي: مثله عن الصادق عليه السلام^(٧).
وعنه عليه السلام: من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها^(٨).

وعنه عليه السلام: تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجابت له^(٩).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه كان كمن أحيا نفساً، ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً^(١٠).

١ - من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٦٨، ح ٢٠٤ / ١٠، باب ١٩ - تحريم الدماء والأموال بغير حقها؛ والكافي: ج ٧، ص ٢٧١، ح ١، وص ٢٧٢، ح ٦، باب القتل.

٢ - الكافي: ج ٧، ص ٢٧٢، ح ٦، باب القتل، وفيه: «لو قتل الناس جميعاً لم يرد إلّا إلى ذلك المقعد».

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٣، ح ٨٧. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٧.

٥ و ٦ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٠، ح ٢ و ١، باب في إحياء المؤمن.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٣، ح ٨٥ و ٨٧.

٨ و ٩ - الكافي: ج ٢، ص ٢١٠ و ٢١١، ح ١ و ٣، باب في إحياء المؤمن.

١٠ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٦، ح ٣ / ١٥١، باب ١٧ - فضل سقى الماء.

إِنَّمَا جَزَأُاَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الواضحة بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم تأكيداً للأمر وتحديداً للعهد كي يتحاموا من أمثال هذه الجنايات.

﴿ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: مجاوزون عن الحق، في المجمع: عن الباقر عليه السلام: المسرفون: هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء ^(١).

﴿إِنَّمَا جَزَأُاَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾: في الكافي ^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله قوم من بني ضبّه مرضى، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أقيموا عندي فإذا برأتم بعثتكم في سرية، فقالوا: أخرجنا من المدينة فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبواها ويأكلون من ألبانها، فلما برأوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا في الإبل وساقوا الإبل، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر فبعث إليهم علياً وهم في واد قد تحيروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه قريب من أرض اليمن فأرهم وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت عليه هذه الآية فاختر رسول الله صلى الله عليه وآله القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ^(٣).

وعنه عليه السلام: أنه سئل عن هذه الآية فقال: ذلك إلى الإمام يفعل به ما يشاء، قيل: ففوض

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٥، ح ١، باب حد المحارب.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٨٧.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٤، ح ٩٠.

ذلك إليه؟ قال: لا، ولكن نحو الجناية^(١).

وفي حديث آخر: ليس أي شيء شاء صنع، ولكنه يصنع بهم على قدر جناياتهم، من قطع الطريق فقتل، وأخذ المال: قطعت يده ورجله وصلب، ومن قطع الطريق وقتل ولم يأخذ المال: قتل، ومن قطع الطريق وأخذ المال ولم يقتل: قطع يده ورجله، ومن قطع الطريق ولم يأخذ مالاً ولم يقتل: نفي من الأرض^(٢). وفي معناه أخبار أخر^(٣).

وعن الرضا عليه السلام: ما يقرب منه، وأنه سئل كيف ينفي وما حدّ نفيه؟ فقال: ينفي من المصر الذي فعل فيه ما فعل إلى مصر آخر غيره، ويكتب إلى أهل ذلك المصر بأنه منفي فلا تجالسوه ولا تباعوه ولا تناكحوه ولا تواكلوه ولا تشاربوه، فيفعل ذلك به سنة فإن خرج من ذلك المصر إلى غيره كتب إليهم بمثل ما ذلك حتى تتم السنة^(٤).

وفي حديث آخر: فإنه سيتوب قبل ذلك وهو صاغر^(٥).

قيل: فإن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها، قال: إن توجه إلى أرض الشرك ليدخلها قوتل أهلها^(٦).

أقول: إنما يقاتل أهلها إذا أرادوا استلحاقه إلى أنفسهم وأبوا أن يسلموه إلى المسلمين ليقتلوه، وهذا معنى قوله: «قوتل أهلها».

وفي رواية أخرى للعايشي: يضرب عنقه، إن أراد الدخول في أرض الشرك^(٧).

١- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٦، ح ٥، باب حد المحارب.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٧، ح ١١، باب حد المحارب.

٣- راجع الكافي: ج ٧، ص ٢٤٧، ح ١٠، باب حد المحارب؛ وتفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٥-٣١٦، ح ٩٣ و ٩٥ و ٩٧.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٢٤-٢٤٧، ح ٨، باب حد المحارب؛ وتفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٧، ح ٩٨.

٥- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٧، ح ٩، باب حد المحارب.

٦- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٦-٢٤٧، ذيل ح ٨، باب حد المحارب.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٧، ذيل ح ٩٨.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾

وفي رواية له عن الجواد عليه السلام: في جماعة قطعوا الطريق، قال: فإن كانوا أخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا أحداً ولم يأخذوا مالاً: أمر بإيداعهم الحبس، فإن ذلك معنى نفيمهم من الأرض ^(١).

وفي رواية في الكافي: أن معنى نفي المحارب أن يقذف في البحر ليكون عدلاً للقتل والصلب ^(٢).

وعن الباقر عليه السلام: من حمل السلاح بالليل فهو محارب، إلا أن يكون رجلاً ليس من أهل الريبة ^(٣).

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾: ذلّ وفضيحة.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: قيل: الاستثناء مخصوص بما هو حق الله، أما القتل قصاصاً فإلى الأولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه، والتوبة بعد أخذه إنما تسقط العذاب دون الحد إلا أن تكون عن الشرك ^(٤).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٤-٣١٥، ذيل ح ٩١.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٧، ذيل ح ١٠، باب حد المحارب.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٢٤٦، ح ٦، باب حد المحارب.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧٣، س ١٠.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: ما تتوسلون إليه به
إلى ثوابه، والزلى منه من فعل الطاعات، وترك المعاصي بعد معرفة الإمام واتباعه من وسَّل
إلى كذا إذا تقَرَّب إليه، القمِّي: قال تقَرَّبوا إليه بالإمام عليه السلام (١).
وفي العيون: عن النبي صلى الله عليه وآله الأئمة من ولد الحسين عليه السلام من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن
عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، والوسيلة إلى الله (٢).
وفي الكافي: عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة أنها أعلى درجة في الجنة (٣)، ثم
وصفها ببسط من الكلام، من أَرادَه فليرجع إليه.
﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾: سبيل الله بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة.
﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بالوصول إلى الله والفوز بكرامته.
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾: ليجعلوه فدية لأنفسهم.
﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾: تمثيل للزوم العذاب لهم، وأنه لا
سبيل لهم إلى الخلاص منه.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٨.

٢- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥٨، ح ٢١٧، باب ٣١- فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٤، ح ٤، والحديث طويل.

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ
عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ: العياشي: عنها عليه السلام إنهم أعداء علي عليه السلام (١).
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: السرقة: أخذ مال الغير في خفية، في
الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل في كم يقطع السارق؟ قال: في ربع دينار، قيل: في درهمين،
قال: في ربع دينار بلغ الدينار ما بلغ، قيل: رأيت من سرق أقل من ربع دينار هل يقع عليه حين
سرق اسم السارق؟ وهل هو عند الله سارق في تلك الحال؟ فقال: كل من سرق من مسلم شيئاً
قد حواه وأحرزه فهو يقع عليه اسم السارق وهو عند الله سارق، ولكن لا يقطع إلا في ربع دينار
أو أكثر، ولو قطعت أيدي السارق فيما هو أقل من ربع دينار لألفيت عامة الناس مقطعين (٢).
وعنه عليه السلام: القطع من وسط الكف ولا يقطع الإبهام، وإذا قطعت الرجل ترك العقب لم
يقطع (٣).

وفي رواية تقطع الأربع أصابع وتترك الإبهام يعتمد عليها في الصلاة، ويغسل بها
وجهه للصلاة (٤). وفي معناهما أخبار آخر (٥).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٧-٣١٨، ح ١٠٠ و ١٠١.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٢١-٢٢٢، ح ٦، باب قيمة ما يقطع فيه السارق.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٢٢٢، ح ٢، باب حد القطع وكيف هو.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٢٢٥، ح ١٧، باب حد القطع وكيف هو.

٥- راجع الكافي: ج ٧، ص ٢٢٤، ح ١٣، باب حد القطع وكيف هو.

والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه كان إذا قطع السارق ترك له الإبهام والراحة، فقليل له: يا أمير المؤمنين تركت عامة يده، فقال: فإن تاب فبأي شيء يتوضأ، يقول الله: «فَنُ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(١).

وعن الجواد عليه السلام: إنَّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف، والحجة في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع^(٢)^(٣) أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تعالى: «وَأَنْ أَلَسَّجِدَ لِلَّهِ» يعني بهذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^(٤) وما كان لله لم يقطع^(٥).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في السارق إذا سرق قطعت يمينه، فإذا سرق مرة أخرى قطعت رجله اليسرى، ثم إذا سرق مرة أخرى سجنه وتركت رجله اليمنى يمشي عليها إلى الغائط ويده اليسرى يأكل بها، ويستنجي بها، وقال: إني لأستحي من الله أن أتركه لا ينتفع بشيء، ولكن أسجنه حتى يموت في السجن، وقال: ما قطع رسول الله صلى الله عليه وآله من سارق بعد يده ورجله^(٦).

والعياشي: ما يقرب منه^(٧)، وفي معناه أخبار كثيرة^(٨).
﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ﴾: عقوبة منه.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٨، ح ١٠٣.

٢ - الكر سوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر، وهو الناقى عند الرسغ. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٧٦، مادة «كرع».

٣ - وفي نسخة: [الكرع]. والكرع - بالضم -: طرف الزند الذي يلي الإبهام، والجمع أكرع. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٦، مادة «كوع».

٤ - الجن: ١٨.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢٠، ح ١٠٩.

٦ - الكافي: ج ٧، ص ٢٢٢، ح ٤، باب حد القطع وكيف هو.

٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٩، ح ١٠٦.

٨ - راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ٣١٨، ح ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ * فَمَنْ تَابَ ﴿: من السرق (١).

﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾: بعد سرقة.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: أمره برد المال، والتفصّي عن التّبعات.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يقبل توبته فلا يقطع، ولا يعذب في

الآخرة، إلا إذا كانت توبته بعد أن يقع في يد الإمام فلا يسقط القطع حينئذ وإن عفا عنه صاحبه، في الكافي: عن أحدهما عليه السلام: في رجل سرق أو شرب الخمر أو زنا فلم يعلم ذلك منه ولم يؤخذ حتّى تاب واصلح، فقال: إذا صلح وعرف منه أمر جميل لم يقيم عليه الحد (٢).

وعن الصادق عليه السلام: من أخذ سارقاً فعفا عنه فذاك له فإذا رفع إلى الإمام قطعه فإن قال الذي سرق منه: أنا أهب له لم يدعه الإمام حتّى يقطعه إذا رفع إليه، وإنما الهبة قبل أن يرفع إلى الإمام، وذلك قول الله: ﴿وَالْحَنِيفُظُونِ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ (٣) فإذا انتهى الحد إلى الإمام فليس لأحد أن يتركه (٤).

وعنه عليه السلام: أنّه سئل عن الرجل يأخذ اللص ويرفعه أو يتركه، فقال: إن صفوان بن أمية كان مضطجعاً في المسجد الحرام فوضع رداءه وخرج يهريق الماء فوجد رداءه قد سرق حين رجع إليه، فقال: من ذهب بردائي؟ فذهب يطلبه فأخذ صاحبه فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اقطعوا يده، فقال صفوان: تقطع يده من أجل ردائي يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فإننا أهبه له، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فهلاً كان هذا قبل أن ترفعه إليّ، قيل: فالإمام بمنزلة إذا رفع

١- وفي نسخة: [من السراق].

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٥٠، ح ١، باب من أتى حداً فلم يقيم عليه الحد حتّى تاب.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٢٥١، ح ١، باب العفو عن الحدود.

٤- التوبة: ١١٢.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْكُمُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخَذُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

إليه؟ قال: نعم (١).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ: في إظهاره إذا وجدوا منه فرصة.

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾: يعني المنافقين. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: أي قائلون له، أو سماعون كلامك ليكذبوا عليك.

﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾: أي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجاؤا عنك تكبراً أو إفراطاً في البغضاء، يعني مصغون لهم قائلون كلامهم أو سماعون منك

لأجلهم وللإنهاء إليهم.

﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾: يملونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بتغييره وحمله على غير المراد، وإجرائه في غير مورد أو إهماله.
 ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾: إن أُوتِيتُمْ هذا المحرّف فاقبلوه واعملوا به.
 ﴿وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ﴾: بل أفتاكم محمد ﷺ بخلافه.

﴿فَاَحْذَرُوا﴾: قبول ما أفتاكم به، قيل: كان سبب نزول هذه الآية ما مرّ في تفسير «قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ»^(١) من هذه السورة من قصّة ابن سوريا ومحاکمته بين نبينا ﷺ واليهود^(٢).

والقمي: كان سبب نزولها أنّه كان في المدينة بطنان من اليهود من بني هارون وهم النضير، وقريظة وكانت قريظة سبعائة والنضير ألفاً، وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة وكانوا حلفاء لعبدالله بن أبي، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل وكان القتيل من بني النضير قالوا لبني قريظة لا نرضى أن يكون قتيل منّا بقتيل منكم، فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتلوا حتى رضيت قريظة وكتبوا بينهم كتاباً على أنّه أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يحنّب ويحنّب ويحمّم، والتجنية^(٣): أن يقعد على جمل ويولّي وجهه إلى ذنب الجمل ويلطخ وجهه بالحماة^(٤) ويدفع نصف الدية وأيّما رجل قتل رجلاً من النضير أن يدفع إليه الدية كاملة ويقتل به، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير فبعثوا إليهم بني النضير ابعثوا إلينا بديّة المقتول وبالقاتل حتى نقتله، فقالت قريظة ليس هذا حكم التوراة، وإنّما هو شيء غلبتمونا عليه، فإمّا الدية وإمّا القتل، وإلّا فهذا محمد ﷺ بيننا وبينكم فهلّموا نتحاكم إليه فشت بنو النضير إلى عبدالله بن أبي فقالوا سل

١- المائدة: ١٥. ٢- راجع مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٩٤.

٣- وفي نسخة: [أن يحنّب ويحمّم، والحنّيب]، وفي المصدر: «أن يجنيه ويحمّم والتجنية: أن يقعد....

٤- الحماة: وهو الطين الأسود المتغير. مجمع البحرين: ج ١، ص ١٠٧، مادة «حما».

سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ
أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ
حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

محمدًا أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين قريظة في القتل، فقال عبدالله بن أبي: ابعثوا رجلاً يسمع كلامي وكلامه فإن حكم لكم بما تريدون وإلا فلا ترضوا به، فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن هؤلاء القوم قريظة والنضير قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً ترضوا به والآن في قدومك يريدون نقضه، وقد رضوا بحكمك فيهم فلا تنقض كتابهم وشرطهم فإن النضير لهم القوة والسلاح والكراع^(١) ونحن نخاف الدوائر فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك ولم يجبه بشيء فنزل عليه جبرئيل ﷺ بهذه الآية، قال: «يَحْرُقُونَ أَلَكَلَمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» يعني عبدالله بن أبي، وبني النضير وإن لم تؤتوه فاحذروا يعني عبدالله قال لبني النضير: إن لم يحكم بما تريدونه فلا تقبلوا^(٢).

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾: اختياره ليفضح.

﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾: فلن تستطيع له من الله شيئاً في دفعها.

﴿أَوَّلَتِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾: من العقوبات المرتبة على الكفر

كالختم والطبع والضيق.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هوان بالزام الجزية على اليهود، وإجلاء بني النضير منهم،

وإظهار كذبهم في كتمان الحق، وظهور كفر المنافقين، وخوفهم جميعاً من المؤمنين.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وهو الخلود في النار.

﴿سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: كرره للتأكيد.

١- الكراع: اسم لجماعة الخيل خاصة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٨٥، مادة «كرع».

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.

﴿أَكْلُونِ لِلْسُحْتِ﴾: أي الحرام من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة، وقرئ بضمّتين، وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن السحت فقال: الرشا في الحكم^(١). وعنه عليه السلام: السحت ثمن الميتة، وثن الكلب، وثن الخمر، ومهر البغي، والرشوة، وأجر الكاهن^(٢). وفي رواية: ثمن الكلب الذي لا يصيد^(٣).

وعن الباقر عليه السلام: كل شيء غلّ من الإمام فهو سحت، وأكل مال اليتيم، وشبهه سحت، والسحت أنواع كثيرة منها: أجور الفواجر، وثن الخمر، والتبذير المسكر، والربا بعد البيّنة، وأمّا الرشا في الحكم فإنّ ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله^(٤).

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن قاض بين فريقين يأخذ من السلطان على القضاء الرزق قال: ذلك السحت^(٥).

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: «أَكْلُونِ لِلْسُحْتِ»، قال: هو الرجل يقضي لأخيه الحاجة، ثمّ يقبل هديته^(٦).

والقميّ: قال: السحت بين الحلال والحرام: وهو أن يواجر الرجل نفسه على المسكر، ولحم الخنزير، وإتخاذ الملاهي فإجارتها نفسه حلال، ومن جهة ما يحمل ويعمل هو سحت^(٧). ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: تخيير له، في التهذيب: عن الباقر عليه السلام إنّ الحاكم إذا أتاه أهل التوراة والإنجيل يتحاكمون إليه كان ذلك إليه إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم^(٨).

١- الكافي: ج ٥، ص ١٢٧، ح ٤، باب السحت.

٢- الكافي: ج ٥، ص ١٢٦-١٢٧، ح ٢، باب السحت.

٣- الكافي: ج ٥، ص ١٢٧، ح ٥، باب السحت. ٤- الكافي: ج ٥، ص ١٢٦، ح ١، باب السحت.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤، ح ١٢/١، باب ٥- كراهة أخذ الرزق على القضاء.

٦- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٨، ح ١٦، باب ٣١- فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٧- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٠.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٠٠، ح ٨٣٨/ ٤٥، باب الزيادات في القضايا والأحكام.

وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرِيَّةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوَلِّيتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
التَّوْرِيَّةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّاسِخُونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا
تَشْتَرُوا بِبَيِّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾: بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل الذي أمر الله به.
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ * وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرِيَّةُ فِيهَا حُكْمُ
اللَّهِ: تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، والحال إن الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي عندهم، وفيه تنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا
به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في زعمهم.
﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد
التحكيم.

﴿وَمَا أُوَلِّيتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: بكتابهم لإعراضهم عنه أولاً وعمّا يوافقه ثانياً.
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرِيَّةَ فِيهَا هُدًى﴾: بيان للحق.
﴿وَنُورٌ﴾: يكشف ما أסתبه من الأحكام.

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾: انقادوا لله، قيل: وصفهم بالإسلام لأنه دين الله (١).

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾: يحكمون لهم.

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾: يحكم بها الربانيون والأحبار.

﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾: العياشي: عن الصادق

عليه الصلاة والسلام: الربانيون: هم الأئمة دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم، والأحبار: هم العلماء دون الربانيين، قال: ثم أخبر عنهم فقال: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ ولم يقل بما حملوا منه (٢).

وعن الباقر عليه السلام هذه الآية: فينا نزلت (٣).

﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾: قيل: نهى للحكام أن يخشوا غير الله في

حكوماتهم، ويدهانوا فيها (٤).

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾: ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها.

﴿مَنْنًا قَلِيلًا﴾: من رشوة أو جاه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾: في الكافي: عن

النبي ﷺ من حكم بدرهين بحكم جور ثم جبر عليه كان من أهل هذه الآية (٥).

وعن الباقر والصادق عليه السلام: من حكم في درهين بغير ما أنزل الله ممن له سوط أو عصا

١- قاله ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٩٨، س ١.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢٢- ٣٢٣، ح ١١٩.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢٢، ح ١١٨.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧٦، س ١٤.

٥- الكافي: ج ٧، ص ٤٠٨، ح ٣، باب من حكم بغير ما أنزل الله عز وجل. وإليك تمة الحديث: فقلت: وكيف يجبر عليه؟ فقال: يكون له سوط وسجن فيحكم عليه فإذا رضي بحكمه وإلا ضربه بسوطه وجسه في سجنه.

هكذا ورد في تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢٣، ح ١٢٠.

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ (١).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وفرضنا على اليهود.

﴿فِيهَا﴾: في التوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (٢): أي تقتل بها.

﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ (٣): تنفقاً بها.

﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾: تجدع (٤) بها.

﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾: تصلم (٥) بها.

﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾: تقلع بها.

﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذات قصاص، وقرئ بالرفع في الخمس، وبتخفيف الأذن،

١ - الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧، ح ١، باب من حكم بغير ما أنزل الله عز وجل.

٢ - أي إذا قتلت نفس نفساً أخرى عمداً فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلاً مميزاً وكان المقتول مكافئاً للقاتل.

٣ - أي تعتبر المماثلة في السلامة وعدمها عند إجراء عملية القصاص بين الشخصين في العين، والأنف، والأذن، والسِّنَّ، وجميع الأطراف، وإذا امتنع في مورد القصاص في النفس فهكذا يمتنع في الأطراف أيضاً.

٤ - المجدع: قطع الأنف، والأذن، والشفة، واليد. تقول: جدعته فهو أجدع والأثنى جدعاء. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣١٠.

٥ - الصلم: القطع، أو قطع الأذن والأنف من أصله. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٤٠.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنِّنَّهُ الْأَنْجِيلُ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
وَلِيُخَكِّمَ أَهْلَ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَخُكِّمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾

القمي: هي منسوخة بقوله: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرِّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ»^(١) وقوله: «وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ» لم ينسخ^(٢).

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ﴾: بالقصاص، أي عفا عنه.

﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من
جراح وغيره^(٣). وفي الفقيه: مثله إلا أنه قال: ما عفا عن العمد^(٤).

﴿وَمَن لَّمْ يَخُكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: من القصاص وغيره.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم: واتبعنا على آثار النبيين

الذين أسلموا.

﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنِّنَّهُ الْأَنْجِيلُ
فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾:
إنما خصهم بالذكر مع عموم الموعظة لأنهم اختصوا بالانتفاع به.

﴿وَلِيُخَكِّمَ﴾: وقرئ بكسر اللام وفتح الميم.

١- البقرة: ١٧٨. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٦٩.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٣٥٨، ح ٢، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٨٠، ح ٢٥١ / ١٤، باب ٢٢- القود ومبلغ الدية.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً
وَمِنْهَا جَاوِزًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ
فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

﴿أَهْلُ الْأَنْحِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ: أي القرآن.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: من جنس الكتب المنزلة.
﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: ورقبياً على سائر الكتب يحفظه عن التغير^(١)، ويشهد له
بالصحة والثبات.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: أي أنزل إليك.
﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾: بالانحراف عنه إلى ما يشتهونه.
﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾: أيها الناس.
﴿شُرْعَةً﴾: شريعة، وهي الطريق إلى الماء شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب
الحياة الأبدية.

﴿وَمِنْهَا جَاوِزًا﴾: وطريقاً واضحاً، من نهج الأمر إذا أوضح، وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام
في حديث فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين جعل لكل منهم شرعة

وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَخْذَرُهُمْ
أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

ومنهاجاً، والشرعة والمناهج سبيل وسنة، قال: وأمر كل نبي بالأخذ بالسبيل والسنة، وكان
من السبيل والسنة التي أمر الله بها موسى عليه السلام أن جعل عليهم السبت^(١).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعة متفقة على دين واحد.

﴿وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر

وقرن، هل تعلمون بها مصدقين بوجود الحكمة في اختلافها.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: فابتدروها انتهزاً للفرصة وحياسةً لقلب السبق والتقدم.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾: وعد ووعد للمبادرين والمقصرين.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَحْتَلِفُونَ﴾: بالجزاء الفاصل بين الحق والمبطل، والمبادر والمقصر.

﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: قيل: عطف على «الكتاب»، أي أنزلنا إليك

الكتاب والحكم، أو على «الحق»، أي أنزلناه بالحق وبأن احكم، ويجوز الاستئناف بتقدير
وأمرنا «أن احكم»^(٢).

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنما كرّر الأمر بالحكم بينهم لأنهما حكام أمر بهما جميعاً لأنهم

احتكموا إليه في الزنا المحصن ثم احتكموا إليه في قتل كان بينهم^(٣).

١- الكافي: ج ٢، ص ٢٩، س ٨، ح ١، باب ١٠.

٢- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧٨، س ٥.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٠٤. وفيه: «ثم احتكموا إليه في قتل كان بينهم».

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾: أَنْ يَضْلُوكَ وَيَصْرِفُوكَ.
 ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: عَنْ الْحُكْمِ الْمُنْزَلِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ.
 ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾: فِيهِ تَنْبِيهِ عَلَى أَنَّ لَهُمْ ذُنُوباً
 كَثِيرَةً، وَالتَّوَلَّى عَنْ حُكْمِ اللَّهِ مَعَ عَظَمَتِهِ وَاحِدٍ مِنْهَا مَعْدُودٌ مِنْ جَمَلَتِهَا.

﴿وَإِنْ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنْ امْتِنَاعِ الْقَوْمِ مِنَ
 الْإِقْرَارِ بِنُبُوَّتِهِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى إِجَابَتِهِ بِأَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ قَلِيلٌ، وَأَنَّ أَهْلَ الْفَسْقِ كَثِيرٌ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ
 يَعْظُمَ ذَلِكَ عَلَيْكَ.

﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: انْكَارٌ عَلَى تَوَلِّيهِمْ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ، وَقُرِئَ بِالتَّاءِ.
 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: أَيُّ هَذَا الْإِسْتِفْهَامِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
 فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَتَدَبَّرُونَ الْأُمُورَ وَيَتَحَقَّقُونَ الْأَشْيَاءَ بِأَنْظَارِهِمْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ لَا أَحْسَنَ حُكْمًا مِنْ
 اللَّهِ، وَفِي الْكَافِي: عَنِ الصَّادِقِ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: الْحُكْمُ حُكْمَانِ، حُكْمُ اللَّهِ،
 وَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَنْ أَخْطَأَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَنْ
 أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» وَاشْهَدُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ لَقَدْ حُكِمَ فِي الْفَرَائِضِ بِحُكْمِ
 الْجَاهِلِيَّةِ (١) (٢).

١ - الكافي: ج ٧، ص ٤٠٧، والحديث مركب من حديثين أحدهما ذيل ح ١، وثانيها ذيل ح ٢، إلا أنه عن الباقر
 عليه السلام، باب أصناف القضاة.

٢ - حيث عمل زيد بن ثابت بالعدل، والتعصيب، وغيرهما اجتهداً منه، وعملاً برأيه، واتباعاً لعمر، وخلافاً
 لأمر المؤمنين عليه السلام.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ
أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي
أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾: لا تعتمدوا

على الإستنصار بهم متوددين إليهم، ولا تعاشرهم معاشرة الأحاباب.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: في العون والنصرة ويدهم واحدة عليكم، وهم المتفقون

في مضادّ تكلم.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: من استنصر بهم فهو كافر مثلهم، العياشي: عن

الصادق عليه السلام من تولى آل محمد صلوات الله عليهم وقدمهم على جميع الناس بما قدمهم من

قربة رسول الله ﷺ فهو من آل محمد صلوات الله عليهم بمنزلة آل محمد صلوات الله عليهم

أجمعين لا أنه من القوم بأعيانهم، وإنما هو منهم بتوليّه إليهم، واتباعه إيتاهم، وكذلك حكم الله

في كتابه: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ»، وقول إبراهيم عليه السلام: «فَنَنْتَعِبْ فَإِنَّهُ مِنِّي» (٢)(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم والمؤمنين بمولاة

الكفار.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾: كابين أبي وأضرابه.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ
 أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾

﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾: في موالاتهم ومعاونتهم.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من الدوائر بأن ينقلب الأمر وتكون الدولة للكفار، روي أن عباد بن الصامت قال لرسول الله ﷺ: إن لي موالى من اليهود كثيراً عددهم وإني أبرء إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله، فقال ابن أبي: إنني رجل أخاف الدوائر لا أبرئ من ولاية موالى فنزلت (١).

﴿فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾: لرسوله.

﴿أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِنْدِهِ﴾: فيه إعزاز المؤمنين وإذلال المشركين وظهور الإسلام.

﴿فَيُضْطَبَّحُوا﴾: أي هؤلاء المنافقين.

﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: من التفاق والشك في أمر الرسول.

﴿نَدِيمِينَ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام في تأويل هذه الآية اذن في هلاك بني أمية

بعد إحراق زيد سبعة أيام (٢).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بعضهم لبعض أو لليهود، وقرئ بدون واو العطف

وبالتنصب، عطفًا على يأتي.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾: تعجباً من

المنافقين، وتبجحاً (٣) بما من الله عليهم من الإخلاص، وجهد الإيمان: أغلظها.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾: إما من جهة المقول، أو من قول الله

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧٩، ج ٦. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢٥-٣٢٦، ح ١٣٣.

٣- البجح: الفرح، وبجحته فتبجح: أي فوحته ففرح. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٤١، مادة «بجح».

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَزِتَدُّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي
 اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى
 الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
 ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمِهِ ﴿٥٤﴾

شهادة لهم، وفيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم ما أخسرهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَزِتَدُّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ﴾: وقرئ يرتدد بالين جوابه محذوف يعني فلن يضرب دين الله شيئاً فإن الله لا يخلى دينه من أنصار يحمونه، القمي: قال: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم وارتدوا عن دين الله (١).

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: يحبهم الله ويحبون الله، وقد سبق معنى المحبة من الله ومن العباد.

﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: رحاء عليهم من الذل بالكسر الذي هو اللين لا من الذل بالضم الذي هو الهوان.

﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: غلاظ شداد عليهم من عزه إذا غلبه.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾: فيما يأتون من الجهاد والطاعة، في الجمع: عن الباقر

والصادق عليه السلام هم أمير المؤمنين وأصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين (٢).

قال: ويؤيد هذا أن النبي ﷺ وصفه بهذه الصفات حين ندبه لفتح خير بعد أن ردَّ عنها حامل الراية إليه مرّة بعد أخرى، وهو يحبُّ النَّاسَ ويحبُّونَه لأُعطيَنَّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله كزاراً غير فزار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ثمَّ أعطاه إياه فأما الوصف باللّين على أهل الإيمان والشدة على الكفّار والجهاد في سبيل الله مع أنه لا يخاف لومة لائم فمما لا يمكن دفع علي عن إستحقاق ذلك لما ظهر من شدّته على أهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرافة بالمؤمنين^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوم البصرة: والله ما قوتل أهل هذه الآية حتّى اليوم وتلا هذه الآية^(٢).

وعن النبي ﷺ يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجنّبون عن الحوض، فأقول: يا ربِّ أصحابي أصحابي، فيقال: لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري^(٣).

والقمّي: إنّها نزلت في مهدي الأئمة وأصحابه عليهم السلام وأولها خطاب لمن ظلم آل محمد صلوات الله عليهم وقتلهم وغصبهم حقّهم^(٤).

وفي المجمع: ويمكن أن ينصر هذا بأنّ قوله سبحانه «فسوف يأتي الله بقوم» يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب، فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة إلى قيام الساعة^(٥).

أقول: لا منافاة بين الروایتين على ما حقّقناه في المقدّمات من جواز التعميم. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾: أي محبتهم لله سبحانه، ولين جانبهم للمؤمنين، وشدّتهم على الكافرين، تفضّل من الله، وتوفيق ولفظ منه، ومنة من جهته.

٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٠٨.

١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٠٨.

٣- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٠٨. وفيه: فيجلون.

٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٠٨- ٢٠٩.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٠.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝

﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: ويعطيه من يعلم أنه محل له.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: جواد لا يخاف نفاد ما عنده.

﴿عَلِيمٌ﴾: عوِض جوده وعطائه.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية يعني أولى بكم، أي
أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا» يعني علياً وأولاده
الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة، ثم وصفهم الله عز وجل فقال: «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ»، وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر، وقد صلى ركعتين وهو راكع
وعليه حلة قيمتها ألف دينار، وكان النبي صلى الله عليه وآله أعطاه إياها، وكان النجاشي أهداها له، فجاء
سائل فقال: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدق على مسكين فطرح
الحلة إليه وأومى بيده إليه أن إحملها فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية، وصير نعمة أولاده
بنعمته فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون،
والسائل الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون
من الملائكة^(١).

وعنه، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، في قوله عز وجل: «يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا»^(٢)،
قال: لما نزلت «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ»^(٣) الآية اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد

١ - الكافي: ج ١، ص ٢٨٨، ح ٣، باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً.

المدينة، فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما، وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسايط علينا علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: قد علمنا أن محمداً عليه السلام صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع علياً فيها أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية «يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» يعني ولاية علي وأكثرهم الكافرون بالولاية^(١).

وعنه عليه السلام إنه سئل الأوصياء طاعتهم مفروضة؟ قال: نعم، هم الذين قال الله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^(٢)، وهم الذين قال الله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(٣).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث، فقال المنافقون: هل بقي لربك بعد الذي فرض علينا شيء آخر يفترضه فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره، فأنزل الله في ذلك «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً»^(٤)، يعني الولاية، فأنزل الله «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية، وليس بين الأمة خلاف أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد منهم وهو راع غير رجل واحد، ولو ذكر اسمه في الكتاب لأسقط مع ما أسقط^(٥).

وعن الباقر عليه السلام، عن رسول الله عليه السلام في حديث في قوله سبحانه: «يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»^(٦) قال: وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية أن جبرئيل هبط إلي مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى علي بذلك آية من كتابه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

١- الكافي: ج ١، ص ٤٢٧، ح ٧٧، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام.

٢- النساء: ٥٩.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٨٧، ح ٧، باب فرض طاعة الأمة.

٤- سبأ: ٤٦.

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٩، إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن

٦- المائدة: ٦٧.

متشابهة تحتاج إلى التأويل.

وَرَسُولُهُ»، الآية، وعلي بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة، وآتى الزكاة وهو راعٍ يريد الله عزّ وجلّ في كلّ حال^(١).

وفي الخصال: في احتجاج علي صلوات الله عليه على أبي بكر، قال: فأشددك بالله أليّ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم أم لك؟ قال: بل لك^(٢).

وفيه: في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال عليه السلام: وأما الخامسة والستون فإنّي كنت أصليّ في المسجد فجاء سائل وأنا راعٍ فناولته خاتمي من اصبعي فأنزل الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، الآية^(٣).

والقمي: عن الباقر عليه السلام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس وعنده قوم من اليهود وفيهم عبدالله بن سلام إذ نزلت عليه هذه الآية فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسجد فاستقبله سائل فقال: هل أعطاك أحد شيئاً، قال: نعم، ذاك المصليّ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام^(٤). والأخبار مما روته العامة والخاصّة في أنّ هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة جداً^(٥).

ونقل في الجمع: عن جمهور المفسّرين أنّها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدّق بخاتمه في ركوعه، وذكر قصّته عن ابن عباس وغيره^(٦).

ويمكن التوفيق بين ما رواه في الكافي أنّ المصدّق به كان حلّة وبين ما رواه غيره واشتهر بين الخاصّة والعامة أنّه كان خاتماً بأنّه عليه السلام لعلّه تصدّق في ركوعه مرّة بالحلّة^(٧)، وأخرى

١- الإحتجاج: ج ١، ص ٧٣، في حديث الغدير.

٢- الخصال: ص ٥٤٩ - ٥٥٠، ح ٣٠، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بثلاث وأربعين خصلة.

٣- الخصال: ص ٥٨٠، ح ١، سطر ٨، أبواب السبعين وما فوقه.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٠.

٥- أمّا الخاصّة فقد تقدّم بعضها، وأمّا العامة: فلا يسعني أن أذكر جميع ما ورد، ولكن انظر شواهد التنزيل

للكاظم الحسكاني: ج ١، ص ٢٠٩ - ٢٤٦. ٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢١٠.

٧- الكافي: ج ١، ص ٢٨٨، ح ٣، باب ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً.

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

بالخاتم والآية نزلت بعد الثانية، وفي قوله تعالى: «وَيُؤْتُونَ» إشعار بذلك لتضمنه التكرار والتجدد كما إنه فيه إشعاراً بفعل أولاده أيضاً.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾: فإن هم الغالبون، وضع الظاهر موضع المضمّر تنبيهاً على البرهان عليه، وكأنه قيل: فإنهم حزب الله وإن حزب الله هم الغالبون، وتنوياً^(١) بذكرهم، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم، وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان، وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم.

في المجالس: عن الباقر عليه السلام في قوله: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ»، الآية، قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا منهم عبدالله بن سلام، وأسد، وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا نبي الله إن موسى عليه السلام أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيتك يا رسول الله؟ ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، الآية، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم هذا الخاتم، قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي، قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راکعاً، فكبر النبي صلى الله عليه وآله وكبر أهل المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب عليه السلام وليكم بعدي قالوا: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً، وبعلي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ولياً، فأنزل الله «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ

١ - نوهت باسمه - بالتشديد - : إذا رفعت ذكره، ونوهته تنوياً: إذا رفعت. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٣٦٤، مادة

يَتَّيْمُهُمُ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ لَا يَدْرِي السَّاعَةَ أَتَىٰ أَمُومًا
وَلَعِبَاءٌ مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافَّةَ أُولِيَاءُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

اللَّهُ هُمُ الْغَالِبُونَ» (١).

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: والله لقد تصدقت بأربعين خاتماً وأنا راكم لينزل في ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل (٢).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام «وَالَّذِينَ آمَنُوا» في هذا الموضع هم المؤمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر (٣).

وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة آخذاً بحجزة ربه ونحن آخذون بحجزة نبينا صلى الله عليه وآله وشيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشيعتنا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، والله ما يزعم أنها حجزة الإزار ولكنها أعظم من ذلك يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله آخذاً بدين الله ونحن نحجيء آخذين بدين نبينا صلى الله عليه وآله ونحجيء شيعتنا آخذين بديننا (٤).

﴿يَتَّيْمُهُمُ الْوَالِدَانِ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافَّةَ أُولِيَاءُ﴾: وقرئ الكفار بالجر، رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزواً ولعباً إيماء إلى العلة وتنبيهاً على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاته جدير بالمعاداة.

١- الأمل للشيخ الصدوق: ص ١٠٧-١٠٨، ح ٤، المجلس السادس والعشرون.

٢- الأمل للشيخ الصدوق: ص ١٠٨، ذيل ح ٤، المجلس السادس والعشرون.

٣- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٩، سطر ١٥، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من

القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ٤- التوحيد: ص ١٦٦، ح ٣، باب ٢٣- معنى الحجزة.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَاهِلَ آلِ كِتَابٍ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا
 إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ
 أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾

قيل: نزلت في رفاعه بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال
 من المسلمين يوادونها^(١).

خَصَّ الْمُنَافِقِينَ بِاسْمِ الْكُفَّارِ وَإِنْ عَمَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَتَضَاعِفَ كُفْرَهُمْ.
 ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا
 وَلَعِبًا: اتخذوا الصلاة والمناداة مضحكة، روي أن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول:
 أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، قال: أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله
 نيام فتطاير شرارة في البيت فأحرقه وأهله^(٢).
 ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: فَإِنَّ السَّفَهَ يُوْدِي إِلَى الْجَهْلِ بِالْحَقِّ وَالْهَزْءَ بِهِ،
 وَالْعَقْلُ يَنْعِيهِ مِنْهُ.

﴿قُلْ يَتَاهِلَ آلِ كِتَابٍ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا﴾: هل تنكرون منا وتعيبون.
 ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾: بالكتب المنزلة كلها.
 ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾: وبأن أكثركم خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة
 وحسداً على منزلة النبوة.

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢١٢؛ وتفسير أبي السعود: ج ٣، ص ٥٣.

٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٨١.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ
وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ﴾: المنقوم، يعني إن كان ذلك شرًّا عندكم فأنا
أخبركم بشرٍّ منه.

﴿مَثُوبَةً﴾: جزاءً ثابتاً.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: والمثوبة مختصة بالخير، كالعقوبة بالشر، وضعت هاهنا موضعها على
طريقة قوله سبحانه: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^(١).

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده من رحمته.

﴿وَعَظِيبَ عَلَيْهِ﴾: وسخط عليه بكفره وانهماكه في المعاصي بعد وضوح الآيات.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾: مسخهم.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾: ومن عبد الطاغوت وهو الشيطان، وكل من عبد من دون الله،

وقرئ بضم الباء وجرّ التاء.

قيل: من جعل القردة هم أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى على نبينا
وعليه السلام^(٢).

وقيل: إنهما معاً أصحاب السبت، مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير، ومن عبد
الطاغوت أصحاب العجل^(٣)، ويأتي ما ورد في ذلك في هذه السورة.

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا
 بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ
 يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَبِئْسَ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنِ
 قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أُولَئِكَ﴾: الملعونون.

﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: عن قصد الطريق المتوسط بين
 غلو النصارى وغلو اليهود، والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقاً لا بإضافة إلى
 المؤمنين.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا﴾: القمي: نزلت في عبدالله بن أبي^(١).
 ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾: يخرجون من عندك كما دخلوا لا
 يؤثر فيهم ما سمعوا منك.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾: من الكفر فيه، وعيد لهم.
 ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ﴾: المعصية.
 ﴿وَالْعُدْوَنِ﴾: تعدى حدود الله.
 ﴿وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ﴾: الحرام كالرشوة.
 ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ: علماءهم.
 ﴿عَنِ قَوْلِهِمُ الْأَثْمَ﴾: كالكذب وكلمة الشرك مثل قولهم: «عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ»^(٢).

﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ﴾: قيل: لولا إذا دخل على الماضي أفاد التوبيخ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التخصيص^(١).

﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: ذمهم بأبلغ ذم مرتكبي الكبائر، لأن كل عامل لا يسمى صانعاً حتى يتمكن في عمله ويتمهر، والوجه فيه أن ترك الحسنة أقبح من موازنة المعصية لأن النفس تلذذ بالمعصية، وتقبل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها. وعن ابن عباس: هي أشد آية في القرآن^(٢).

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبة له: إنما هلك من كان قبلكم حينما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، وأنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، الحديث^(٣).

وفي كلام آخر له عليه السلام في حديث رواه ابن شعبة في تحف العقول قال: اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار يقول: «لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ»، وقال: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٤) إلى قوله: «لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^(٥).

وقد مضى أخبار آخر في ذلك في سورة آل عمران عند قوله تعالى: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ»^{(٦)(٧)}.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٨٣، س ٤.

٢- تفسير أبي السعود: ج ٣، ص ٥٧؛ وراجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٨٣؛ والكشاف: ج ١، ص ٦٥٤.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٥٧، ح ٦، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- المائدة: ٧٨.

٥- المائدة: ٧٩. ٦- آل عمران: ١٠٤.

٧- تحف العقول: ص ٢٣٧، ح ١، من كلامه عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيزِدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَآلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: قيل: غلَّ اليد كناية عن البخل وبسطها عن الجود^(١)، والقَمِي: قال: قالوا: قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول فردَّ الله عليهم، فقال: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» أي يقدم ويؤخر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة^(٢).

وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ الله من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، قال الله جلَّ جلاله تكذيباً لقولهم: «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا» بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» ألم تسمع الله تعالى يقول: «يُحِبُّوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(٣) (٤).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام في كلام له في إثبات البداء مع سليمان المروزي، وقد كان ينكره فقال عليه السلام: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب، قال: أعود بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال عليه السلام: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» يعنون أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٦٥٤.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧١. ٣- الرعد: ٣٩.

٤- التوحيد: ص ١٦٧ - ١٦٨، ح ١، باب ٢٥ - معنى قوله عز وجل: «قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ».

شيئاً، الحديث (١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام يعنون أنه قد فرغ مما هو كائن (٢).

﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾: دعاء عليهم.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: تشية اليد، إشارة إلى تقابل أسماؤه سبحانه، وكناية عن

غاية الجود، فإن الجواد في الغاية إنما يعطي بيديه جميعاً.

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: على ما تقتضيه الحكمة والصلاح.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: على

طغيانهم وكفرهم كما يزداد المريض مرضاً من تناول غذاء الأصحاء.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوتَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾: فكلباتهم مختلفة

وقلوبهم شتى، فلا يقع بينهم موافقة.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلما أرادوا محاربة غلبوا. قيل: كانوا

في أشد بأس وأمنع دار حتى أن قريشاً كانت تعتضد بهم، وكان الأوس والخزرج تتكثر

بظاهرتهم فذلّوا وقهروا، وقتل النبي ﷺ بني قريظة وأجلى بني النضير، وغلب على خير

وفدك، واستأصل الله شأفتهم (٣) حتى إن اليوم تجد اليهود في كل بلدة أذلّ الناس (٤).

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: الفساد بمخالفة أمر الله والإجتهاد في محو ذكر

الرسول من كتبهم.

قيل: لما خالفوا حكم التوراة سلّط الله عليهم بخت نصر، ثم أفسدوا فسلّط الله عليهم

١- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٨٢، ح ١، باب ١٣- في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٠، ح ١٤٧.

٣- الشافعية: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو إذا قطعت مات صاحبها، والأصل: واستأصل الله شأفته: أذهب كما تذهب تلك القرحة، أو معناه أزاله من أصله. القاموس المحيط: ج ٣، ص ١٥٦، مادة «شاف».

٤- قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٢١.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرِينَ
وَالْأَنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ
تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا
يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

فطرس الرّومي، ثمّ أفسدوا فسلب الله عليهم الجوس، ثمّ أفسدوا فسلب الله عليهم المسلمين^(١).

﴿وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾: فلا يجازيهم إلّا شرّاً.
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾: بمحمد ﷺ وبما جاء به.
﴿وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: التي فعلوها ولم يؤاخذهم بها.
﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: فإنّ الإسلام يحبّ ما قبله وإنّ جلّ.
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرِينَ وَالْأَنْجِيلَ﴾: بإذاعة ما فيها، والقيام بأحكامها.
﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: في الكافي^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام يعني
الولاية^(٣).

﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: لو سّع عليهم أرزاقهم، وأفيض عليهم
بركات من السماء والأرض، القميّ: قال: من فوقهم: المطر، ومن تحت أرجلهم: الثّبات^(٤).
﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: قد دخلوا في الإسلام. القميّ: قوم من اليهود دخلوا في

١ - راجع الكشف: ج ١، ص ٦٥٧، وروح المعاني (تفسير الآلوسي): ج ٦، ص ١٨٣.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٤١٣، ح ٦٦، باب فيه نكت ونف من التنزيل في الولاية.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٠، ح ١٤٩. ٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٧١.

يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

الإسلام فسمّاهم الله مقتصد^(١).

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: وفيه معنى التعجب، أي ما أسوء عملهم وهم
الذين أقاموا على الجحود والكفر.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: يعني في علي صلوات الله عليه،
فعنهم عليه السلام: كذا نزلت^(٢).

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾: إن تركت تبليغ ما أنزل إليك في ولاية علي عليه السلام
وكنتمه كنت كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك في استحقاق العقوبة، وقرئ رسالته على
التوحيد.

﴿وَاللَّهُ يَفْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾: يمنعك من أن ينالوك بسوء.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: في الجوامع: عن ابن عباس، وجابر بن
عبد الله رضي الله عنه إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه الصلاة والسلام للناس ويخبرهم
بولايته، فتخوّف عليه وآله السلام أن يقولوا حابي ابن عمّه وأن يشقّ ذلك على جماعة من
أصحابه فنزلت هذه الآية فأخذ بيده يوم غدیر خم وقال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»،

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٧١.

٢ - راجع كتب التفسير والأحاديث في ذيل هذه الآية تجد في أغلبها أنّها وردت في علي عليه السلام كالجمع: ج ٣ - ٤،
ص ٢٢٣ حيث يتعرض الأقوال وينقل الروايات.

وقرئ: «فَمَا بَلَّغَتْ رِسَالَتَهُ»^(١).

والعياشي: عنها عليه السلام ما في معناه^(٢).

ورواه في المجمع عن الثعلبي والحسكاني وغيرهما من العامة^(٣).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في حديث، ثم نزلت الولاية وإنما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة أنزل الله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه، فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: أُمِّتِي حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله بتلة^(٤) أوعدي إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت: «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ» الآية، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَن كَانَ قَبْلِي إِلَّا وَقَدْ كَانَ عَمْرَهُ اللَّهُ، ثُمَّ دَعَاهُ فَأَجَابَهُ فَأَوْشَكَ أَنْ أَدْعَى فَأُجِيبُ، وَأَنَا مَسْئُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فقالوا: نشهد أنك قد بَلَّغْتَ ونصحت وأدّيت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين، فقال: اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا وَلِيِّكُمْ مِنْ بَعْدِي فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام وَاللَّهُ أَمِينٌ عَلَى خَلْقِهِ، وَغِيْبِهِ وَدِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ^(٥).

وعنه عليه السلام: أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ بِوِلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» الآية، وفرض ولاية أولى الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداً ﷺ أَنْ يَفْسِّرَ لَهُمُ الْوِلَايَةَ كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ، فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ضَاقَ بِذَلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَخَوَّفَ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وَأَنْ يَكْذِبُوهُ فَضَاقَ صَدْرُهُ وَرَاجَعَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

١- جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٤٢. وفي نسخة: [حامي].

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣١-٣٣٢، ح ١٥٢.

٣- مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٢٢٣.

٤- بتلت الشي أبنته - بالكسر -: إذا قطعت، وأبنته من غيره. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣١٦، مادة «بتل».

٥- الكافي: ج ١، ص ٢٩٠، ح ٦، باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً فواحداً.

فأوحى الله تعالى إليه «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» الآية، وصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدیر خم فنادی الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب، قال عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»^(١) قال: يقول الله تعالى عز وجل «لا أنزل عليكم بعدها فريضة قد أكملت لكم الفرائض»^(٢).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام أنه قال: قد حجَّ رسول الله ﷺ من المدينة، وقد بلغ جميع الشرائع قومه غير الحجِّ والولاية، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيدي حجتي، وقد بقى عليك من ذلك فريضتان ممّا يحتاج أن تبلغها قومك: فريضة الحج، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإني لم أدخل أرضي من حجة ولن أخلها أبداً، فإن الله يأمرك أن تبلغ قومك الحجَّ تحجّ ويحجّ معك كل من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب، وتعلمهم من حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع.

فنادى منادي رسول الله ﷺ في الناس: ألا أن رسول الله ﷺ يريد الحج، وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على ما أوقفكم عليه من غيره، فخرج رسول الله ﷺ، وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحجَّ بهم، وبلغ من حج مع رسول الله ﷺ من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى سبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون، فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك رسول الله ﷺ أخذ البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل سنة بسنة ومثلاً

بعثل واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة.

فلما وقف بالموقف أتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال: يا محمد ﷺ إن الله تعالى يقربك السلام ويقول لك: إنه قد دنا أهلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محيص، فاعهد عهدك وقدم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك، والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء ﷺ، فسلمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك، حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب ﷺ، فأقمه للناس علماً وجدد عهده وميثاقه وبيعته، وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واظقتهم به وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية ولي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي بن أبي طالب ﷺ، فإنني لم أقبض نبياً من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني وإتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي، وذلك كمال توحيد وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتباع ولي وطاعته، وذلك إنني لا أترك أرضي بغير ولي ولا قيم ليكون حجة لي على خلقي، فاليوم «أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» الآية، بولاية ولي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي عبيدي ووصي نبيي، والخليفة من بعده، وحجتي البالغة على خلقي مقرون طاعته بطاعة محمد ﷺ نبي ومقرون طاعته مع طاعة محمد ﷺ بطاعتي، من أطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني، وجعلته علماً بيني وبين خلقي، من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، ومن أشرك ببيعته كان مشركاً، ومن لقيني بولايته دخل الجنة، ومن لقيني بعدواته دخل النار، فأقم يا محمد علياً صلوات الله عليهما علماً، وخذ عليهم البيعة، وجدد عليهم عهدي وميثاقي الذي واظقتهم عليه، فإنني قابضك إلي ومستقدمك علي.

فخشي رسول الله ﷺ قومه وأهل التفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرف من عدواتهم، ولما تنطوي عليه أنفسهم لعلي ﷺ من البغضة، وسأل جبرئيل ﷺ أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرئيل بالعصمة من الناس عن الله جل اسمه، فأخّر ذلك إلى أن بلغ مسجد الخيف^(١)، فأتاه جبرئيل ﷺ في مسجد الخيف فأمره أن يعهد

١ - الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف بمنى لأنه بني في خيف الجبل. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٥٨، مادة «خيف».

عهده وقيم علياً صلوات الله عليه علماً للناس يهتدون به، ولم يأت به بالعصمة من الله جلّ جلاله الذي أراد حتى أتى كراع الغميم بين مكة والمدينة فأتاه جبرئيل عليه السلام وأمره بالذي أتاه به من قبل الله ولم يأت به بالعصمة من الله جلّ جلاله الذي أراد، فقال ﷺ: يا جبرئيل إني أخشى قومي أن يكذبوني ولا يقبلوا قولي في علي عليه السلام فرحل فلما بلغ غدير خم^(١) قبل المحفة بثلاثة أميال أتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» في علي صلوات الله وسلامه عليه «وَأِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، وكان أوائلهم قربت من المحفة^(٢) فأمره بأن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر

١ - غدير: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وأصله من غادرت الشيء إذا تركته، وهو فعل بمعنى مفعول، كأن السيل غادره في موضعه فصار كل ماء غودر من ماء المطر في مستنقع صغير أكان أو كبيراً غير أنه لا يبقى إلى القيط سمي غديراً، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٨٨. خم: في اللغة قفص الدجاج، وقال الزمخشري: خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالمحفة.

وقيل: هو على ثلاثة أميال من المحفة.

وقال عزام: ودون المحفة على ميل غدير خم، وواديه يصب في البحر، ولا ينبت فيه غير المرخ والثمام والأراك والعشر. وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء المطر أبداً، وبه أناس من خزاعة وكنانة.

وقال الحازمي: خم واد بين مكة والمدينة عند المحفة. به غدير، عنده خطب رسول الله ﷺ وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٨٩.

وذكر العلامة الأميني في كتابه «الغدير» حديث الغدير بتفاصيله وعدّ مجموع الراويين لحديث الغدير (٥٥٤) شخصاً من الصحابة والتابعين، والرواة من العلماء ابتداءً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر، كما ذكر أسماء المؤلفين لحديث «الغدير» خصيصاً ٢٦ شخصاً. الغدير: ج ١، ص ١٤ - ١٥٧.

٢ - المحفة: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت المحفة لأن السيل اجتفحها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين المدينة ست مراحل، وبينها وبين غدير خم ميلان. معجم البلدان: ج ٢، ص ١١١، مادة «جحف».

عنهم في ذلك المكان ليقيم علياً عليه السلام للناس ويبلغهم ما أنزل الله تعالى في علي عليه السلام وأخبره بأن الله عز وجل قد عصمه من الناس فأمر رسول الله ﷺ عندما جاءته العصمة منادياً ينادي في الناس بالصلاة جامعة، ويرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر، ففتح عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير أمره بذلك جبرئيل عن الله عز وجل، وفي الموضع سلمات^(١) فأمر رسول الله ﷺ أن يقيم^(٢) ما تحتهم وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرف على الناس، فتراجع الناس واحتبسوا وأخبرهم في ذلك المقام^(٣) كان لا يزالون، فقام رسول الله ﷺ فوق تلك الأحجار ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه، فقال ﷺ: الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في تفرده، وجل في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه، مجيداً لم يزل محموداً، لا يزال باري المسموكات وداحي المدحوات وجبار الأرضين والسموات، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، متفضل على جميع من برأه، متطول على جميع من أنشأه، يلحظ كل عين والعيون لا تراه، كريم حلیم ذو أناة، قد وسع كل شيء برحمته، ومن عليهم بنعمته، لا يعجل بانتقامه، ولا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه، قد فهم السرائر وعلم الضمائر، ولم تخف عليه المكنونات، ولا اشتبهت عليه الخفيات، له الإحاطة بكل شيء، والغلبة على كل شيء، والقوة في كل شيء، والقدرة على كل شيء، ليس مثله شيء، وهو منشيء الشيء حين لا شيء، دائم قائم بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، جل عن أن تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، لا يلحق أحد وصفه من معاينة، ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دلّ عز وجل على نفسه.

وأشهد بأنه الله الذي ملأ الدهر قدسه، وهو الذي يغشى الأبد نوره، والذي ينفذ أمره

١ - سَلَمَةٌ - وزان كَلِمَةً - الحجر: مجمع البحرين: ج ٦، ص ٨٩، مادة «سلم». وفي القاموس: ج ٤، ص ١٢٩.

السلمة - كفرجة - الحجارة.

٢ - قَمَّ البيت: كنسه. القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٦٧.

٣ - وفي نسخة: [المكان] كما في المصدر.

بلا مشاورة مشير، ولا معه شريك في تقدير، ولا تفاوت في تدبير، صور ما أبدع على غير مثال، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد، ولا تكلف، ولا احتيال، أنشأها فكانت، وبرأها فباتت، فهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنعة، المحسن الصنعة، العدل الذي لا يجور، والأكرم الذي ترجع إليه الأمور.

وأشهد أنه الذي تواضع كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء لهيبته، مالك الأملاك، ومفلك الأفلاك، ومسخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، يطلبه حثيثاً، قاصم كل جبار عنيد، ومهلك كل شيطان مريد، لم يكن معه ضد ولا ند، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إله واحد، ورب ماجد، يشاء فيمضي، ويريد فيقضي، ويعلم ويحصى، ويميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويبكي، ويؤذي ويقيص، ويمنع ويعطي، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يُولج الليل في النهار، ويُولج النهار في الليل، لا إله إلا هو العزيز الغفار، مستجيب الدعاء ومُجزل العطاء مُحصي الأنفاس، ورب الجنة والناس، لا يُشكل عليه شيء، ولا يُضجره صراخ المستصرخين، ولا يُزمره إلحاح المُلحين، العاصم للصالحين، والموفق للمفلحين، ومولى العالمين الذي استحق من كل من خلق أن يشكره ويمجده على السراء والضراء، والشدة والرخاء، وأؤمن به وبلائكته وكتبه ورسله، أسمع أمره وأطيع وأبادر إلى كل ما يرضاه، وأستسلم لقضائه رغبة في طاعته، وخوفاً من عقوبته، لأنه الذي لا يؤمن مكره، ولا يخاف جوره، أقرّ على نفسي بالعبودية، وأشهد له بالربوبية، وأؤدّي ما أوحى إليّ حذراً من أن لا أفعل فتحل بي منه قارعة لا يدفعها عني أحد وإن عظمت حيلته، لا إله إلا هو لأنه قد أعلمني أنّي إن لم أفعل لم أبلغ ما أنزل إليّ فما بلغت رسالته، فقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة، وهو الله الكافي الكريم فأوحى الله إلي: بسم الله الرحمن الرحيم «يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

معاشر الناس ما قصّرت في تبليغ ما أنزله إليّ، وأنا مبين لكم سبب هذه الآية، إنّ جبرئيل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام، أن أقوم في هذا المشهد

فَاعْلَمْ كُلَّ أبيض وأسود: إِنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام أخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالْإمام من بعدي الذي محلّه منِّي محلّ هارون من موسى إِلَّا أَنَّهُ لَا نبي بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعُونَ»^(١)، وعلي بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة، وآتى الزكاة وهو راکع، يريد الله عزّ وجلّ في كلّ حال.

وسألت جبرئيل عليه السلام أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم أيّها النّاس لعلمي بقلة المؤمنين^(٢)، وكثرة المنافقين، وإدغال^(٣) الآثمين، وختل^(٤) المستهزئين بالإسلام الذين وصفهم الله تعالى في كتابه بأنهم «يَقُولُونَ بِالْإِسْنَتِ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ»^(٥) «وَنَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»^(٦) وكثرة أذاهم لي غير مرّة حتى سموني أذنًا^(٧) وزعموا أنّي كذلك لكثرة ملازمتي إيّاه وإقبالي عليه حتّى أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: «وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أذُنٌ» على الذين يزعمون أنّه أذن «خَيْرٌ لَّكُمْ»^(٨) الآية.

ولو شئت أن أسمّي بأسمائهم لسمّيت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدلّ عليهم لدللت، ولكنّي والله في أمورهم قد تكرمت، وكلّ ذلك لا يرضى الله منّي إلّا أن أبلغ ما أنزل إليّ، ثمّ تلا: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ».

١- المائدة: ٥٥. ٢- وفي نسخة: [المؤمنين] كما في المصدر.

٣- الدغل: محرّكة دخل في الأمر مفسد، والشجر الكثير الملتف، واشتباك النبت وكثرته، والموضع يخاف فيه الإغتيال. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٧٦.

٤- المختل: الخديعة، يقال: ختله يختله: إذا خدعه وراوغه، والمخاتلة: المخادعة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦٢.

مادة «ختل». ٥- الفتح: ١١.

٦- النور: ١٥.

٧- رجل أذن - بالسكون -: يسمع كلام كل واحد ويصدقّه. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٩٨. مادة «اذن».

٨- التوبة: ٦١.

فاعلموا معاشر النَّاس أن الله قد نصَّبه لكم وليّاً، وإماماً، مفترضاً طاعته، على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي، والحاضر، وعلى الأعجميّ، والعربي، والحُر، والمملوك، والصغير، والكبير، وعلى الأبيض، والأسود، وعلى كلّ موحد، ماضٍ حكمه، جائر قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه، مرحوم من تبعه، ومن صدّقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس: إنّه آخر مقام أقومه في هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم، فإنّ الله عزّ وجلّ هو ربكم، ووليكم، وإلّهمكم، ثمّ من دونه رسوله محمد ﷺ وليكم القائم المخاطب لكم، ثمّ من بعدي علي صلوات الله وسلامه عليه وليكم وإمامكم بأمر الله ربكم، ثمّ الإمامة في ذريّتي من ولده إلى يوم القيامة، يوم يلقون الله ورسوله لا حلال إلّا ما أحله الله، ولا حرام إلّا ما حرّمه الله، عزّني الحلال والحرام، وأنا أفضيت^(١) بما علّمني ربي من كتابه حلاله وحرامه إليه.

معاشر الناس: ما من علم إلّا وقد أحصاه الله فيّ، وكل علم علمت فقد أحصيته في علي إمام المتّقين، وما من علم إلّا وقد علّمته عليّاً وهو الإمام المبين.

معاشر الناس: لا تضلّوا عنه ولا تنفروا منه، ولا تستنكفوا من ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق، ويعمل به، ويزهق الباطل، وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ثمّ إنّه أوّل من آمن بالله ورسوله، والذي فدى رسول الله ﷺ بنفسه، والذي كان مع رسول الله ﷺ ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره.

معاشر الناس: فضّلوه فقد فضّله الله، واقبلوه فقد نصّبه الله.

معاشر الناس: إنّه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر الله له حتّى، على الله أن يفعل ذلك ممّن خالف أمره فيه، وأن يعذّبه عذاباً نكراً أبداً، ودهر الدهور، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا «ناراً وقودها النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»^(٢).

١ - أفضيت إلى الشيء: وصلت إليه، وأفضيت إليه بالسّر: أعلمته به. المصباح المنير: ص ٤٧٦، مادة «النّضاء».

أيها الناس: بي والله بُشِّرَ الأولون من التَّبين والمرسلين، وأنا خاتم الأنبياء والمرسلين، والْحِجَّةُ على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شكَّ في ذلك فهو كافر كُفِّرَ الجاهلية الأولى، ومن شكَّ في شيء من قولي هذا فقد شكَّ في الكلِّ منه، والشاكُّ في الكلِّ فله النار.

معاشر الناس: حباني الله بهذه الفضيلة منّا منه عليّ، وإحساناً منه إليّ، ولا إله إلا هو، له الحمد ممّي أبدأ بالآدين، ودهر الداهرين على كلِّ حال.

معاشر الناس: فضّلوا عليّاً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأُنثى، بنا أنزل الله الرزق، وبق الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من ردّ قولي هذا وإن لم يوافق، ألا إن جبرئيل خبرني عن الله تعالى بذلك ويقول: من عادى عليّاً ولم يتولّه فعليه لعنتي وغضبي «فَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تُخَالِفُوهُ» (١)، «فَقَزَلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا» (٢)، «إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٣).

معاشر الناس: إنّه جنب الله الذي أنزل (٤) في كتابه «بَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (٥).

معاشر الناس: تدبروا القرآن، وافهموا آياته، وانظروا إلى محكماته، ولا تتبعوا متشابهاته، فوالله لن يُبين لكم زواجه، ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده، ومصعده إليّ، وشائل بعضه، ومعلمكم أنّ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصي ومولاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليّ.

معاشر الناس إنّ عليّاً والطَّيِّبين من ولدي صلوات الله عليهم أجمعين هم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، فكلّ واحد مني عن صاحبه، وموافق له، لن يفترقا حتّى

١ - مقتبس من قوله تعالى: «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ»، الحشر: ١٨.

٢ - النحل: ٩٤. ٣ - المائدة: ٨، والحشر: ١٨.

٤ - وفي نسخة: [جنب الله الذي نزل في كتابه]، وفي المصدر: [جنب الله الذي ذكر في كتابه].

٥ - الزمر: ٥٦.

يردًا عليّ الحوض، أُمِناء الله في خلقه، وحكّامه في أرضه، ألا وقد أدّيت، ألا وقد بلغت، ألا وقد سمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإنّ الله عزّ وجلّ قال، وأنا قلت عن الله عزّ وجلّ، ألا إنّهُ ليس أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه غير أخي هذا، ولا تحلّ إمرة المؤمنين لأحد غيره. ثمّ ضرب بيده إلى عضده فرفعه وكان منذ أوّل ما صعد رسول الله ﷺ شال عليّاً حتّى صارت رجليه مع ركبة رسول الله ﷺ ثمّ قال:

معاشر الناس: هذا عليّ أخي ووصيّ، وواعي علمي، وخليفتي على أمّتي، وعلى تفسير كتاب الله، والداعي إليه، والعامل بما يرضيه، والمحارب لأعدائه، والموالي على طاعته، والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين، والإمام الهادي، وقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين بأمر الله.

أقول: «ما يبدّل القول لديّ»^(١) بأمر الله ربّي.

أقول: اللَّهُمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقّه، اللَّهُمَّ إنّك أنزلت عليّ أنّ الإمامة بعدي لعليّ وليّك عند تبياني ذلك ونصيّ إِيّاه بما أكملت لعبادك من دينهم، وأنمّمت عليهم نعمتك، ورضيت لهم الإسلام ديناً، فقلت: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ»^(٢). اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قد بَلَّغْتَ.

معاشر الناس: إنّما أكمل الله عزّ وجلّ دينكم بإمامته، فمن لم يأتّمّ به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، والعرض على الله عزّ وجلّ «فأولئك الذين حبّطت أفعالهم وفي النار هم خالدون»^(٣) «لا يخفف الله عنهم العذاب ولا هم ينظرون»^(٤).

معاشر الناس: هذا عليّ أنصركم لي، وأحقّكم بي، وأقربكم إليّ، وأعزّكم عليّ، والله عزّ وجلّ، وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضى إلّا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلّا بدأبه، ولا

٢- آل عمران: ٨٥.

١- ق: ٢٩.

٣- مقتبس من قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ»، التوبة: ١٧.

٤- آل عمران: ٨٨.

نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد الله بالجنة «فِي هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ»^(١) إلا له ولا أنزلها في سواه ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس: هو ناصر دين الله، والمجادل عن رسول الله ﷺ، وهو النبي النقي الهادي المهدي، نبيكم خير نبي، ووصيكم خير وصي، وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس: ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي صلوات الله عليهم أجمعين.

معاشر الناس: إن إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم، وتزل أقدامكم، فإن آدم أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة، وهو صفوة الله عز وجل، فكيف بكم وأنتم أنتم، ومنكم أعداء الله ألا إنه لا يبغض علياً إلا شقي، ولا يتولى علياً إلا تقي، ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، وفي علي والله أنزلت سورة العصر «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرِ»^(٢) إلى آخرها.

معاشر الناس: قد استشهدت الله وبلغتكم رسالتي، «وما على الرسول إلا البلاغ المبين»^(٣).

معاشر الناس: «اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»^(٤).

معاشر الناس: آمنوا بالله ورسوله، والنور الذي أنزل معه «من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها على أubarها»^(٥).

معاشر الناس: النور من الله عز وجل في مسلك، ثم في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي صلوات الله وسلامه عليه الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والاثمين والظالمين من جميع العالمين.

٢- العصر: ١- ٣.

١- الدهر: ١.

٤- آل عمران: ١٠٢.

٣- النور: ٥٤؛ والعنكبوت: ١٨.

٥- النساء: ٤٧.

معاشر الناس: إِنِّي أُنذِرُكُمْ أَيُّ رَسُولٍ اللَّهُ إِلَيْكُمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي الرُّسُلُ أَفَأَنْ مَتَّ أَوْ قَتَلْتُ أَنْتَقَلِبُ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ^(١)، أَلَا وَإِنْ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَوْصُوفُ بِالْصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدِي مِنْ صُلْبِهِ. معاشر الناس: لَا تَغْتَوُوا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِسْلَامَكُمْ فَيَسْخَطَ عَلَيْكُمْ وَيَصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ «إِنَّهُ لَبِالْمُرَادِ»^(٢).

معاشر الناس: سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ. معاشر الناس: إِنَّ اللَّهَ وَأَنَا بَرِئَانِ مِنْهُمْ.

معاشر الناس: إِنْتُمْ وَأَشْيَاعُهُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَنْصَارُهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، «لِبَسِ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»^(٣) أَلَا إِنْتُمْ أَصْحَابُ الصَّحِيفَةِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ فِي صَحِيفَتِهِ، قَالَ: فَذَهَبَ عَلَى النَّاسِ إِلَّا شَرْدَمَةٌ مِنْهُمْ أَمْرُ الصَّحِيفَةِ.

معاشر الناس: إِنِّي أَدْعَاهَا إِمَامَةً وَوَرَاثَةً^(٤) فِي عَقْبِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ بَلَغْتَ مَا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حِجَّةً عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ، وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ مِمَّنْ شَهِدَ أَوْ لَمْ يَشْهَدْ، وَلَدٌ أُمٌّ لَمْ يُولَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الْحَاضِرَ الْغَائِبَ، وَالْوَالِدَ الْوَلَدَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَيَجْعَلُونَهَا مَلَكاً اغْتِصَاباً أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الْغَاصِبِينَ وَالْمُغْتَصِبِينَ، وَعِنْدَهَا «سَنَفَرَعُ لَكُمْ أَهْيَأَ النَّفْلَانِ»^(٥) وَ«يُؤَسِّلُ عَلَيْكُمَا شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ»^(٦).

معاشر الناس: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ يَذَرُكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ»^(٧).

١ - مقتبس من قوله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»، آل عمران: ١٤٤.

٢ - مقتبس من قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرَادِ» الفجر: ١٤.

٣ - مقتبس من قوله تعالى: «فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَشْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» النحل: ٢٩.

٤ - وفي نسخة: [أَدْعَاهَا إِمَامَةً وَوَلَايَةً]. ٥ - الرحمن: ٣١.

٦ - الرحمن: ٣٥. ٧ - آل عمران: ١٧٩.

معاشر الناس: إِنَّهُ مَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَاللَّهُ مَهْلِكُهَا بِتَكْذِيبِهَا، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله تعالى، هذا علي إمامكم ووليكم، وهو مواعيد الله، والله يصدق ما وعده.
معاشر الناس: قد ضلّ قبلكم أكثر الأولين والله لقد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين.

معاشر الناس: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي وَنَهَانِي، وقد أمرت علياً ونهيته فعلم الأمر والنهي من ربّه عزّ وجلّ فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوه تهتدوا، وانتهوا لنهيّه ترشدوا، وصيروا إلى مراده «ولا تتفرّق بكم السبل عن سبيله»^(١)، أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثمّ عليّ من بعدي، ثمّ ولدي من صلبه «أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ»^(٢)، ثمّ قرأ «الحمد لله رب العالمين» إلى آخرها^(٣)، وقال: فِي نَزَلَتْ، وفيهم نزلت، ولهم عمّت وإياهم خصّت، «أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(٤)، «ألا إنّ حزب الله هم الغالبون»^(٥)، ألا إنّ أعداء علي هم أهل الشقاق^(٦) وهم العادون واخوان الشياطين الذين «يوشي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»^(٧)، ألا إنّ أولياءهم المؤمنون حقّاً الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ^(٨) اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٩) إلى آخر الآية، ألا إنّ أولياءهم الذين وصفهم الله عزّ وجلّ فقال: «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا»^(١٠)

١- مقتبس من قوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»، الأنعام: ١٥٣.

٢- مقتبس من قوله تعالى: «أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ»، الأعراف: ١٥٩.

٣- الفاتحة: ١-٧.

٤- مقتبس من قوله تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»، يونس: ٦٢.

٥- مقتبس من قوله تعالى: «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، المجادلة: ٢٢.

٦- وفي الإحتجاج: هم أهل الشقاق والنفاق والحادون، وهم العادون.

٧- الأنعام: ١١٢. ٨- حادّه - بتضعيف الدال - : خالفه ولم يطع أمره.

٩- المجادلة: ٢٢.

١٠- اللبس - في الأصل - : السرّ. أي لم يستروا إيمانهم بظلم.

إِئْتَنَّهُمْ يَظْلِمُ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»^(١) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُم الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ آمِنِينَ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالتَّسْلِيمِ أَنْ «طَبِئْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ»^(٢)، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُم الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٣) أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُم الَّذِينَ يَصْلُونَ سَعِيرًا^(٤) أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُم الَّذِينَ يَسْمَعُونَ لِهَيْهَاتَهُ شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ وَلَهَا زَفِيرٌ^(٥) «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا»^(٦)، الْآيَةُ، أَلَا إِنَّ أَعْدَاءَهُم الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «كُلَّمَا لَبَّى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ»^(٧)، الْآيَةُ، أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمُ «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ»^(٨).

معاشر الناس: شتان ما بين السعير والجنة، عدوًّا من ذمه الله ولعنه، ووليًّا من أحبه الله ومدحه.

معاشر الناس: ألا وإني منذر وعليّ هادي.

معاشر الناس: إني نبيّ وعليّ وصي، ألا وإن خاتم الأئمة منا القائم المهدي صلوات الله وسلامه عليه، ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك، ألا إنه مدرك كل ثائر لأولياء الله عزَّ وجلَّ، ألا إنه ناصر دين الله عزَّ وجلَّ، ألا إنه الغراف^(٩) من بحر عميق، ألا إنه يسيم^(١٠) كل ذي فضل

١- الأنعام: ٨٢.

٢- مقتبس من قوله تعالى: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طَبِئْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ». الزمر: ٧٣.

٣- مقتبس من قوله تعالى: «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُزْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ». غافر: ٤٠.

٤- مقتبس من قوله تعالى: «فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَضَلَّى سَعِيرًا». الإنشقاق: ١١- ١٢.

٥- مقتبس من قوله تعالى: «إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا نَغِيظًا وَزَفِيرًا». الفرقان: ١٢.

٦- الأعراف: ٣٨. ٧- الملك: ٨.

٨- الملك: ١٢.

٩- غرف الماء بيده: أخذه بها، وهذا إشارة إلى ما أخذه علي عليه السلام من علوم النبي ﷺ الكثير التي هي كالبحر العميق الذي لم يصل الناس إلى أعماقه.

بفضله، وكلّ ذي جهل مجهله، ألا إنّه خيرة الله ومختاره، ألا إنّه وارث كلّ علم والمحيط به، ألا إنّه المخبر عن ربّه عزّ وجلّ المنتبه بأمر إيمانه، ألا إنّه الرشيد السديد، ألا إنّه المفوض إليه، ألا إنّه قد بُشِّرَ به من سلف بين يديه، ألا إنّه الباقي حجّة، ولا حجّة بعده، ولا حق إلّا معه، ولا نور إلّا عنده، ألا إنّه لا غالب له ولا منصور عليه، ألا إنّه ولي الله في أرضه، وحكمه في خلقه، وأمينه في سرّه وعلايته.

معاشر الناس: قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا على يفهمكم بعدي، ألا وإني عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتي^(١) على بيعته والإقرار به ثمّ مصافقتي من بعدي، ألا وإني قد بايعت الله وعلي قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجلّ: «وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»^(٢)، الآية.

معاشر الناس: إنّ الحجّ والصفّا والمروة والعمرة «مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ»^(٣)، الآية.

معاشر الناس: حجّوا البيت فما ورده أهل بيت إلّا استغنوا ولا تخلّفوا عنه إلّا افتقروا. معاشر النّاس: ما وقف بالموقف مؤمن إلّا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك فإذا انقضت حجّته استأنف عمله.

معاشر الناس: الحجاج معان^(٤)، ونفقاتهم مخلفة^(٥) والله لا يضيع أجر المحسنين. معاشر الناس: حجّوا البيت بكمال الدين والتفقه ولا تنصرفوا عن المشاهد إلّا

١٠ - السمة: العلامة. يسم الشيء: يجعل له علامة يعرف بها، ووسمه وسمّاً وسمه إذا أثر فيه بسمه وكسي. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٣، مادة «وسم».

١ - الصفق: الضرب الذي له صوت، ومنه التصفيق باليد، أي التصويت بها، يقال: صفقت له بالبيعة صفقاً: أي ضربت بيدي على يده. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٠٢، مادة «صفق».

٣ - البقرة: ١٥٨.

٢ - الفتح: ١٠.

٥ - مخلفة: أي معوضة.

٤ - معان: أي مساعدون.

بتوبة وإقلاع^(١).

معاشر الناس: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كما أمركم الله تعالى لئن طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعلي وليكم، ومُبين لكم الذي نصبه الله عزّ وجلّ بعدي، ومن خلقه الله منّي وأنا منه يخبركم بما تسألون عنه، ويبيّن لكم ما لا تعلمون، ألا إنّ الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها وأعزّفهما فأمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، فأمرت أن آخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله تعالى في علي أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم منّي، ومنه أمة قائمة منهم المهدي صلوات الله عليه إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحقّ.

معاشر الناس: وكلّ حلال دللتكم عليه، وكلّ حرام نهيتكم عنه، فإنّي لم أرجع عن ذلك ولم أبدل، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه، ألا وإني أجّد القول، ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، ألا وإنّ رأس الأمر بالمعروف أن تنتهوا إلى قولي، وتبلّغوه من لم يحضره، وتأمروه بقبوله، وتنهوه عن مخالفته، فإنّه أمر من الله عزّ وجلّ ومنّي، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلّا مع إمام معصوم. معاشر الناس: القرآن يُعرفكم أنّ الأئمة عليهم السلام من بعده من ولده وعرفتكم أنّهم منّي وأنا منه حيث يقول الله: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ»^(٢) وقلت لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بها. معاشر الناس: التقوى التقوى، احذروا الساعة كما قال الله تعالى: «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ»^(٣)، اذكروا الممات، والحساب، والموازن، والمحاسبة بين يدي رب العالمين، والثواب والعقاب، فمن جاء بالحسنة أثيب، ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب.

معاشر الناس: إنكم أكثر من أن تصافقوني بكفّ واحدة وأمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلّي عليه السلام من إمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة منّي ومنه على ما أعلمتكم أنّ ذريتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم: إنّنا سامعون، مطيعون، راضون، منقادون لما

١- الإقلاع: الترك، والمراد منه هنا: ترك الذنوب والخطيئة.

٢- الحج: ٣.

٣- الزخرف: ٢٨.

بَلَّغْتَ عَنْ رَبَّنَا، وَرَبَّكَ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، وَأَمْرَ وَلَدِهِ مِنْ صُلْبِهِ مِنَ الْأُتَمَّةِ نَبَايَعَكَ عَلَى ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَالْأَسْتَنَّا وَأَيْدِينَا، عَلَى ذَلِكَ نَحْيِي وَغَوْتَ وَنُبْعَثُ، وَلَا نَغْيِرُ وَلَا نُبَدِّلُ، وَلَا نُشَكُّ وَلَا نَرْتَابُ، وَلَا نَرْجِعُ عَنْ عَهْدٍ، وَلَا نَنْقُضُ الْمِيثَاقَ وَنُطِيعُ اللَّهَ وَنُطِيعُكَ وَعَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَدَهُ الْأُتَمَّةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ صُلْبِهِ بَعْدَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الَّذِينَ قَدْ عَرَفْتَكُمْ مَكَانَهُمَا مَتَّى وَمَحَلَّهُمَا عِنْدِي وَمَنْزِلَتُهُمَا مِنْ رَبِّي، فَقَدْ أَدَّيْتُ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ، وَإِنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُمَا الْإِمَامَانِ بَعْدَ أَبِيهِمَا عَلِيٍّ، وَأَنَا أَبُوهُمَا قَبْلَهُ، وَقُولُوا: أَطَعْنَا اللَّهَ بِذَلِكَ وَإِيَّاكَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأُتَمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ ذَكَرْتَ عَهْدًا وَمِيثَاقًا مَأْخُوذًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَأَنْفُسِنَا، وَالْأَسْتَنَّا، وَمَصَافَقَةِ أَيْدِينَا مِنْ أَدْرِكْهُمَا بِيَدِهِ وَأَقْرَبَهُمَا بِلِسَانِهِ لَا نَبْتَغِي بِذَلِكَ بَدَلًا، وَلَا نَرَى مِنْ أَنْفُسِنَا عَنْهُ حَوْلًا أَبَدًا، أَشْهَدُنَا اللَّهَ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَأَنْتَ عَلَيْنَا بِهِ شَهِيدٌ، وَكُلٌّ مِنْ أَطَاعَ مَنْ ظَهَرَ وَاسْتَتَرَ وَمَلَئَكَةَ اللَّهِ وَجُنُودَهُ وَعِيبِدَهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَهِيدٍ.

معاشر الناس: ما تقولون؟ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ، وَخَافِيَةَ كُلِّ نَفْسٍ، «فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا»^(١)، وَمَنْ بَايَعَ فَإِنَّمَا يَبَايِعُ اللَّهَ «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»^(٢).
معاشر الناس: فاتقوا الله، وبايعوا عليًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَالْأُتَمَّةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ «كَلِمَةً بَاقِيَةً»^(٣) يُهْلِكُ اللَّهُ مَنْ غَدَرَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ وَفَى، «وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»^(٤) الْآيَةِ.

معاشر الناس: قولوا الذي قلت لكم، وَسَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِإِثْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٥)، وَقُولُوا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ»^(٦).

١ - الزمر: ٤١. ٢ - الفتح: ١٠.

٣ - مقتبس من قوله تعالى: «وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ»، الزخرف: ٢٨.

٤ - الفتح: ١٠. ٥ - البقرة: ٢٨٥.

٦ - الأعراف: ٤٣.

معاشر الناس: إن فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام عند الله عز وجل وقد أنزلها علي في القرآن أكثر من أن أحصيتها في مكان واحد، فمن أنبأكم بها وعزفها فصدّقوه.

معاشر الناس: من يطع الله، ورسوله، وعلياً والأئمة الذين ذكرتم، فقد فاز فوزاً عظيماً.

معاشر الناس: السابقون إلى مبايعته وموالاته، والتسليم عليه بإمرة أمير المؤمنين

«أُولَئِكَ أَفْضَاؤُنَا فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ»^(١).

معاشر الناس: قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول: «فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعاً فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً»^(٢)، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، واغضب على

الكافرين والكافرات، والحمد لله رب العالمين.

فناداه القوم: نعم، سمعنا، وأطعنا على أمر الله، وأمر رسوله بقلوبنا، وألسنتنا، وأيدينا،

وتداركوا^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام، وصافقوا بأيديهم فكان أول من صافق

رسول الله صلى الله عليه وآله الأول والثاني والثالث، والرابع، والخامس، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي

الناس عن آخرهم على طبقاتهم، وقدر منازلهم إلى أن صليت العشاء، والعتمة في وقت واحد،

وواصلوا البيعة والمصافحة، ثلاثاً ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول كلما بلغ قوم: الحمد لله الذي فضلنا

على جميع العالمين، وصارت المصافحة سنة ورساً يستعملها من ليس له حق فيها^(٤).

والقمتي: قال: نزلت هذه الآية في منصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، وحج

رسول الله صلى الله عليه وآله حجة الوداع تمام عشر حجج من مقدمه المدينة، وكان من قوله في خطبته بنى

أن أحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس: اسمعوا قولي، واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ثم

قال: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟ قال الناس: هذا اليوم، قال: فأأي شهر؟ قال الناس:

١ - مقتبس من قوله تعالى: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ»، الحشر: ٢٠.

٢ - آل عمران: ١٤٤. ٣ - وفي نسخة: [وتداركوا].

٤ - الإحتجاج: ج ١، ص ٦٨ - ٨٤، باب احتجاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير على الخلق كلهم، وفي غيره من الآتيام بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده من ولده من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا الشهر، قال: وأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت أيّها الناس؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال: ألا كلّ مأثرة^(١) أو بدع كانت في الجاهليّة أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين^(٢)، ليس أحد أكرم من أحد إلّا بالتقوى، ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال: ألا وكلّ ربّاً كان في الجاهليّة فهو موضوع، وأوّل موضوع منه ربا العباس بن عبدالمطلب، ألا وكلّ دم كان في الجاهليّة فهو موضوع، وأوّل موضوع منه دم ربيعة، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال: ألا وإنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنّه إذا أطيع فقد عبد، ألا أيّها النّاس إنّ المسلم أخ المسلم حقّاً ولا يحل لامرئ مسلم دم امرء مسلم وماله إلّا ما أعطاه بطيبة نفس منه، وإنّي أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّها وحسابهم على الله ألا فهل بلغت أيّها الناس؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال:

أيّها النّاس: احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافقهوه تنتعشوا ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا، فإن أنتم فعلتم ذلك ولتفعلنّ لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف، ثم التفت عن يمينه وسكت ساعة، ثمّ قال: إنّ شاء الله أو علي بن أبي طالب، ثمّ قال: ألا وإنّي قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي صلوات الله عليهم، فإنّه قد نبأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردّا عليّ الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهمّ اشهد، ثمّ قال: ألا وإنّه سيرد عليّ الحوض منكم رجال يعرفون

١ - المأثرة - بالضم - : المكرمة، لأنّها تؤثّر ويحدث بها. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١١٩، مادة «أثر».

٢ - أي موهون ومضمحل ومتنفذ، إذ بالضرورة أنّ كلّ شيء يقع تحت التقديم فهو موهون وليس شيء أهون

فيدفعون عني فأقول: رب أصحابي فيقال: يا محمد إنهم قد أحدثوا بعدك وغيروا سنتك، فأقول: سحقاً سحقاً، فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله تعالى «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»^(١)، فقال رسول الله ﷺ: نعتت إلي نفسي، ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نصر^(٢) الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها لمن لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: اخلاص العمل لله، والتصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوته^(٣) محيطه من ورائهم، المؤمنون إخوة تكافئ دماءهم يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيها الناس: إنني تارك فيكم الثقلين، قالوا يا رسول الله: وما الثقلان؟ فقال: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كاصبعي هاتين وجمع بين سبأته، ولا أقول كهاتين، وجمع بين سبأتيه والوسطى ففضل هذه على هذه، فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد ﷺ أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج منهم أربعة نفر إلى مكة ودخلوا الكعبة، وتعاهدوا، وتعاهدوا، وكتبوا فيما بينهم كتاباً إن أمات الله محمداً ﷺ أو قتله أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فأنزل الله على نبيّه في ذلك: «أَمْ أَمْرُؤُا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ»^(٤)، فخرج رسول الله ﷺ من مكة يريد المدينة حتى نزل منزلاً يقال له: غدير خم وقد علم الناس مناسكهم وأوعز^(٥) إليهم وصيته إذ أنزل الله عليه هذه الآية: «يَا أَيُّهَا

١ - النصر: ١.

٢ - النضرة: الحسن والرونق، وقد نصر وجهه من باب - قتل - أي حسن. وفي الخبر نصر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها: أي حسنه بالسرور والبهجة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٩٧، مادة «نصر».

٣ - أي دعوة الله التي هي الموت، فإنها محيطه بالناس بعد انقضاء آجالهم، فينبغي لمن يكون عاقبة أمره الموت أن

لا يترك هذه الخصال الثلاث. ٤ - الزخرف: ٧٩ - ٨٠.

٥ - أوعزت إليه بكذا: أي تقدمت. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٩، مادة «وعز».

الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ»^(١) الآية، فقام رسول الله ﷺ فقال: تهديد ووعيد، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس هل تعلمون من وليكم؟ قالوا: نعم الله ورسوله، قال: أستم تعلمون إني أولى بكم^(٢) منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: اللهم اشهد، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً كل ذلك يقول: مثل قوله الأول، ويقول: الناس كذلك، ويقول: اللهم اشهد، ثم أخذ بيد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فرفعه حتى بدا للناس بياض إبطيه، ثم قال: ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبه، ثم قال: اللهم اشهد عليهم وأنا من الشاهدين، فاستفهمه عمر من بين أصحابه فقال يا رسول الله: هذا من الله ومن رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم هذا من الله، ومن رسول الله، إنه أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، يقعده الله يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة، وأعداء النار، فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد ﷺ في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له فاجتمع أربعة عشر نفرًا وتؤامروا على قتل رسول الله ﷺ، وقعدوا له في العقبة، وهي عقبة هرشي^(٣) بين جحفة والإبواء، فقعدها سبعة عن يمين العقبة، وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله ﷺ، فلما جنّ عليه الليل تقدّم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل يا محمد إن فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ، فقال: من هذا خلني؟ فقال حذيفة بن اليمان: أنا حذيفة بن اليمان يا رسول الله، قال: قد سمعت ما سمعت، قال: بلى، قال: فاكمم ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ مرّوا ودخلوا في غمار الناس^(٤)، وقد كانوا عقلوا رواحلهم

٢- وفي نسخة: [أولى الناس منكم بأنفسكم].

١- المائدة: ٦٧.

٣- هرشي: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، والقصر: وهي ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة، يرى منها البحر، ولها طريقان فكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد. معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٩٧، مادة «هرش».

٤- الغمرة: الزحمة من الناس والماء، والجمع غمار. ودخلت في غمار الناس: أي في زحمتهم وكثرتهم. الصحاح: ج ٢، ص ٧٧٢، مادة «غمر».

قُلْ يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾

فتركوها، ولحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم، وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم
فعرفها، فلما نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن أمات الله محمداً أو قتله أن لا يردوا هذا
الأمر في أهل بيته أبداً؟ فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً، ولم
يريدوه، ولم يهتّموا بشيء في رسول الله ﷺ، فأنزل الله: «يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا»^(١) أن لا يردوا
هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ «وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ وَاعِدُونَ
بِإِثْمِهِمْ»^(٢) من قتل رسول الله ﷺ «وَمَا تَقْهَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا
يَكْ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ»^(٣)، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وبقي بها المحرم والنصف من صفر لا يشتكي
شيئاً، ثم ابتدأ به الوجد الذي توفي فيه^(٤).

وفي المجمع: روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال لحراس من أصحابه يحرسونه:
إلحقوا بلاحقكم فإن الله عصمني من الناس^(٥).

﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾: على دين يعتدّ به حتى يسمى شيئاً
لفساد وبطلانه.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى
 مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
 وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
 أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: بالتصديق بما فيها من البشارة بمحمد ﷺ
 والإذعان لحكمه (١).

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام هو ولاية أمير المؤمنين
 صلوات الله وسلامه عليه (٢).

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم، وكفرهم، فإن ضرر ذلك
 يرجع إليهم لا يتخطأهم، وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ﴾:
 يعني منهم.

﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:
 قد مضى تفسيرها في سورة البقرة (٣).

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: بالتوحيد، والنبوة، والولاية.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٤، ح ١٥٦.

١- وفي نسخة: [بحكمه].

٣- البقرة: ٦٢.

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ
 عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾: ليذكروهم، وليبينوا لهم أمر دينهم، ويقفواهم على الأوامر والنواهي.

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾: من التكاليف.
 ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: قيل: حكى الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعاً للقتل وتنبهاً على أن ذلك ديدنهم ماضياً ومستقبلاً، ومحافظة على رؤوس الآي^(١).

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أن لا يصيبهم من الله بلاء وعذاب بقتل الأنبياء، وتكذيبهم، وقرئ لا تكون بالرفع أي أنه لا تكون.

﴿فَعَمُوا﴾: عن الدين.

﴿وَصَمُوا﴾: عن استماع الحق.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾: كرامة أخرى.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾: بدل من الضمير.

﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام، «وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ»

قال: حيث كان النبي ﷺ بين أظهرهم «فَعَمُوا وَصَمُوا» حيث قبض رسول الله ﷺ، ثم تاب الله عليهم حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام ثم عَمُوا وَصَمُوا إلى الساعة^(٢).

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٨٥-٢٨٦.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠، ح ٢٣٩.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَسْبِيحُ إِبْرَاهِيمَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ
ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ
لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسْبِيحُ
إِبْرَاهِيمَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾: أي إني عبد مربوب لا فرق بيني وبينكم، احتج الله
تعالى عليهم بقوله:

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: في عبادته أو فيما يختص به من صفاته وأفعاله.

﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: لأنها دار الموحدين.

﴿وَمَا أُوَيْهَ النَّارَ﴾: لأنها معدة للمشركين.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾: وضع الظاهر موضع المضر تسجيلاً على أن

الشرك ظلم، وهو إما من كلام عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، أو من كلام الله عز وجل.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾: أي أحد ثلاثة، قيل: القائلون بذلك

جمهور النصارى يقولون ثلاثة: أقانيم جوهر واحد أب، وابن، وروح القدس إله واحد، ولا

يقولون ثلاثة آلهة، ويمنعون من هذه العبارة وإن كان يلزمهم ذلك لأنهم يقولون: الإبن إله،

والأب إله، وروح القدس إله، والإبن ليس هو الأب^(١).

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ
أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾

القمي: عن الباقر عليه السلام في حديث أما المسيح فعصوه، وعظموه في أنفسهم حتى زعموا
أنه إله، وأنه ابن الله، وطائفة منهم قالوا: ثالث ثلاثة، وطائفة منهم قالوا هو الله ^(١).
﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدُ﴾: وهو الله وحده لا شريك له، و «من» مزيدة
لتأكيد النفي.

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾: أقسم.
﴿لَيَسِّنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾: من دام على كفره ولم يتقلع عنه.
﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه؟: فيه تعجيب من
إصرارهم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يستر الذنوب على العباد ويرحمهم إذا تابوا.
﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: ما هو إلا
رسول من جنس الرسل الذين خلوا قبله أتى بمعجزات باهرة من قبل الله تعالى كما أتوا، فإن
أحبي الموتى على يده فقد أحبب العصا على يد موسى وجعلها حيّة تسعى، وهو أعجب وإن
خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب.
﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾: صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء اللاتي تلازم الصدق.

﴿كَانَا يَا كُلَّانِ الطَّعَامَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام معناه أنها كانا يتغوّطان^(١).
والقمي: قال: كانا يحدثان فكّتي عن الحدث، وكلّ من أكل الطعام يحدث^(٢).
وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب الزنديق الذي قال له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم^(٣)، ثم ذكر من ذلك إنّ الله شهر هفوات^(٤) أنبيائه، وكّتي عن أسماء أعدائه^(٥).

قال عليه السلام: وأما هفوات الأنبياء وما بين الله في كتابه فإنّ ذلك من أدلّ الدلائل على حكمة الله عزّ وجلّ الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزّته الظاهرة، لأنّه علم أنّ براهين الأنبياء عليهم السلام تكبر في صدور امهم وأنّ منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكر دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي كان انفرد به عزّ وجلّ، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى على نبينا وآله وعليه السلام حيث قال فيه وفي أمّه: «كَانَا يَا كُلَّانِ الطَّعَامَ» يعني إنّ من أكل الطعام كان له ثفل، ومن كان له ثفل فهو بعيد ممّا ادّعته النصارى لابن مريم^(٦).
﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾: كيف يصرفون عن استماع الحقّ وتأمله، و«ثمّ» لتفاوت ما بين العجيبين يعني أنّ بياننا للآيات عجيب، وإعراضهم عنها أعجب.

١- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٠١، ح ١، باب ٤٦- ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة والرد على الغلاة والمفوضة.
٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٦.

٣- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٥٨- احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٤- الهفوة: الزّفة، وهفوات اللسان: سقطاته. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٧٨، مادة «هفا».

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٤ - ٣٦٥، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٦- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠، احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: قيل: يعني عيسى عليه السلام فإنه كان لا يملك شيئاً من ذلك من ذاته، وإن ملك شيئاً منه فإنما هو بإذن الله وتمليكه إياه^(١).
﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لما يقولون.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما يعتقدون.

﴿قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾: غلواً باطلاً، يعني لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم ولا ترفعوا عيسى عليه السلام من حد النبوة إلى حد الألوهية.
﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾: هم أئمتهم في النصرانية الذين كانوا في الضلال قبل مبعث النبي ﷺ.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: ممن تابعهم على التثليث.

﴿وَضَلُّوا﴾: لما بعث رسول الله ﷺ.

﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: حين كذبوه وبغوا عليه.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾:

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

في الكافي^(١)، والقمي: عن الصادق عليه الصلاة والسلام: الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة: على لسان عيسى بن مريم عليه السلام^(٢).

وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام أماً داود فإنه لعن أهل إيلة^(٣) لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء، ومثل المنطقة على الحقوين، فسخمهم الله قردة، وأما عيسى عليه السلام فإنه لعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك^(٤). ورواه في الجوامع مقطوعاً وزاد فقال عيسى عليه السلام: اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لا تعذبه أحدٌ من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فصاروا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل^(٥).

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾: هذا بيان عصيانهم واعتدائهم، يعني لا ينتهون أو لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر. القمي: قال: كانوا يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، ويأتون النساء أيام حيضهن^(٦).

وفي ثواب الأعمال: عن أمير المؤمنين عليه السلام لما وقع التقصير في بني إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخاه في الذنب فينهاه فلا ينتهي فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه وشريبه حتى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول جلّ وعزّ: «لُعِنَ الَّذِينَ

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٠٠، ح ٢٤٠.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٦.

٣- إيلة - بالكسر - قرية بين مدين والطور، وبالفتح فالسكون: بلد بين ينبع ومصر. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣١٥، مادة «إيل».

٤- مجمع البيان: ج ٣، ص ٤، ٢٣١.

٥- جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٤٦.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٦.

تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾
 وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

كَفَرُوا» (١)، الآية.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون
 مجالسهم، ولكنهم كانوا إذا لقوهم أنسوا بهم (٢).

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾: تعجيب من سوء فعلهم مؤكّداً بالقسم. القمي: عن
 الصادق عليه السلام: أنه سئل عن قوم من الشيعة يدخلون في أعمال السلطان، ويعملون لهم،
 ويحبّونهم، ويوالونهم، قال: ليس هم من الشيعة ولكنهم من أولئك، ثم قرأ «لُعِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا» (٣)، الآية.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يوالوهم ويصادقونهم.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾: لبئس زادهم إلى الآخرة.

﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام

يتولّون الملوك الجبارين، ويزيّنون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم (٤).

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾: فإن

الإيمان يمنع من ذلك.

١- ثواب الأعمال: ص ٢٦١-٢٦٢، ح ٣، باب ١٠٥- عقاب من قرب المنكر.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٥، ح ١٦١. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٦.

٤- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٣٢.

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
 أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
 نَصَرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ
 أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم.
 ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: لشدة
 شكيبتهم^(١)، وتضاعف كفرهم، وإنهاكهم^(٢) في اتباع الهوى، وكونهم إلى التقليد، وبعدهم
 عن التحقيق، وقرّنتهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم إياهم.
 ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ﴾: للين
 جانبهم، ورقة قلوبهم، وقلة حرصهم على الدنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل.
 ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ﴾: رؤساء في الدين والعلم.
 ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عبّادًا.
 ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن قبول الحق إذا فهموه، ويتواضعون.
 ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا

١ - فلان شديد الشكينة: إذا كان لا يثق لأحد، لما فيه من الصلابة والصعوبة على العبد وغيره. مجمع

البحرين: ج ٦، ص ٩٩، مادة «شكّم».

٢ - انهمك الرجل في الشيء: أي جدّ ولبّ. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٩٩، مادة «همك».

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ: من الذين شهدوا بأنه حق.
﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ
الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: استفهام إنكار واستبعاد لإتفاء الإيمان مع قيام الداعي وهو الطمع في
الانخراط مع الصالحين، والدخول مداخلهم.

﴿فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾: عن اعتقاد وإخلاص، كما دلّ عليه قوله: «بِمَا عَرَفُوا مِنْ
الْحَقِّ»، والقول إذا اقترن بالمعرفة كمل الإيمان.

﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

العياشي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا» قال: اولئك كانوا
قوماً بين عيسى ومحمد عليه السلام ينتظرون مجيء محمد ﷺ (١).

القمي: كان سبب نزولها أنه لما اشتدّت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين
آمنوا بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب
أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتّى ركبوا البحر، فلما بلغ
قريشاً خروجهم بعثوا عمرو بن العاص، وعمار بن الوليد إلى النجاشي ليردّهم إليهم، وكان
عمرو، وعمار متعادين، فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين؟ فبرأت بنو مخزوم من

جناية عمارة، وبرأت بنو سهم عن جناية عمرو بن العاص، فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً متراً، فأخرج عمرو بن العاص أهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبّلني، فقال عمرو: أيجوز هذا سبحانه الله! فسكت عمارة فلما انتشى^(١) عمرو وكان على صدر السفينة فدفعه عمارة وألقاه في البحر فتشبّث عمرو بصدر السفينة وأدركوه وأخرجوه فوردوا على النجاشي، وقد كانوا حملوا إليه هدايا فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن قوماً منّا خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا إليك فردّهم إلينا، فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا جعفر: ما يقول هؤلاء؟ فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟ قال: يسألون أن أردّكم إليهم، قال: أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم؟ فقال عمرو: لا بل أحرار كرام، قال: فسلهم ألهم علينا ديون يطالبونها؟ فقال: لا ما لنا عليكم ديون، قال: فلکم في أعناقنا دماء تطالبونها؟ فقال عمرو: لا، قال: فما تريدون منّا؟ أذيتمونا فخرجنا من بلادكم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا، وسبّوا آلهتنا، وأفسدوا شبّاننا وفرّقوا جماعتنا، فردّهم إلينا لنجمع أمرنا، فقال جعفر: نعم أيها الملك خالفناهم، بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد، وترك الإستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقّها، والزنا، والربا، والميتة، والدم، ولحم الخنزير، وأمرنا بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر، والبغى، فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثم قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم عليه السلام فلما بلغ قوله: «وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا» ﴿فَكَلَى وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٢)، فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال: هذا والله هو الحقّ، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالف لنا فردّه إلينا، فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت والله لأن ذكرته بسوء

١ - الإنشاء: أول السكر. ونشأ يُنشئ نشواً ونشوة مثله: سكر. مجمع البحرين: ج ١، ص ٤١٦ - ٤١٧، مادة

لأفقدنك نفسك، فقام عمرو بن العاص من عنده، والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له، وكانت على رأس النجاشي وصيفة^(١) له تذب عنه فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتىً جميلاً فأحبتّه، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارّة: لو راسلت جارية الملك، فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً، فقال لها: فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب وكان للذي فعل به عمارّة في قبله حين ألقاه في البحر، فأدخل الطيب على النجاشي، فقال: أيها الملك إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يلزمنا إذا دخلنا بلاده ونأمن فيه أن لا نغشه ولا نربيّه، وإنّ صاحبي هذا الذي معي قد راسل حرمتك وخدعها، وبعثت إليه من طيبك، ثمّ وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهمّ بقتل عمارّة، ثمّ قال: لا يجوز قتله فإنهم دخلوا بلادني بأمان، فدعا النجاشي السحرة فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشدّ عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في إحليله الزبيق، فصار مع الوحش يغدو ويروح، وكان لا يأنس بالأناس، فبعثت قريش بعد ذلك فكمّنوا له في موضع حتّى ورد الماء مع الوحش، فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتّى مات، ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم إنّ جعفرأ في أرض الحبشة في أكرم كرامته، ولم يزل بها حتّى هادن رسول الله ﷺ قريشاً وصالحهم وفتح خير فوافى بجميع من معه، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر، وولد للنجاشي ابن فسماه النجاشي محمّداً، وكانت أمّ حبيب بنت أبي سفيان تحت عبد الله فكتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يخطب أمّ حبيب فبعث إليها النجاشي فخطبها لرسول الله ﷺ فأجابته فزوّجها منه وأصدقها أربعمئة دينار، وساقها عن رسول الله ﷺ، وبعث إليها بثياب وطيب كثير، وجهّزها وبعثها إلى رسول الله ﷺ، وبعث إليه بماريّة القبطيّة أمّ إبراهيم، وبعث إليه بثياب وطيب وفرس، وبعث ثلاثين رجلاً من القسيسين فقال لهم: إنظروا إلى كلامه وإلى مقعده ومشربه ومصلاه، فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَنْعِيسُ

١ - الوصيفة: الجارية، وقد يطلق الوصيف على الخادم غلاماً كان أو جارية. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٢٩، «مادة» وصف.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾

بِـن مَزِيْمٍ أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ» إلى قوله: «فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»^(١) فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ بكوا وآمنوا ورجعوا إلى النجاشي وأخبروه خبر رسول الله ﷺ وقرأوا عليه ما قرأ عليهم فبكى النجاشي وبكى القسيسون وأسلم النجاشي، ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة يريد النبي ﷺ فلما عبر البحر توفي، فأنزل الله على رسوله «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ» إلى قوله «وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ»^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا﴾: لا تمنعوا أنفسكم.
﴿طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾: ما طاب منه ولذَّ.
﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: عما حدَّ الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: في المجمع^(٣)، والقمّي: عن الصادق عليه السلام نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام، وبلال، وعثمان بن مظعون، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام بالليل أبداً، وأما بلال فإنه حلف أن لا يفرط بالنهار أبداً، وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبداً، وزاد القمّي: فدخلت امرأة عثمان على عائشة وكانت امرأة جميلة فقالت عائشة: ما لي أراك متعطلة؟ فقال: ولمن أترين فوالله ما قربني زوجي منذ كذا وكذا، فإنه قد ترهب ولبس

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٦ - ١٧٩.

١- المائدة: ١١٠.

٣- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٣٦.

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ

مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

المسوح وزهد في الدنيا، فلما دخل رسول الله ﷺ أخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطيبات إنّي أنا بالليل وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي، فقام هؤلاء، فقالوا: يا رسول الله، فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله «لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمِينِكُمْ» (١) الآية (٢).

أقول: ليس في مثل هذا الخطاب والعتاب منقصة على المخاطب والمعاتب إن لم يكن محمّدة نظيره قوله تعالى: «يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمِينِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» (٣)، وقد ورد القرآن كلّه تقريع وباطنه تقريب (٤).

وفي الإحتجاج: عن الحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليها في حديث أنّه قال لمعاوية وأصحابه: أنشدكم بالله أتعلمون أنّ عليّاً عليه السلام أول من حرّم الشهوات على نفسه من أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل الله «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ» (٥).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا﴾: مباحاً لذيقاً.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٧٩ - ١٨٠.

١ - البقرة: ٢٢٥.

٣ - التحريم: ١ - ٢.

٤ - معاني الأخبار: ص ٢٣٢، ذيل ح ١، باب معنى قول الأنبياء عليهم السلام إذا قيل لهم يوم القيامة «ماذا أجبت؟ قالوا لا علم لنا».

٥ - الإحتجاج: ج ١، ص ٤٠٧، احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على جماعة من المنكرين لفضله وفضل أبيه من قبل بحضرة معاوية.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرَتْهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ
مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَهُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: استدعاء إلى التقوى بألطف الوجوه.
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: بما^(١) يبدو من غير قصد. في الكافي^(٢)،
والفقيه^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام هو قول الرجل: لا والله، وبلى والله، ولا يعقد قلبه على
شيء^(٤).

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾: بما وثقتم الأيمان عليه بالقصد والنية،
يعني إذا حنثتم فحذف للعلم به، وقرئ عقدتم بالتخفيف، وعاقدتم.
﴿فَكَفَّرَتْهُ﴾: فكفارة نكته، أي الفعل التي تذهب اثمه وتستره.
﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾: في المجمع: عن
الصادق عليه السلام أنه قرأ أهلكم^(٥).
﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾: في الكافي: عنه عليه السلام الوسط: الخل والزيتون، وأرفعه: الخبز واللحم،
والصدقة: مد من حنطة لكل مسكين، والكسوة: ثوبان^(٦).

١- وفي نسخة: [متا]. ٢- الكافي: ج ٧، ص ٤٤٣، ح ١، باب في اللغو.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٢٨، ح ٧/١٠٧٦، باب ٩٨- باب الإيمان والنذور والكفارات.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٦، ح ١٦٣. ٥- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٣٧.

٦- الكافي: ج ٧، ص ٤٥٢، ح ٥، باب كفارة اليمين.

وعنه عليه السلام: هو كما يكون أنه يكون في البيت من يأكل أكثر من المدّ، ومنهم من يأكل أقل من المدّ في ذلك، وإن شئت جعلت له أداماً، والأدم أدناه ملح، وأوسطه الخلّ والزيت، وأرفعه اللحم ^(١).

وعن الباقر عليه السلام: ما تقوتون به عيالكم من أوسط ذلك؟ قيل: وما أوسط ذلك، قال: الخلّ والزيت، والتمر والخبز، تشبعهم به مرّة واحدة، قيل: كسوتهم؟ قال: ثوب واحد ^(٢). وفي رواية: ثوب يوارى به عورته ^(٣).

أقول: فيحمل الثوبان في الرواية المتقدمة على ما إذا لم يوارها الواحد. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: عتق عبد أو أمة ويجوز المولود، كما في الكافي عن الصادق عليه السلام ^(٤).

وعنه عليه السلام: كلّ شيء في القرآن «أو» فصاحبه بالخيار، ويختار ما شاء ^(٥). والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام مثله ^(٦). ﴿فَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾: في الكافي: عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن كفارة اليمين ما حدّ من لم يجد؟ وأن الرجل يسأل في كفّه وهو يجد، فقال: إذا لم يكن عنده فضل عن قوت عياله فهو بمنّ لا يجد ^(٧).

وعن الصادق عليه السلام كلّ صوم يفرّق فيه إلا ثلاثة أيّام في كفارة اليمين ^(٨).

١- الكافي: ج ٧، ص ٤٥٣، ح ٧، باب كفارة اليمين.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٤٥٤، ح ١٤، باب كفارة اليمين.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٤٥٣، ح ٦، باب كفارة اليمين.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٤٦٢-٤٦٣، ح ١٥، باب النوادر.

٥- الكافي: ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٢، باب العلاج للمحرم إذا مرض أو أصابه جرح أو خراج أو علة.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٣٨، ح ١٧٥.

٧- الكافي: ج ٧، ص ٤٥٢، ح ٢، باب كفارة اليمين.

٨- الكافي: ج ٤، ص ١٤٠، ح ١، باب صوم كفارة اليمين.

وعنه عليه السلام: صيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين متتابعات لا يفصل بينهما^(١).

﴿ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيَسْنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾: أي حلفتُمْ وحنثتم^(٢).

﴿وَأَحْضُوا أَيَسْنِكُمْ﴾: برّوافيها^(٣) ما استطعتم، ولا تحنثوا، أو لا تبدلوا لكل أمرٍ،

أو كفّروا إذا حنثتم، أو الجميع.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ﴾: إعلام شرائعه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمة التعليم والتبيين، في الكافي: عن الصادق عليه السلام الأيمان

ثلاثة يمين ليس فيها كفارة، ويمين فيها كفارة، ويمين غموس^(٤) توجب النار، فاليمين التي ليس

فيها كفارة: الرجل يحلف على باب برّ أن لا يفعله، وكفّارته أن يفعل، واليمين التي تجب فيها

الكفارة: الرجل يحلف على باب معصيته أن لا يفعله فيفعله فتجب عليه الكفارة، واليمين

الغموس التي توجب النار: الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله^(٥).

وعنه عليه السلام: من حلف على يمين فرآى غيرها خيراً منها فأتى ذلك فهو كفارة يمينه^(٦).

وعنه عليه السلام: ما حلفت عليه ممّا فيه البرّ فعليك الكفارة إذا لم تف به، وما حلفت عليه ممّا

فيه المعصية فليس عليك فيه الكفارة إذا رجعت عنه، وما كان سوى ذلك ممّا ليس فيه برّ ولا

١- الكافي: ج ٤، ص ١٤٠، ح ٢، باب صوم كفارة اليمين.

٢- الحنث: الخلف في اليمين. والحنث في اليمين: نقضها والنكث فيها، يقال: حنث في يمينه يحنث حنثاً: إذا لم يف بموجبها، فهو حانث. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٥٠، مادة «حنث».

٣- البرّ: الصدق في اليمين ويكسر. برّ في يمينه يبرّ، إذا صدقه ولم يحنث. تاج العروس: ج ١٠، ص ١٥٤، مادة «برر».

٤- اليمين الغموس: وهي التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار. وقيل: هي التي لا استثناء فيها، أو هي التي تقتطع بها مال غيرك، وهي الكاذبة الفاجرة. وقيل: هي التي تتعمد صاحبها علماً بأنّ الأمر بخلافه ليقطع بها الحقوق. تاج العروس: ج ١٦، ص ٣١١، مادة «غمس».

٥- الكافي: ج ٧، ص ٤٣٨، ح ١، باب وجوه الإيمان.

٦- الكافي: ج ٧، ص ٤٤٣، ح ٢، باب من حلف على يمين فرآى خيراً منها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

معصية فليس بشيء (١).

وفي الخصال: عنه عليه السلام لا حنث ولا كفارة على من حلف تقيّة يدفع بذلك ظلماً عن نفسه (٢).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: لا يمين لولد مع والده ولا للمرأة مع زوجها (٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام لما نزلت هذه
الآية، قيل: يا رسول الله وما الميسر؟ فقال: كل ما تقوم عليه حتى الكعب والجوز، قيل: فما
الأنصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتهم، قيل: فما الأزلام؟ قال: قداهم التي يستقسمونها (٤) (٥).

أقول: قد مضى في تفسير الأنصاب، والأزلام حديث آخر في أول السورة (٦)، وفي
الآية ضروب من التأكيد في تحريم الخمر والميسر، وقد مضت أخبار في ذلك عند قوله تعالى:
«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» من سورة البقرة (٧).

والقمي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أمّا الخمر: فكل مسكر من الشراب إذا حمر فهو
خمر، وما أسكر قليله وكثيره فقليله حرام (٨)، وذلك إن أبا بكر شرب قبل أن يحرم الخمر فسكر

١- الكافي: ج ٧، ص ٤٤٦، ح ٥، باب اليمين التي تلزم صاحبها الكفارة.

٢- الخصال: ص ٦٠٧، أبواب المائة فما فوقه. ٣- الخصال: ص ٦٢١، باب حديث أربعمائة.

٤- وفي نسخة: [يستقسمون بها] كما في المصدر. ٥- الكافي: ج ٥، ص ١٢٢، ح ٢، باب القمار والنهبة.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٦-٢١٨، ح ١٠٠٧/٩٧، باب ٩٦- الصيد والذبائح.

٧- البقرة: ٢١٩. ٨- وفي نسخة: [وما أسكر كثيره فقليله حرام]. وفي

المصدر: فكل مسكر من الشراب حرام إذا حمر فهو حرام، وأمّا المسكر كثيره وقليله حرام.

فجعل يقول الشعر ويبكي على قتلى المشركين من أهل بدر، فسمع النبي ﷺ فقال: اللَّهُمَّ أَمْسِكْ عَلَى لِسَانِهِ، فَأَمْسَكَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ السَّكْرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَحْرِيمَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْخَمْرُ يَوْمَ حَرَمَتْهَا بِالْمَدِينَةِ فَضِيخٌ ^(١) الْبَسْرُ ^(٢) وَالتَّمْرُ، فَلَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُهَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَعَدَ بِالْمَسْجِدِ ثُمَّ دَعَا بِأَنِيَّتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَنْبِذُونَ فِيهَا فَكَفَّأَهَا كُلَّهَا، وَقَالَ: هَذِهِ كُلُّهَا خَمْرٌ فَقَدْ حَرَمَهَا اللَّهُ، فَكَانَ أَكْثَرُ شَيْءٍ كُفِيَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ مِنَ الْأَشْرَبَةِ الْفَضِيخِ، وَلَا أَعْلَمُ أَكْثَى يَوْمُئِذٍ مِنْ خَمْرِ الْعَنْبِ شَيْءٍ إِلَّا إِنْاءَ وَاحِدٍ كَانَ فِيهِ زَبِيبٌ وَتَمْرٌ جَمِيعاً، فَأَمَّا عَصِيرُ الْعَنْبِ فَلَمْ يَكُنْ يَوْمُئِذٍ بِالْمَدِينَةِ مِنْهُ شَيْءٌ، حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ قَلِيلَهَا وَكَثِيرَهَا، وَبَيْعَهَا وَشِرَائَهَا، وَالْإِنْتِفَاعَ بِهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ، وَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ مِمَّا يُخْرِجُ مِنْ فُرُوجِ الْمَوْمَسَاتِ، وَالْمَوْمَسَاتِ: الزَّوَانِي يُخْرِجُ مِنْ فُرُوجِهِنَّ صَدِيدٌ، وَالصَّدِيدُ: قَيْحٌ وَدَمٌ غَلِيظٌ مُخْتَلِطٌ يُوْذِي أَهْلَ النَّارِ حَرَّهُ وَنَتْنَهُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَإِنْ عَادَ فَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً مِنْ يَوْمٍ شَرَبَهَا، فَإِنْ مَاتَ فِي تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ لَيْلَةً مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ ^(٣) وَاسْمُ الْمَسْجِدِ الَّذِي قَعَدَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَكْفَتِ الْأَشْرَبَةَ مَسْجِدَ الْفَضِيخِ مِنْ يَوْمُئِذٍ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرُ شَيْءٍ أُكْفِيَ مِنَ الْأَشْرَبَةِ الْفَضِيخُ، فَأَمَّا الْمَيْسِرُ: فَالْتَّرَدُّ، وَالشُّطْرُنْجُ، وَكُلُّ قَارِ مَيْسِرٍ، وَأَمَّا الْأَنْصَابُ: فَالْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ، وَأَمَّا الْأَزْلَامُ: فَالْقِدَاحُ الَّتِي كَانَتْ يَسْتَقِيمُ بِهَا مُشْرِكُوا الْعَرَبِ فِي الْأُمُورِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُلُّ هَذَا بَيْعُهُ وَشِرَاؤُهُ وَالْإِنْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا حَرَامٌ مِنَ اللَّهِ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَقَرَنَ اللَّهُ

١ - الْفَضِيخُ: عَصِيرُ الْعَنْبِ وَشَرَابٌ يَتَخَذُ مِنَ الْبَسْرِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ. مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ٢، ص ٤٤٠، مَادَّةُ «فَضَخ».

٢ - الْبُسْرُ - بِالضَّمِّ فَالْضَّمُّ فَالْضَّمُّ - ثَمَرُ النَّخْلِ قَبْلَ أَنْ يَرْطُبَ. مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ٣، ص ٢٢١، مَادَّةُ «بَسْر».

٣ - الْخَبَالُ: الْفَسَادُ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَفْتَحُ خَاءَ وَبَاءَ مَرَّحَةً، وَفُسِّرَتْ بِصَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْ فُرُوجِ الزَّانَةِ، فَيَجْتَمِعُ ذَلِكَ فِي قَدْرِ جَهَنَّمَ فَيَشْرَبُهُ أَهْلُ النَّارِ. مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ٥، ص ٣٦٢، مَادَّةُ «خَبَل».

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
 الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا
 فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

الخمر والميسر مع الأوثان (١).

وفي الخصال: عن الباقر عليه السلام لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة: غارسها، وحارسها، وعاصرها، وشاربها، وساقها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومشتريها، وأكل ثمنها (٢).
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾: قيل: إنما خص الخمر والميسر بإعادة الذكر وشرح ما فيها من الوبال تنبيهاً على أنها المقصود من البيان، وذكر الأضباب والأزلام للدلالة على أنها مثلها في الحرمة والشرارة كقول النبي صلى الله عليه وآله: شارب الخمر كعابد الوثن، وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان من حيث أنها عباده والفارق بينه وبين الكفر، ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الإستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف إيذاناً بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية، وإن الأعداء قد انقطعت (٣).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾: عما نهينا عنه أو عن مخالفتها.
 ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾: في الكافي: عن

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٠-١٨١. ٢- الخصال: ص ٤٤٤، ج ١، باب ١٠- لعن رسول الله صلى الله عليه وآله في الخمر عشرة. ٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩١. ولكن ورد في الكافي عن الصادق عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في عدة من الروايات: مدمن الخمر كعابد وثن. راجع ج ٦، ص ٤٠٤-٤٠٥، باب مدمن الخمر.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
وَوَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

الصادق عليه السلام في هذه الآية أما والله ما هلك من كان قبلكم، وما هلك من هلك حتى يقوم قائماً إلا في ترك ولايتنا، وجود حقنا، وما خرج رسول الله ﷺ من الدنيا حتى أُلزم رقاب هذه الأمة حقنا، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(١).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾: من المستلذات أكلًا كان أو شرباً، فإنَّ الطعم يعمّهما. في الجمع: في تفسير أهل البيت عليه السلام فيما طعموا من الحلال^(٢).

﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: القمّي: لما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما، قال الناس من المهاجرين والأنصار: يا رسول الله قتل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد ساء الله تعالى رجساً، وجعلها من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت أفيض أصحابنا ذلك شيئاً بعد ما ماتوا؟ فأنزل الله هذه الآية، فهذا لمن مات أو قتل قبل تحريم الخمر، والجناح هو الإثم، وهو على من شربها بعد التحريم^(٣).

وقيل: «فِيمَا طَعِمُوا» أي مما لم يحرم عليهم إذا ما اتقوا أي المحرم «وَوَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أي ثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحات، «ثُمَّ اتَّقَوْا» أي ما حرم عليهم بعد الخمر «وَوَءَامَنُوا» بتحريمه، «ثُمَّ اتَّقَوْا» أي استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي «وَأَحْسَنُوا» أي

١- الكافي: ج ١، ص ٤٢٦-٤٢٧، ح ٧٤، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٢- مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٢٤٠. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨١-١٨٢.

وتَحَرَّوا الأَعْمَالِ الْجَمِيلَةَ، واشتغلوا بها^(١).

أقول: لما كان لكلٍّ من الإيمان والتقوى درجات ومنازل كما ورد عنهم عليه السلام لم يبعد أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدرجات والمنازل، في الكافي: عن الصادق عليه السلام للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل: فنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه^(٢).

وعن الباقر عليه السلام: إنَّ المؤمنين على منازل منهم على واحدة، ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستٍّ، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمّل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو، وساق الحديث، ثم قال: وعلى هذه الدرجات^(٣).

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى في الله، وهي ترك الحلال فضلاً عن الشبهة، وهي تقوى خاصّ الخاصّ، وتقوى من الله: وهي ترك الشبهات فضلاً عن الحرام، وهي تقوى الخاص، وتقوى من خوف النار والعقاب وهي ترك الحرام وهي تقوى العام، ومثل التقوى كما يجري في نهر ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كلّ لون وجنس، وكلّ شجرة منها تمتصّ الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطبيعته ولطافته وكثافته، ثمّ منافع الخلق من تلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها، قال الله تعالى: «صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ»^(٤)، فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ومثل طبائع الأشجار في لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان، فمن كان أعلى درجة في الإيمان وأصفي جوهرًا بالروح كان أتقى، ومن كان اتقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب، وكلّ عبادة غير مؤسّسة على التقوى فهي هباء منثور، قال الله تعالى: «أَفَهْنِ أَسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩١.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٤، ح ١، باب في أن الإيمان مبنو لجوارح البدن كلّها.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٤٥، ح ٣، باب آخر منه. ٤- الرعد: ٤.

مَنْ أَسَسَ بُنْيَنَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ»^(١) انتهى كلامه عليه السلام^(٢).

فنقول في بيان ذلك أن أوائل درجات الإيمان تصديقات مشوبة بالشبه والشكوك على اختلاف مراتبها، ويمكن معها الشرك كما قال سبحانه «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ»^(٣)، ويعبر عنها بالإسلام، كما قال الله عز وجل: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^(٤)، والتقوى المتقدمة عليها هي تقوى العام وأوسطها تصديقات لا يشوبها شك ولا شبهة كما قال عز وجل: «الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا»^(٥)، وأكثر إطلاق الإيمان عليها خاصة كما قال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(٦)، والتقوى المتقدمة عليها هي تقوى الخاص وأواخرها تصديقات كذلك مع شهود وعيان ومحبة كاملة لله عز وجل كما قال: «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ»^(٧)، ويعبر عنها تارة بالإحسان كما ورد في الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه^(٨)، وأخرى بالإيقان كما قال: «وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»^(٩)، والتقوى المتقدمة عليها هي تقوى خاص الخاص وإنما قدمت التقوى على الإيمان لأن الإيمان إنما يتحصل ويتقوى بالتقوى لأنها كلما ازدادت ازداد الإيمان بحسب إزديادها، وهذا لا ينافي تقدم أصل الإيمان على التقوى بل إزدياده بحسب إزديادها أيضاً لأن الدرجة المتقدمة لكل منها غير الدرجة المتأخرة، ومثل ذلك مثل من يشي بسراج في ظلمة فكلما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لإضاءة قطعة أخرى منه.

٢- مصباح الشريعة: ص ٣٨-٣٩.

١- التوبة: ١٠٩.

٤- الحجرات: ١٤.

٣- يوسف: ١٠٦.

٦- الأنفال: ٢.

٥- الحجرات: ١٥.

٧- المائدة: ٥٤.

٨- صحيح البخاري: ج ٦، ص ٢٠، تفسير سورة لقمان، باب ٢.

٩- البقرة: ٤.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ
 أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
 بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾

وهكذا في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: أتى عمر بقدامة بن مظعون قد شرب الخمر، وقامت عليه البيّنة فسأل أمير المؤمنين عليه السلام فأمره أن يجلدوه ثمانين، فقال قدامة: يا أمير المؤمنين ليس عليّ حدّ، أنا من أهل هذه الآية «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا» قال: فقال علي صلوات الله وسلامه عليه: لست من أهلها، إنّ طعام أهلها لهم حلال ليس يأكلون ولا يشربون إلّا ما أحلّه الله لهم، ثمّ قال علي عليه السلام: إنّ الشارب إذا شرب لم يدر ما يأكل ولا ما يشرب فاجلدوه ثمانين جلدة^(١).

أقول: في قوله عليه السلام إلّا ما أحلّه الله لهم تنبيه على أنّهم يحترزون عن الشبهات بل عن كلّ ما يمنعهم من الشهود مع الله، «وَالْجُنَاحُ» في الآية نكرة في سياق النفي يعمّ أدنى مراتبه كاستحقاق العتاب، والسّر فيه أن شكر نعم الله تعالى أن تصرف في طاعة الله سبحانه على وجهها فليتدبّر فيه، وعلى ما حققناه إن صحّ إنّ سبب نزول هذه الآية ما ذكره القمي^(٢) موافقاً لطائفة من المفسّرين فعنى الآية إنّ الذين كانوا يشربون الخمر قبل نزول تحرّيمها إذا كانوا بهذه المثابة من الإيمان والتقوى والعمل الصالح فلا جناح عليهم في شربها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: يعني في حال إحرامكم، نبّه بقوله: «بِشَيْءٍ» على تحقيره بالإضافة إلى الإبتلاء ببذل الأنفس والأموال. القمي: قال: نزلت في غزوة الحديبية، جمع الله عليهم الصيد

١- الكافي: ج ٧، ص ٢١٥، ح ١٠، باب ما يجب فيه الحد في الشرب.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٢.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ
مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَذَا بَلَغَ الْكُفْبَةُ أَوْ كَفَّرَةُ طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ
عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ
عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

فدخلوا بين رحالهم (١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام حشر عليهم الصيد في كل مكان حتى دنا منهم ليلوهم الله به (٢).

وعنه عليه السلام: حشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم (٣).

وفي رواية: ماتتاله الأيدي البيض والفراخ، وماتتاله الرماح فهو ما لا تصل إليه الأيدي (٤). وفي المجمع: عنه عليه السلام الذي تناله الأيدي: فراخ الطير، وصغار الوحش، والبيض، والتي تناله الرماح الكبار من الصيد (٥).

﴿لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾: ليميز من يخاف عقاب الآخرة وهو غائب منتظر، فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه.

﴿مَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٢. وإليك نصه: «نزلت في غزاة الحديبية قد جمع الله عليهم الصيد فدخل بين رحالهم».

٢ - الكافي: ج ٤، ص ٣٩٦، ح ٢، باب النوادر.

٣ - الكافي: ج ٤، ص ٣٩٦، ح ١، باب النوادر.

٤ - الكافي: ج ٤، ص ٣٩٧، ح ٤، باب النوادر.

٥ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٤٤.

أَلَصِيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ: محرمون. في التهذيب: عن الصادق عليه السلام إذا أحرمت فأتق قتل الدواب كلها إلا الأفعى والعقرب والفأرة فإنها توهي^(١) السقاء، وتضرم على أهل البيت البيت، وأما العقرب فإن نبي الله مديده إلى الحجر فلسعته عقرب، فقال: لعنك الله لا تدعين برأ ولا فاجراً. والحية إذا أرادتك فاقتلها وإن لم تردك فلا تردها، والكلب العقور والسبع إذا أرادك فاقتلها فإن لم يردك فلا تردها والأسود^(٢) الغدر فاقتله على كل حال، وارم الغراب رمياً والحداة^(٣) على ظهر بعيرك^(٤). وفي الكافي: ما في معناه^(٥).

وعنه عليه السلام: يقتل المحرم الزنبور، والنسر، والأسود الغدر، والذئب، وما خاف أن يعدو عليه، وقال: الكلب العقور وهو الذئب^(٦).

وعنه عليه السلام: كل ما خاف المحرم على نفسه من السباع والحيات فليقتله وإن لم يردك فلا ترده^(٧).

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾: وقرئ فجزاء بالإضافة. في التهذيب: عن الصادق عليه السلام في تفسيرها في الظبي شاة، وفي حمار وحش بقرة، وفي

١ - الإبهاء: الخرق، والإضرار: الإحراق، وإحراقها البيت على أهله: بأن تخرج الفتيلة من السراج ترميها فتصير سبب الإحراق، والعقر: الجرح، والأسود: العظيم من الحيات، وفيه سواد، والغدر بالمعجمة وكسر الدال: الذي لا وفاء له، والحداة: طائر يصيد الجرذان، على ظهر بعيرك: يعني فارمها إذا كانت عليه. منه عليه السلام.

٢ - الأسود: الحية العظيمة. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٧٤، مادة «سود».

٣ - الحداة كعنبه: وهو طائر خبيث يجمع بحذف الهاء. منه عليه السلام. وقال الطريحي: الحداة كعنبه، وهو طائر خبيث، ويجمع بحذف الهاء كعنب. مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٦، مادة «حدا».

٤ - تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٦٥ - ٣٦٦، ح ١٢٧٣ / ١٨٦، باب ٢٥ - الكفارة عن خطأ المحرم وتعدية الشروط.

٥ - الكافي: ج ٤، ص ٣٦٣، ح ٢، باب ما يجوز للمحرم قتله وما يجب عليه فيه الكفارة.

٦ - الكافي: ج ٤، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، ح ٤، باب ما يجوز للمحرم قتله وما يجب عليه فيه الكفارة.

٧ - الكافي: ج ٤، ص ٣٦٣، ح ١، باب ما يجوز للمحرم قتله وما يجب عليه فيه الكفارة.

النعمة جزور^(١)، وزاد في رواية أخرى: وفي البقرة بقرة^(٢). والعياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه^(٣).

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: في المجمع: عن الباقر والصادق عليهما السلام ذو عدل^(٤). وفي الكافي عنها عليه السلام^(٥)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام العدل: رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام من بعده، ثم قال: هذا مما أخطأت به الكتاب^(٦)، وزاد العياشي: يعني رجلاً واحداً يعني الإمام^(٧). أقول: يعني إن رسم الألف في «ذوا عدل» من تصرف نسخ القرآن خطأ، والصواب محوها وذلك لأنه يفيد أن الحاكم اثنان، والحال أنه واحد وهو الرسول في زمانه، ثم كل إمام في زمانه على سبيل البدل.

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام: العدل: رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام من بعده يحكم به وهو ذو عدل، فإذا علمت ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام عليهما السلام فحسبك ولا تسأل عنه^(٨). ﴿هَذَا بَلَدٌ بَلَعَتْهُ الْكَعْبَةُ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام من وجب عليه هدي في إحرامه فله أن ينحره حيث شاء إلا فداء الصيد فإن الله يقول: «هَذَا بَلَدٌ بَلَعَتْهُ الْكَعْبَةُ»^(٩). وعنه عليه السلام من وجب عليه هدي فداء صيد أصابه وهو محرم فإن كان حاجتاً نحر هديه الذي يجب عليه بئى، وإن كان معتمراً نحر بمكة قبالة الكعبة^(١٠).

١- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٤١، ح ١١٨٠ / ٩٣، باب ٢٥- الكفارة عن خطأ المحرم وتعديه الشروط.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٤١، ح ١١٨١ / ٩٤ وح ١١٨٢ / ٩٥، باب ٢٥- في الكفارة عن خطأ المحرم وتعديه الشروط.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٤٣، ح ١٩٥.

٤- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٤٢، في بحث القراءة.

٥- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٦، ح ٣، عن أبي عبد الله عليه السلام، وص ٣٩٧، ح ٥، عن أبي جعفر عليه السلام، باب النوادر.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٤٣، ح ١٩٧. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٤٤، ح ١٩٨.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣١٤، ح ٧٤ / ٨٦، باب ٩٢- من الزيادات في القضايا والأحكام.

٩- الكافي: ج ٤، ص ٣٨٤، ح ٢، باب المحرم يصيد الصيد من أين يفديه وأين يذبحه.

١٠- الكافي: ج ٤، ص ٣٨٤، ح ٣، باب المحرم يصيد الصيد من أين يفديه وأين يذبحه.

وعن الباقر عليه السلام: مثله، وزاد وإن شاء تركه إلى أن يقدم فيشتريه فإنه يجزي عنه ^(١).
﴿أَوْ كَفَّرَ طَعَامَ مَسْكِينٍ﴾: وقرئ كفارة طعام بالإضافة.
﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن محرم أصاب نعامة أو حمار وحش، قال: عليه بدنة، قيل: فإن لم يقدر على بدنة؟ قال: فليطعم ستين مسكيناً، قيل: فإن لم يقدر على أن يتصدق؟ قال: فليصم ثمانية عشر يوماً والصدقة مد على كل مسكين، وسئل عن محرم أصاب بقرة، قال: عليه بقرة، قيل: فإن لم يقدر على بقرة، قال: فليطعم ثلاثين مسكيناً، قيل: فإن لم يقدر على أن يتصدق، قال: فليصم تسعة أيام ^(٢)، قيل: فإن أصاب ظبياً، قال: عليه شاة، قيل: فإن لم يقدر، قال: فإطعام عشرة مساكين، فإن لم يجد ما يتصدق به فعليه صيام ثلاثة أيام ^(٣).

وفي الفقيه ^(٤)، والقمي: عن السجاد عليه السلام في حديث الزهري أو تدرى كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهري؟ قال: لا أدري، قال: يقوم الصيد قيمة ثم تفض ^(٥) تلك القيمة على البر، ثم يكال ذلك البر أصواعاً، فيصوم لكل نصف صاع يوماً ^(٦).
﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِه﴾: يعني هذا الجزاء ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمته الإحرام.

-
- ١- الكافي: ج ٤، ص ٣٨٤، ح ٤، باب المحرم يصيد الصيد من أين يفديه وأين يذبحه؟
 - ٢- قوله: «فليصم تسعة أيام»، إطلاقه مقيد بصورة العجز عن صوم الثلاثين أو ما وافق قيمة طعام الصدقة بالإجماع المنقول وقاعدة معادلة الصوم لعدد المطعمين المستفادة من الآية وغير ذلك من الأخبار، فهو بظاهره غير معمول به عند الأصحاب.
 - ٣- الكافي: ج ٤، ص ٣٨٥، ح ١، باب كفارات ما أصاب المحرم من الوحش.
 - ٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٧، ح ٢٠٨ / ١، باب ٢٣- باب وجوه الصوم.
 - ٥- الفض: الكسر بالترقة. وقد فضّه يفضّه، وفضضت ختم الكتاب. الصحاح: ج ٣، ص ١٠٩٨، مادة «فضض».
 - ٦- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٦، والحديث طويل، س ١٧.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسِّيَّارَةِ وَحَرَّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: يعني الدفعة الأولى.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام

في محرم أصاب صيداً، قال: عليه الكفارة، قيل: فإن أصاب آخر؟ قال: إذا أصاب آخر فليس عليه كفارة، وهو ممن قال الله تعالى: «وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ»^(١). وفي معناه أخبار أخر^(٢).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إذا أصاب المحرم الصيد خطأ فعليه الكفارة، فإن أصابه ثانية خطأ فعليه الكفارة أبداً إذا كان خطأ، فإن أصابه متعمداً كان عليه الكفارة، فإن أصابه ثانية متعمداً فهو ممن ينتقم الله منه ولم يكن عليه الكفارة^(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في قوله الله عز وجل: «وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ» قال: إن رجلاً انطلق وهو محرم فأخذ ثعلباً فجعل يقرب النار إلى وجهه وجعل الثعلب يصيح ويحدث من استه، وجعل أصحابه ينهونه عما يصنع، ثم أرسله بعد ذلك فبينما الرجل نائم إذ جاءت حية فدخلت في فيه فلم تدعه حتى جعل يحدث كما أحدث الثعلب ثم خلت عنه^(٤).

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسِّيَّارَةِ﴾: وللسياريتمكم

١- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٢، باب المحرم يصيب الصيد مراراً.

٢- راجع الكافي: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٣، باب المحرم يصيب الصيد مراراً، وتهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٧٢، ح ٢١٠ / ١٢٩٧، باب ٢٥ - الكفارة عن خطأ المحرم وتعدية الشروط.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٣٧٢ - ٣٧٣، ح ٢١١ / ١٢٩٨، باب ٢٥ - الكفارة عن خطأ المحرم وتعدية

الشرط. ٤- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٧، ح ٦، باب النوادر.

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَيَّتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ
وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾

يتزودونه قديداً^(١).

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام لا بأس أن يصيد المحرم السمك ويأكل ماله وطريه ويتزود، وقال: «أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ» قال: ماله الذي يأكلون، وفصل ما بينها كل طير يكون في الآجام يبيض في البر ويفرخ في البر فهو من صيد البر، وما كان من صيد البر يكون في البر ويبيض في البحر ويفرخ في البحر فهو من صيد البحر^(٢).

وعنه عليه السلام: كل شيء يكون أصله في البحر ويكون في البر والبحر فلا ينبغي للمحرم أن يقتله، فإن قتلته فعليه الجزاء كما قال الله تعالى^(٣).

وعن أحدهما عليه السلام: قال: لا يأكل المحرم طير الماء^(٤).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَيَّتَ الْحَرَامَ قِيَمًا: وقرئ قِيماً بغير ألف.

﴿لِلنَّاسِ﴾: لمعايشهم ومكاسبهم، يستقيم به أمور دينهم ودنياهم، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الضعيف، ويربح عنده التجار باجتماعهم عنده من سائر الأطراف، ويغفر بقصده

١- القديد: اللحم المقدد، أي المشرح طولاً. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٢٥، مادة «قدد».

٢- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٢-٣٩٣، ح ١، باب فصل ما بين صيد البر والبحر، وما يحل للمحرم من ذلك.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٣، ح ٢، باب فصل ما بين صيد البر والبحر وما يحل للمحرم من ذلك.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٩، باب فصل ما بين صيد البر والبحر وما يحل للمحرم من ذلك.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

المنذوب، ويفوز حاجه بالثبوتات. في الجمع: عن الصادق عليه السلام من أتى هذا البيت يريد شيئاً في الدنيا والآخرة أصابه ^(١).

والقمي: قال: مادامت الكعبة قائمة ويحج الناس إليها لم يهلكوا فإذا هدمت وتركوا الحج هلكوا ^(٢).

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾: مضى تفسيرها.

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: يعني إذا أطلعتم على الحكمة في جعل الكعبة قياماً وما في الحج ومناسكه من الحكم علمتم أن الله يعلم الأشياء جميعاً.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: تعميم بعد تخصيص، ومبالغة بعد إطلاق.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وعيد ووعد لمن هتك محارمه، ولمن حافظ عليها. في التوحيد: عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، قال: قال الله تعالى: «من أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً وهو يعلم أن لي أن أعذبه وأن أعفو عنه عفوت عنه ^(٣)».

﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾: تشديد في إيجاب القيام بما أمر به.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من تصديق، وتكذيب، وفعل، وعزيمة.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٧-١٨٨.

١- مجمع البيان: ج ٣-٤، ص ٢٤٧.

٣- التوحيد: ص ٤١٠، ح ١٠، باب ٦٣- الأمر والنهي والوعد والوعيد.

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ
تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ
غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: إنساناً كان، أو عملاً، أو مالا، أو غير ذلك.
﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: فإن العبرة بالجودة والرداءة لا بالكثرة والقلّة.
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ﴾: في تحزّي^(١) الخبيث وإن كثّر، وآثروا الطيب وإن

قلّ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ
تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام: لا
تسألوا عن أشياء لم تبد لكم، إن تبد لكم تسؤكم^(٢).

وفي المجمع^(٣): عن أمير المؤمنين عليه السلام خطب رسول الله ﷺ، فقال: إن الله كتب عليكم

١ - التحزّي: القصد والإجتهاد في الطلب، والغرم على تخصيص الشيء بالفعل والقول. مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٨، مادة «حرا».

٢ - الكافي: ج ٨، ص ٢٠٥، ح ٢٤٨.

٣ - في المجمع: اختلف العلماء في نزولها، فقيل: سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فقال: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا يبتته لكم، فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة، وكان يطعن في نسبته، فقال: يا نبي الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة بن قيس، فقام إليه رجل آخر فقال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال: في النار، فقام عمر بن الخطاب وقبّل رجل رسول الله ﷺ وقال: إنّا يا رسول الله حديثوا عهد بجاهليّة وشرك فاعفو عتّا عفا الله عنك، فسكن غضبه فقال: أما والذي نفسي بيده لقد صوّرت لي الجنة والنار

الحج، فقال عكاشة بن محصن، - ويروى سراقه بن مالك -: أفي كل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ: ويحك وما يؤمنك أن أقول: نعم، والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم فأثما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه^(١).

والقمي: عن الباقر عليه السلام إن صفية بنت عبدالمطلب^(٢) مات ابن لها فأقبلت فقال لها عمر: غطي قرطك^(٣) فإن قرابتك من رسول الله ﷺ لا تنفعك شيئاً، فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخاء^(٤)؟ ثم دخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله ﷺ فنادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس.

فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟ لو قد قت المقام المحمود لشفعت في

أنفائي عرض هذا الحائط فلم أركاليوم في الخير والشر. عن الزهري وقتادة، عن أنس، وقيل: كان قوم يسألون رسول الله استهزاء مرة وامتحاناً مرة فيقول له بعضهم: من أبي؟ ويقول الآخر أين أبي؟ ويقول الآخر إذا ضلّت ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية، عن ابن عباس. منه بُخَّ. راجع مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٥٠، في شأن النزول.

١- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٥٠.

٢- صفية بنت عبدالمطلب: هي والدّة الزبير ولذا كان علي عليه السلام ابن خاله، تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبدشمس أخو أبي سفيان، فمات عنها فتزوجها العوّام بن خويلد فولدت له الزبير وعبدالكعبة، ولم يختلف في إسلامها أحد كما وقع الإختلاف في إسلام بقيّة عمّات النبي ﷺ. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٦٥، مادة «صفا».

٣- التُّرُط - بالضم فالسكون -: هو الذي يعلّق في شحمة الأذن، والجمع قِرْطَة وقِرَاط أيضاً كرم ورماح. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٢٦٧، مادة «قرط».

٤- لحن السقاء بالكسر لحناً، أي أنتن. ومنه قولهم: أمة لحناء. ويقال: اللخاء التي لم تختن. الصّحاح: ج ٦، ص ٢١٩٤، مادة «لحن». وفي تاج العروس: ج ٩، ص ٣٣٢، (ط حجري)، بعد كلام: وقولهم يابن اللخاء: قيل معناه: يادني الأصل، ويالئيم الأم، أشار إليه الراغب.

خارجكم^(١) لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته، فقام إليه رجل، فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان بن فلان، فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ قال: أبوك الذي تدعى له.

ثم قال رسول الله ﷺ: ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه؟! فقام إليه عمر فقال له: أعود بالله يا رسول الله من غضب الله وغضب رسول الله ﷺ، اعف عني عفا الله عنك، فأنزل الله: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا»، الآية^(٢).

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾: قيل: استئناف، أي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها^(٣).

وقيل: بل صفة أخرى، أي عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها، وكفّ عن ذكرها^(٤). ويؤيده قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها^(٥) وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً، فلا تتكلفوها^(٦).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير.

١- هكذا في الأصل. وفي المصدر: «لشفعت في أحوجكم»، وفي بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ١٤٥ - ١٤٦، ح ٢، باب ٢٠ - «لشفعت في علوجكم». وقال في ص ١٤٧: ولعل المراد بالعلوج: عبيدهم الذين أسلموا من كفّار العجم، وأضاف في القول: ولا يبعد أن يكون لشفعت «في حاء وحكم». قال في النهاية: فيه شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي حتى حكم وحاء. وهما قبيلتان جافيتان من وراء رمل يبرين. ج ١، ص ٤٢١. وقال الجوهري: يبرين: اسم موضع... يقال رمل يبرين: الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٧٨.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٨.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٤.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٤.

٥- النهك: المبالغة في كل شيء، ونهكه السلطان كسمعه ينهكه نهكاً. ونهكة أي بالغ في عقوبته. مجمع البحرين:

ج ٥، ص ٢٩٦، مادة «نهك». ٦- نهج البلاغة: ص ٤٨٧، الحكم ١٠٥.

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
 جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾: حيث لم يأثمروا
 وجحدوا.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾: ما شرع الله.

﴿مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾^(١) وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴿: في المعاني: عن الصادق عليه السلام
 إن أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين من^(٢) بطن واحد، قالوا: وصلت، فلا يستحلّون
 ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشرًا جعلوها سائبة، ولا يستحلّون ظهرها، ولا أكلها، و«الحام»:
 فحل الإبل لم يكونوا يستحلّونه، فأُنزل الله عزّ وجلّ إنّه لم يحرم شيئاً من ذلك.

قال: وقد روي أن «البحيرة»: الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن، فإن كان الخامس ذكراً
 نحرّوه فأكله الرجال والنساء وإن كان الخامس أنثى مجرّوا أذنّها أي شقّوه، وكانت حراماً على
 النساء لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلّت للنساء، و«السائبة»: البعير يسيّب بنذر يكون على
 الرجل أن سلّمه الله عزّ وجلّ من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، و«الوصيلة»: من الغنم
 كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال والنساء، وإن
 كان أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى، قالوا: وصلت أخاها فلا^(٣) تذبح، وكان لحمها

١ - السائبة: هو البعير الذي يُسيّب، كان الرجل يقول: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقني سائبة
 فكانت كالبحيرة في تحريم الإنتفاع بها. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٨٤، مادة «سيب».

٢ - وفي نسخة: [في] كما في المصدر.
 ٣ - وفي نسخة: [فلم]، كما في المصدر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَكُنَّا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

حراماً على النساء إلا أن يموت منها شيء فيحلّ أكلها للرجال والنساء، والحام: الفحل إذا ركب ولد ولده، قالوا: قد حمى ظهره.

وقد يروى: أن «الحام»: هو من الإبل إذا أنتج عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا ينع من كلاء ولا ماء^(١).

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: بتحريم ذلك ونسبته إليه.
﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: إن ذلك إفتراء وكذب، يعني الأتباع الذين يقلّدون في تحريمها رؤساءهم الذين ينعهم حبّ الرئاسة عن الإعراف به، وفي المجمع: عن النبي ﷺ أن عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف كان قد ملك مكّة، وكان أوّل من غير دين إسماعيل، فاتخذ الأصنام، ونصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، قال رسول الله ﷺ: فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار ريح قصبه^(٢)، ويروى يجرّ قصبه في النار^(٣).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾: بيان لقصور عقولهم، وإنهاكهم في التقليد، وأن لا سند لهم سواه.
﴿أَوْ كُنَّا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: يعني أوحسبتم ما وجدوا

١ - معاني الأخبار: ص ١٤٨، ح ١، باب معنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

٢ - القُصْبُ محرّكة: عظام الأصابع، شعب الحلق، ومخارج الأنفاس، والقُصْبُ - بالضم - : الظهر والمعنى، والمراد

هنا الأمعاء. منه يَنْبُتُ. ٣ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٥٢.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ
إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

عليه آباءهم ولو كانوا جهلةً ضالِّين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾: احفظوها وألزموا صلاحها.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾: قيل: نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم^(١).

والقمي: قال: أصلحوا أنفسكم، ولا تتبعوا عورات الناس، ولا تذكروهم، فإنه لا يضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين^(٢).

وفي المجمع: أن أبا ثعلبة سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: إنتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنیا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة^(٣) نفسك وذرعواهم^(٤).

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: وعد ووعد للفريقين على أن أحداً لا يؤاخذ بذنب غيره.

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٥. والظاهر أنه اقتباس من الكشاف، فراجع: ج ١، ص ٦٨٥.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٨ - ١٨٩.

٣ - الخويصة: تصغير الخاصة، وأصله خويصة، قال الزمخشري: يا وها ساكنة، لأن ياء التصغير لا تتحرك. وفي حديث آخر: بادروا بالأعمال ستاً... وخويصة أحكمكم يعني حادثة الموت التي تخص كل إنسان وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب. أي بادروا الموت واجتهدوا في العمل. تاج العروس:

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٥٤.

ج ١٧، ص ٥٥٢، مادة «خصص».

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ
إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ
تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا
نَشْرَى بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا
لَّنَ الْآثِمِينَ



- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الإِشهاد الذي شرع بينكم فيما أمرتم به.
- ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾: إذا شارفه وحضرت إماراته.
- ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾: قيل: فيه تنبيهه على أن الوصية مما لا ينبغي أن يتهاون فيه (١)(٢).
- ﴿اثْنَانِ﴾: شهادة اثنين.
- ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾: من المسلمين.
- ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من أهل الكتاب والمجوس كما يأتي.
- ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: سافرتم.
- ﴿فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾: قاربكم الأجل.
- ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفونها.
- ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾: لتغليظ اليمين بشرف الوقت، ولأنه وقت اجتماع الناس.
- ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾: أي الآخرين.

١ - هكذا في الأصل والمصدر. والصحيح «فيها».

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٥.

فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ
الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ
مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾: إرتاب^(١) الوارث منكم، وهو اعتراض.

﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾: بالقسم أو بالله.

﴿عَمَّنَا﴾: عوضاً من الدنيا.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: أي ولو كان المقسم له ذا قربي.

﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾: التي أمر الله بإقامتها.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ﴾: أي إن كنمنا.

﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾: فإن اطلع وحصل العلم.

﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾: أي الآخرين.

﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾: استوجبا عقوبة بسبب تحريف في الشهادة أو خيانة.

﴿فَآخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران.

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾: أي الذين حق عليهم، يعني بهم

الورثة.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾: الأحقان بالشهادة لقربتهما ومعرفتهما، وقرئ على البناء للفاعل،

والأولين بالجمع على أنه صفة للذين.

١- أي إن ارتبتم، اعتراض، والضمير في «به» للقسم وفي كان للمقسم له، يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا ولو كان من نقسم له قريباً منا، أراد أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبداً، كقوله: «شهداء لله ولؤ على أنفسكم»، وخصّ ذا القربي بالذكر، لأن الميل إليهم أتم، والمداينة بينهم أكل. قاله النيشابوري. منه بَيِّنٌ.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ
أَيْمُنُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا وَأَلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا﴾: أي يميننا أصدق، سمى اليمين شهادة لوقوعها موقعها كما في اللعان.

﴿وَمَا أَعْتَدَيْنَا﴾: وما تجاوزنا فيها الحق.

﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ﴾: أي الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهدين.

﴿أَذْنَى﴾: أقرب.

﴿أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَهَا﴾: على نحو ما تحملونها من غير تحريف ولا

خيانة فيها.

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمُنُ﴾: أي ترد اليمين على المدعين.

﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة: جمع اليمين ليعم الشهود

كلهم، في الكافي^(١)، واللفقيه^(٢)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: في تفسير هذه الآية اللذان منكم مسلمان، واللذان من غيركم من أهل الكتاب، فإن لم تجدوا من أهل الكتاب فن المجوس لأن رسول الله صلى الله عليه وآله سن في المجوس سنة أهل الكتاب في الجزية وذلك إذا مات الرجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين أشهد رجلين من أهل الكتاب يحبسان بعد العصر فيقسمان بالله لا نشترى به ثمنًا ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة الله إننا إذا لمن الآمين، قال: وذلك إن ارتاب ولي الميت في شهادتهما، فإن عثر على أنهما شهدا بالباطل فليس له أن ينتفض شهادتهما حتى يجيء

١- الكافي: ج ٧، ص ٤- ٥، ح ٦، باب الإشهاد على الرعية.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٤٢ - ١٤٣، ح ٤٨٧/٣، باب الإشهاد على الرعية.

بشاهدين فيقومان مقام الشاهدين الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إننا إذا لم ن الظالمين، فإذا فعل ذلك نقض شهادة الأولين وجازت شهادة الآخرين، يقول الله تعالى: «ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا» الآية^(١).

وفي الكافي: مرفوعاً خرج تميم الداري، وابن بيدي، وابن أبي مارية في سفر، وكان تميم الداري مسلماً، وابن أبي مارية نصرانيين وكان مع تميم الداري خرج^(٢) له فيه متاع وآنية منقوشة بالذهب وقلادة أخرجها إلى بعض أسواق العرب للبيع، واعتلّ تميم الداري علة شديدة فلما حضره الموت دفع ما كان معه إلى ابن بيدي، وابن أبي مارية، وأمرهما أن يوصلاه إلى ورثته، فقدموا المدينة وقد أخذوا من المتاع الآنية، والقلادة، وأوصلا سائر ذلك إلى ورثته، فافتقد القوم الآنية والقلادة، فقال أهل تميم لهما: هل مرض صاحبنا مرضاً طويلاً أنفق فيه نفقة كثيرة؟ فقالا: لا ما مرض إلا أيتاماً قلائل، قالوا: فهل سرق منه شيء في سفره هذا؟ قالوا: لا، قالوا: فهل اتجر تجارة خسر فيها؟ قالوا: لا، قالوا: افتقدنا أفضل شيء كان معه آنية منقوشة مكللة بالجواهر وقلادة، فقالا: ما دفع إلينا فقد أديننا إليكم فقدموهما إلى رسول الله ﷺ فأوجب عليها اليمين فحلفا فخلّى عنها، ثم ظهرت تلك الآنية والقلادة عليهما، فجاء أولياء تميم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله قد ظهر على ابن بيدي وابن أبي مارية ما ادّعيناه عليهما فانتظر رسول الله ﷺ من الله تعالى الحكم في ذلك فأنزّل الله تعالى: «بَيِّنْهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» الآية، فأطلق الله تعالى شهادة أهل الكتاب على الوصية فقط إذا كان في سفر ولم يجد المسلمين فأصابتمكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن إرتبتم لا نشترى به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قرى ولا نكتم شهادة الله إننا إذا لم ن الآثمين، فهذه الشهادة الأولى التي جعلها رسول الله ﷺ فإن عثر على أنّهما استحقا إثماً أي أنّهما حلفا على كذب فأخران يقومان مقامهما يعني من أولياء المدّعي من الذين استحقّ عليهم الأوليان

١- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٧٨ - ١٧٩، ح ٧١٥ / ١، باب ٧- الإشهاد على الوصية.

٢- المخرج - بالضم - الجواتق ذو أذنين، وهو عربي. مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٩٤، مادة «خرج».

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

فيقسمان بالله أنهما أحق بهذه الدعوى منها وأنها قد كذبا فيما حلفا بالله، لشهادتنا أحق من شهادتنا، وما اعتدينا إننا إذا لمن الظالمين، فأمر رسول الله ﷺ أهل^(١) تميم الداري أن يحلفوا بالله على ما أمرهم به، فحلفوا فأخذ رسول الله ﷺ القلادة والآنية من ابن بيدي وابن أبي مارية وردّهما إلى أولياء تميم الداري^(٢).

والقَمِي: ما يقرب منه^(٣).

وفي الكافي: في عدة أخبار، عن الصادق عليه السلام: إذا كان الرجل في أرض غربة لا يوجد فيها مسلم جاز شهادة من ليس بمسلم على الوصية^(٤).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾: سمع إجابة وقبول.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: إلى طريق الجنة.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾: اذكره.

﴿فَيَقُولُ﴾: لهم.

﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾: في الجوامع: السؤال

توبيخ، ولذلك قالوا: «لَا عِلْمَ لَنَا» ووكّلوا الأمر إلى علمه بسوء إجابتهم ولجأوا إليه في الانتقام منهم^(٥).

١- وفي نسخة: [أولياء] كما في المصدر.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٥-٦، ح ٧، باب الإشهاد على الوصية.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٨٩.

٤- الكافي: ج ٧، ص ٤، ح ٣، باب الإشهاد على الوصية.

٥- جوامع الجامع: ج ١١، ص ٣٦٠.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِينَ وَالْإِنْجِيلَ
وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١﴾

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام يقولون: لا علم لنا بسواك^(١)، وقال: القرآن كله تقرير،
وباطنه تقريب^(٢).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام إنَّ لهذا تأويلاً يقول: ماذا أُجبتُم في أوصيائكم الذين
خلفتموهم على أُممكم، فيقولون: لا علم لنا بما فعلوا من بعدنا^(٣).
والقمي: عنه عليه السلام مثله من دون أن يسميه تأويلاً^(٤).

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾: بدل من يوم يجمع.
﴿يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾: قويتك.

١ - معاني الأخبار: ص ٢٣٢، ذيل ح ١، باب معنى قول الأنبياء عليهم السلام: إذا قيل لهم يوم القيامة «ماذا أُجبتُم؟
قالوا: لا علم لنا».

٢ - معاني الأخبار: ص ٢٣٢، ذيل ح ١، باب معنى قول الأنبياء عليهم السلام: إذا قيل لهم يوم القيامة «ماذا أُجبتُم؟
قالوا: لا علم لنا».

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٣٣٨، ح ٥٣٥.

٤ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٠.

وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِئِينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا
ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُونَ
يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً
مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: تكلمهم في جميع أحوالك على سواء.
﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ
كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾: مضى تفسيرها في سورة آل عمران^(١)، وقرئ طائرًا.
﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾: يعني اليهود حين هموا بقتله.
﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾:
وقرئ ساحر.

﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْخَوَارِئِينَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام ^(٢) أنهم قالوا:
﴿أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾: مخلصون، قد
مضى الوجه في تسمية الخواريين، وذكر عددهم في سورة آل عمران^(٣).
﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِئُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: وقرئ
بالخطاب. والعياشي: مقطوعاً قرأتها «هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ» يعني هل تستطيع أن تدعوك ربك؟^(٤).
وقيل: هذه الإستطاعة بناءً على ما تقتضيه الحكمة والإرادة، لا على ما تقتضيه القدرة^(٥).

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٠، ح ٢٢١.

١- ذيل الآية: ٤٩.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٠، ح ٢٢٢.

٣- ذيل الآية: ٥٢.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٨.

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا
 مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ
 عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
 وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾

﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾: المائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام.
 ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾: من أمثال هذا السؤال.
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بكمال قدرته.
 ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾: تهديد عذر، وبيان لما دعاهم إلى السؤال.
 ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾: بالمشاهدة.
 ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾: في إدعاء النبوة.
 ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: قيل: أي نشهد عليها عند الذين لم يحضروها^(١).
 ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
 عِيداً﴾: قيل: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه^(٢)، وكان يوم الأحد ولهذا اتخذها النصراني عيداً^(٣).
 وقيل: بل العيد السرور العائد، ومنه يوم العيد^(٤).
 ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾: نأكل منها جميعاً، وقيل: لمن في زماننا ولمن بعدنا^(٥).

١- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ١، ص ٦٩٣.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩٩.

٣- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ١، ص ٦٩٣.

٤- راجع الكشف: ج ١، ص ٦٩٣. وتفسير أبي السعود: ج ٣، ص ٩٨.

٥- قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٦٥، ٢٣، وراجع الكشف: ج ١، ص ٦٩٣.

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ
عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

﴿وَأَيَّةٌ مِّنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ: إجابة إلى سؤالكم، وقرئ منزلها بدون التشديد.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾: في الجمع: عن الباقر عليه السلام إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً ثم أسألوا الله ما شئتم يعطكموه، فصاموا ثلاثين فلما فرغوا قالوا: إننا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً وإننا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء، فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أخوان^(١) حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم^(٢).

وعن عمار بن ياسر: عن النبي صلى الله عليه وآله نزلت المائدة خبراً ولحماً وذلك أنهم سألوا عيسى عليه السلام طعاماً لا ينفد يأكلون منه^(٣)، قال: قليل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخبأوا وترفعوا^(٤) فإن فعلتم ذلك عذبتكم، قال: فما مضى يومهم حتى خبأوا وترفعوا وخانوا^(٥).

وعن سلمان الفارسي عليه السلام: أنه قال: والله ما تبع عيسى عليه السلام شيئاً من المساوي قط، ولا انتهر يتياً، ولا فقهه ضحكاً، ولا ذب ذباباً عن وجهه، ولا أخذ أنفه من نثر شيء قط، ولا عبث

١- الإخوان: كغراب وكتاب: ما يؤكل عليه الطعام، كالإخوان. القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٢٠، مادة «خون».

٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٦٦، وفيه: «سبعة أخوات» بدل أخوان. وأخوات جمع الحوت.

٣- وفي نسخة: [منها] كما في المصدر.

٤- قوله ما لم تخونوا وتخبأوا: يمكن أخذه من جأ بالجم الموحدة من باب منع وفرح، أي لم تدعوا وتكرهوا وتبغضوا، ومن خبأ بالحاء المعجمة والباء الموحدة من باب منع، أي لم تستروا وتخفوا أمرها، وخبأتم فيها من كيد خائبي: أي خائب أو التاء المشاة من ختأ كمنعه كفه عن الأمر واختأله أي خدعه منه صلى الله عليه وآله. ٦- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٢٦٦.

قطّ، ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة ليس صوفاً وبكى، وقال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ» الآية، فنزلت سفرة حمراء بين غماتين وهم ينظرون إليها، وهي تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى على نبينا وآله وعليه السلام، وقال: اللَّهُمَّ اجعلني من الشاكرين، اللَّهُمَّ اجعلها رحمةً ولا تجعلها مثلة^(١) وعقوبةً، واليهود ينظرون إليها ينظرون إلى شيء لم يرو مثله قط، ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه، فقام عيسى ﷺ: فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها، وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوس، تسيل سيلاً من الدسم، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خلّ، وحولها من ألوان البقول ما عدا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون: يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة؟ فقال عيسى ﷺ: ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا، ولا من طعام الآخرة، ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة، كلوا ما سألتكم يمددكم ويرزقكم من فضله، فقال الحواريون: يا روح الله لو أرينا من هذه الآية اليوم آية أخرى، فقال عيسى ﷺ: يا سمكة احبي بإذن الله تعالى فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها، فقال: ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت بإذن الله، فعادت السمكة مشوية كما كانت، فقالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن، فقال عيسى ﷺ: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى ﷺ أهل الفاقة والزمنى^(٢) والمرضى، والمبتلين، فقال: كلوا منها ولكم الهناء ولغيركم البلاء، فأكل منها ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى، وكلهم سبعاً

١ - وفي نسخة: [قتلة]، والقتلة: يقال: قتله عن وجهه فانقتل أي صرفه فانصرف، والمراد لعله لا يجعله سبباً لإنصراف النعمة منه ﷺ.

٢ - الزمانة: العاهة، وأفة في الحيوان. يقال: زمن الشخص زمناً وزمانة فهو زمن من باب تعب: وهو مرض يدوم زماناً طويلاً ورجل زمن أي مبتلى بين الزمانة وأزمته الله فهو زمن. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٦٠ - ٢٦١، مادة «زمن».

يَتَجَشَّأُ^(١) ثُمَّ نَظَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَكَةِ فَإِذَا هِيَ كَهَيْئَتِهَا حِينَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ طَارَتْ الْمَائِدَةُ صَعْدَاءَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا حَتَّى تَوَارَتْ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَأْكُلْ يَوْمَئِذٍ مِنْهَا زَمَنٌ إِلَّا صَحَّ، وَلَا مَرِيضٌ إِلَّا بَرَأَ، وَلَا فَقِيرٌ إِلَّا اسْتَغْنَى، وَلَمْ يَزَلْ غَنِيًّا حَتَّى مَاتَ، وَنَدِمَ الْحَوَارِيُّونَ وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا، وَكَانَتْ إِذَا نَزَلَتْ اجْتَمَعَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالصَّغَارُ وَالْكِبَارُ يَتَزَاهَمُونَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَهَا نُوبَةً بَيْنَهُمْ فَلَبِثَ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا تَنْزِلُ ضَحَى فَلَا تَزَالُ مَنْصُوبَةً يُؤْكَلُ مِنْهَا حَتَّى إِذَا فَاءَ النَّارِ طَارَتْ صَعْدَاءَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي ظِلِّهَا حَتَّى تَوَارَتْ عَنْهُمْ وَكَانَتْ تَنْزِلُ غَبَاً^(٢) يَوْمًا وَيَوْمًا لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اجْعَلْ مَائِدَةً لِلْفُقَرَاءِ دُونَ الْأَغْنِيَاءِ فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ حَتَّى شَكَّوْا وَشَكَّوْا النَّاسَ فِيهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى إِنِّي شَرَطْتُ عَلَى الْمَكْذِبِينَ شَرْطًا إِنَّ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ نَزْوِهَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَسَخَّ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً وَثَلَاثُونَ رَجُلًا بَاتُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى فُرُشِهِمْ مَعَ نِسَائِهِمْ فِي دِيَارِهِمْ فَأَصْبَحُوا خَنَازِيرَ يَسْعُونَ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْكُنَاسَاتِ وَيَأْكُلُونَ الْعَذْرَةَ فِي الْحَشُوشِ^(٣) فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ فَزَعَوْا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَكَوْا، وَبَكَى عَلَى الْمَسْخُوحِينَ أَهْلَهُمْ فَعَاشُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ هَلَكُوا.

قال: وفي تفسير أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترفع، فقال كبارهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم ومسحوا قردة وخنازير^(٤).

١ - التَّجَشَّأُ: تَنَفَّسَ الْمَعْدَةُ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: ج ١، ص ١٠، مادة «جشأ». وقال الطريحي: الجُشَاءُ كغراب صوت مع ربح يخرج من الفم عند شدَّة الإمتلاء. مجمع البحرين: ج ١، ص ٨٧، مادة «جشأ».

٢ - الْغَبُّ - بِالْكَسْرِ -: عَاقِبَةُ الشَّيْءِ كَالْمَغَبَّةِ بِالْفَتْحِ وَوَرْدَ يَوْمٍ. وَأَغْبَ الْقَوْمُ: جَاءَهُمْ يَوْمًا وَتَرَكَ يَوْمًا. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: ج ١، ص ١٠٩، مادة «غب».

٣ - الْحَشُّ - بِالْفَتْحِ أَكْثَرُ مِنَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ -: الْمَخْرَجُ وَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَشِّ: الْبَسْتَانِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَتَغَوَّطُونَ فِي الْبَسَاتِينِ، فَلَمَّا اتَّخَذُوا الْكَنْفَ وَجَعَلُوهَا خَلْفًا عَنْهَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا الْإِسْمَ بِمَجَازٍ. مجمع البحرين:

٤ - مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

ج ٤، ص ١٣٤، مادة «حشش».

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي
وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

والقمتي: اقتصر على ما نسبته إلى تفسير أهل البيت عليه السلام مقطوعاً^(١).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: المائدة التي نزلت على بني إسرائيل كانت مدلاة^(٢) بسلاسل من ذهب عليها تسعة أخونة^(٣) وتسعة أرغفة^(٤). وفي رواية أخرى: تسعة ألوان أرغفة^(٥). وفي المجمع: عن الكاظم عليه السلام إنهم مسحوا خنازير^(٦). والعياشي: مثله^(٧).

وفي التهذيب: عن الرضا عليه السلام، والجريث والضَّب فرقة من بني إسرائيل حيث نزلت المائدة على عيسى بن مريم عليه السلام لم يؤمنوا، فتأهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البر^(٨).

وفي الخصال: عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المسوخات: وأما الخنازير فقوم نصارى سألوا ربهم تعالى إنزال المائدة عليهم، فلما أنزلت عليهم كانوا أشد ما كانوا كفراً، وأشدّ تكذيباً^(٩).

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام لم يقله، وسيقوله: إن

١- تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٠، س ١٨. ٢- أي معلقة بسلاسل.

٣- أخونة: جمع الخوان. والخوان كما عرفت أنفاً: ما يوضع عليه الطعام ليؤكل كالسفرة.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٠، ح ٢٢٣. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥٠ - ٣٥١، ح ٢٢٥.

٦- مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٦٦٧. وهكذا في تفسير القمي: ج ١، ص ١٩٠.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥١، ح ٢٢٦ و ٢٢٧.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٣٩، ذيل ح ١٦٦ / ١٦٦، باب ١ - الصيد والذكاة.

٩- الخصال: ص ٤٩٤، ح ٢، باب المسوخ ثلاثة عشر صنفاً.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

الله إذا علم شيئاً هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان (١).

﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: توبيخ للكفرة، وتبكيك لهم. القمي: وذلك أَنَّ النصارى زعموا أَنَّ عيسى عليه السلام قال لهم: اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فإذا كان يوم القيامة يجمع الله بين النصارى وبين عيسى على نبيِّنا وآله وعليه السلام فيقول له: «ءَأَنْتَ قُلْتَ» (٢)، الآية.

﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾: أنزهك تنزيهاً من أن يكون لك شريك.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: ما لا يجوز (٣) أن أقوله.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه. والعياشي: عن الباقر عليه السلام في تفسيرها إنَّ الاسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً، فاحتجب الرب تبارك وتعالى بحرف، فنمَّة لا يعلم أحد ما في نفسه عز وجل أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثها الأنبياء حتَّى صارت إلى عيسى، فذلك قوله عيسى: «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي» يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر يقول: أنت علّمتنيها فانت تعلمها، ولا أعلم ما في نفسك، يقول: لأنك احتجبت من خلقك بذلك الحرف، فلا يعلم أحد ما في نفسك (٤).

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥١، ح ٢٢٨.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٩١.

٣- وفي نسخة: [ما لا يحق لي].

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥١، ح ٢٣٠.

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ وَرَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا: رقيباً مطلعاً أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويعتقدوه.
 ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: بالرفع إليك^(١) من قوله: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
 إِلَيَّ»^(٢) والتوفي أخذ الشيء وافيأً، والموت نوع منه، قال الله عز وجل: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
 حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا»^(٣).

﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: المراقب لأحوالهم.
 ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطلع مراقب له.
 ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾: تملكهم وتطلع على جرائمهم. قيل: فيه تنبيه على
 أنهم استحقوا ذلك لأنهم عبادك وقد عبدوا غيرك^(٤).

﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: القادر القوي على الثواب والعقاب
 الذي لا تثيب ولا تعاقب إلا عن حكمة وصواب، فإن المغفرة حسنة لكل مجرم، فإن عذبت
 فعدل، وإن غفرت ففضل.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: وقرئ يوم بالنصب، ولا

١- وفي نسخة: [بالرفع إلى السماء].

٢- آل عمران: ٥٥.

٣- الزمر: ٤٢.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٠٠.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

يخلو من تكلف.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: فيه تنبيه على كذب النصارى، وفساد دعواهم في المسيح وأُمَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، القمّي: والدليل على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقل لهم ذلك قوله تعالى: «هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» ثم روى بإسناده عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الآية إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرون بأهوال يوم القيامة فلا ينتهون إلى العرصة حتى يجهدوا جهداً شديداً، قال: يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبار عليهم وهو على عرشه، فأول من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمد بن عبد الله ﷺ النبي القرشي العربي، قال: فيقدم^(١) حتى يقف على عتبة العرش، قال: ثم يدعى بصاحبكم فيقدم^(٢) حتى يقف على يسار رسول الله ﷺ، ثم يدعى بأمة محمد ﷺ فيقفون على يسار علي، ثم يدعى بنبي نبي وأُمَّته معه من أول النبيين إلى آخرهم وأُمَّتهم معهم، فيقفون على يسار العرش، قال: ثم أول من يدعى للمساءلة القلم، قال: فيتقدم فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين فيقول الله: هل سطرت في اللوح ما ألهمتك وأمرتك به من الوحي؟ فيقول القلم: نعم يا رب قد علمت أنني قد سطرت في اللوح ما أمرتني وألهمتني به من وحيك، فيقول الله: فمن يشهد لك بذلك، فيقول: يا رب وهل اطّلع على مكنون سرّك خلق غيرك،

١- وفي نسخة: [فيتقدم] كما في المصدر.

٢- وفي نسخة: [فيتقدم] كما في المصدر.

قال: فيقول له أفلجنت^(١) حجّتك، قال: ثمّ يدعى باللّوح فيتقدم في صورة الآدميين حتّى يقف مع القلم فيقول له: هل سطر فيك القلم ما ألهمته وأمرته به من وحيي؟ فيقول اللّوح: نعم يا ربّ وبلّغته إسرافيل، ثمّ يدعى بإسرافيل، فيتقدّم إسرافيل مع اللّوح والقلم في صورة الآدميين فيقول الله له: هل بلّغك اللوح ما سطرّ فيه القلم من وحيي؟ فيقول: نعم يا ربّ وبلّغته جبرئيل، فيدعى بجبرئيل فيتقدّم حتّى يقف مع إسرافيل فيقول الله له: هل بلّغك إسرافيل ما بلّغ؟ فيقول: نعم يا ربّ، وبلّغته جميع أنبيائك وأنفذت إليهم جميع ما انتهى إليّ من أمرك، وأدّيت رسالاتك إليّ نبيّ، ورسول رسول، وبلّغتهم كلّ وحيك وحكمتك وكتبك، وأنّ آخر من بلّغته رسالتك ووحيك وحكمتك وعلمك وكتابك وكلامك محمد بن عبد الله عليه السلام العربي القرشي الحرّمي حبيبك، قال أبو جعفر عليه السلام فأول من يدعى من ولد آدم عليه السلام للمساءلة محمد بن عبد الله عليه السلام، فيدنيه الله حتّى لا يكون خلق أقرب إلى الله يومئذ منه، فيقول الله: يا محمد عليه السلام هل بلّغك جبرئيل ما أوحيت إليك وأرسلته به إليك من كتابي وحكمتي وعلمي، وهل أوحى ذلك إليك؟ فيقول رسول الله عليه السلام: نعم يا ربّ قد بلّغني جبرئيل جميع ما أوحيته إليه وأرسلته به من كتابك وحكمتك وعلمك وأوحاه إليّ، فيقول الله لمحمد عليه السلام: هل بلّغت أمّتك^(٢) ما بلّغك جبرئيل من كتابي وحكمتي وعلمي؟ فيقول رسول الله عليه السلام: نعم يا ربّ قد بلّغت أمّتي جميع ما أوحيت إليّ من كتابك وحكمتك وعلمك، وجاهدت في سبيلك، فيقول الله لمحمد عليه السلام: فمن يشهد لك بذلك؟ فيقول محمد عليه السلام: يا ربّ أنت الشاهد لي بتبليغ الرسالة وملائكتك والأبرار من أمّتي، وكفى بك شهيداً، فيدعى بالملائكة فيشهدون لمحمد عليه السلام بتبليغ الرسالة، ثمّ يدعى بأمة محمد عليه السلام فيسألون هل بلّغكم محمد عليه السلام رسالتي وكتابي وحكمتي وعلمي، وعلمكم ذلك؟ فيشهدون لمحمد عليه السلام

١ - أفلج الله حجّته: أي أظهرها. والفلاج: الظفر والفوز، مقصور من الفلاج، يقال: فلج فلوجاً من باب قعد: ظفر

بما طلب. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٢٣ - ٣٢٤، مادة «فلج».

٢ - وفي نسخة: [هل بلّغت لأمتك].

بتبليغ الرسالة والحكمة والعلم، فيقول الله لمحمد ﷺ: فهل استخلفت في أمتك من بعدك من يقوم فيهم بحكمتي وعلمي ويفسر لهم كتابي ويبين لهم ما يختلفون فيه من بعدك حجة لي وخليفة في الأرض؟ فيقول محمد ﷺ: نعم يا رب قد خلفت فيهم علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه أخي ووزير ووصي وخير أمتي، ونصبته لهم علماً في حياتي ودعوتهم إلى طاعته وجعلته خليفتي في أمتي إماماً تقتدي به الأمة من بعدي إلى يوم القيامة، فيدعى بعلي بن أبي طالب عليه السلام فيقال له: هل أوصى إليك محمد ﷺ واستخلفك في أمته ونصبك علماً لأمته في حياته، وهل قتت فيهم من بعده مقامه؟ فيقول له علي: نعم يا رب قد أوصى إلي محمد وخلفني في أمته ونصبني لهم علماً في حياته، فلما قبضت محمداً ﷺ إليك جحدتني أمته، ومكروا بي، واستضعفوني، وكادوا يقتلونني، وقد موأقداً من آخرت، وأخروا من قدمت ولم يسمعوا مني، ولم يطيعوا أمري فقاتلتهم في سبيلك حتى قتلوني، فيقال لعلي: هل خلفت من بعدك في أمة محمد ﷺ حجة وخليفة في الأرض يدعو عبادي إلى ديني وإلى سبيلي؟ فيقول علي: نعم يا رب قد خلفت فيهم الحسن ابني وابن بنت نبيك، فيدعى بالحسن بن علي صلوات الله عليهما فيسأل عما سئل عنه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ثم يدعى بإمام وأهل عالمه فيحتجون بحجتهم فيقبل الله عذرهم ويحيز حجتهم، قال: ثم يقول الله: «هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ»^(١).

العباسي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: كان القرآن يسنخ بعضه بعضاً وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ بآخره، وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء، لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء، وثقل عليه الوحي حتى وقفت تدلي بطنها حتى رأيت سررتها تكاد تمس الأرض، وأغمي على رسول الله ﷺ حتى وضع يده على ذؤابة شيبة ابن وهب الجمحي، ثم رفع ذلك عن رسول الله ﷺ فقرأ علينا سورة المائدة، فعمل رسول الله ﷺ، وعملنا^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: نزلت المائدة كمالاً، ونزلت معها سبعون ألف ألف ملك^(١).
وفي ثواب الأعمال: عن الباقر عليه السلام: من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس
إيمانه بظلم ولم يشرك به أبداً إن شاء الله تعالى^(٢).

إلى هنا ينتهي الجزء الثاني حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الثالث إن شاء الله
وأوله سورة الأنعام، وذلك في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٥ هـ.

قم المقدسة
السيد محسن الحسيني الأميني



١- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ١٥٠.

٢- ثواب الأعمال: ص ١٠٥، ثواب من قرأ سورة المائدة.

الفهرس

﴿سورة آل عمران﴾

(٣)

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١-٤	٧	٣٠-٣١	٢٩
٥-٦	٨	٣٢	٣١
٧	١١	٣٣	٣٢
٨	١٤	٣٤-٣٥	٣٤
٩-١١	١٥	٣٦	٣٥
١٢-١٣	١٦	٣٧	٣٧
١٤	١٧	٣٨-٣٩	٤٠
١٥	١٨	٤٠-٤١	٤٢
١٦-١٧	١٩	٤٢	٤٣
١٨	٢٠	٤٣-٤٤	٤٤
١٩-٢٠	٢١	٤٥-٤٦	٤٥
٢١	٢٢	٤٧-٤٨	٤٦
٢٢-٢٣	٢٣	٤٩	٤٧
٢٤-٢٥	٢٤	٥٠	٥٠
٢٦-٢٧	٢٥	٥١-٥٢	٥١
٢٨	٢٦	٥٣-٥٤	٥٢
٢٩	٢٨	٥٥	٥٣

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٦-٥٧	٥٤	٩٨	٨٨
٥٨-٥٩	٥٥	٩٩	٨٩
٦٠-٦١	٥٦	١٠٠	٩٠
٦٢-٦٤	٥٩	١٠١-١٠٢	٩١
٦٥	٦٠	١٠٣	٩٢
٦٦-٦٧	٦١	١٠٤	٩٤
٦٨	٦٢	١٠٥	٩٧
٦٩-٧٠	٦٣	١٠٦	٩٨
٧١-٧٢	٦٤	١٠٧	٩٩
٧٣	٦٥	١٠٨-١١٠	١٠٠
٧٤-٧٥	٦٦	١١١-١١٢	١٠٢
٧٦-٧٧	٦٧	١١٣-١١٤	١٠٣
٧٨	٦٨	١١٥-١١٧	١٠٤
٧٩	٦٩	١١٨-١١٩	١٠٥
٨٠-٨١	٧٠	١٢٠	١٠٦
٨٢-٨٣	٧٣	١٢١	١٠٧
٨٤-٨٦	٧٤	١٢٢	١١٠
٨٧-٩٠	٧٥	١٢٣	١١١
٩١-٩٢	٧٦	١٢٤-١٢٦	١١٢
٩٣	٧٧	١٢٧-١٢٨	١١٣
٩٤-٩٦	٧٩	١٢٩-١٣٢	١١٥
٩٧	٨٢	١٣٣	١١٦

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٥-١٣٤	١١٧	١٧٠-١٦٩	١٤٩
١٣٦	١١٨	١٧٢-١٧١	١٥١
١٣٩-١٣٧	١٢٢	١٧٣	١٥٢
١٤٠	١٢٣	١٧٥-١٧٤	١٥٤
١٤٣-١٤١	١٢٤	١٧٨-١٧٦	١٥٥
١٤٤	١٢٥	١٧٩	١٥٦
١٤٥	١٣١	١٨٠	١٥٧
١٤٦	١٣٢	١٨١	١٥٨
١٤٧	١٣٣	١٨٣-١٨٢	١٥٩
١٥١-١٤٨	١٣٤	١٨٥-١٨٤	١٦٠
١٥٢	١٣٥	١٨٦	١٦٢
١٥٣	١٣٦	١٨٧	١٦٣
١٥٤	١٣٧	١٩٠-١٨٨	١٦٤
١٥٥	١٣٩	١٩١	١٦٥
١٥٧-١٥٦	١٤٠	١٩٢	١٦٦
١٥٩-١٥٨	١٤١	١٩٤-١٩٣	١٦٧
١٦١-١٦٠	١٤٣	١٩٥	١٦٨
١٦٢	١٤٤	١٩٧-١٩٦	١٦٩
١٦٤-١٦٣	١٤٥	١٩٨	١٧٠
١٦٥	١٤٦	١٩٩	١٧٠
١٦٧-١٦٦	١٤٧	٢٠٠	١٧١
١٦٨	١٤٨		

﴿سورة النساء﴾

(٤)

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	١٧٥	٢٤	٢١٦
٢-٣	١٨٤	٢٥	٢٢١
٤	١٨٧	٢٦	٢٢٣
٥	١٨٨	٢٧-٢٩	٢٢٤
٦	١٨٩	٣٠-٣١	٢٢٦
٧	١٩٢	٣٢	٢٢٩
٨-٩	١٩٣	٣٣	٢٣١
١٠	١٩٤	٣٤	٢٣٢
١١	١٩٥	٣٥-٣٦	٢٣٤
١٢	١٩٨	٣٧	٢٣٦
١٣	١٩٩	٣٨-٣٩	٢٣٧
١٤	٢٠٠	٤٠-٤١	٢٣٨
١٥	٢٠٣	٤٢	٢٣٩
١٦	٢٠٤	٤٣	٢٤٠
١٧	٢٠٥	٤٤	٢٤٥
١٨-١٩	٢٠٨	٤٥-٤٦	٢٤٦
٢٠	٢١٠	٤٧	٢٤٧
٢١-٢٢	٢١١	٤٨	٢٤٨
٢٣	٢١٢	٤٩	٢٤٩

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥١-٥٠	٢٥٠	٨٢-٨٣	٢٧٧
٥٣-٥٢	٢٥١	٨٤	٢٧٩
٥٤	٢٥٢	٨٥	٢٨٠
٥٦-٥٥	٢٥٣	٨٦	٢٨١
٥٧	٢٥٤	٨٧	٢٨٤
٥٨	٢٥٥	٨٨	٢٨٤
٥٩	٢٥٦	٨٩	٢٨٥
٦٠	٢٦١	٩٠	٢٨٦
٦١	٢٦٢	٩١	٢٨٩
٦٣-٦٢	٢٦٣	٩٢	٢٩٠
٦٥-٦٤	٢٦٤	٩٣	٢٩٢
٦٦	٢٦٥	٩٤	٢٩٣
٦٩-٦٧	٢٦٦	٩٥	٢٩٥
٧٢-٧٠	٢٦٨	٩٦	٢٩٦
٧٤-٧٣	٢٦٩	٩٧	٢٩٨
٧٥	٢٧٠	٩٨	٣٠٢
٧٦	٢٧١	٩٩-١٠٠	٣٠٣
٧٧	٢٧٢	١٠١	٣٠٤
٧٨	٢٧٣	١٠٢	٣٠٦
٧٩	٢٧٤	١٠٣	٣٠٩
٨٠	٢٧٥	١٠٤	٣١٠
٨١	٢٧٦	١٠٥-١٠٦	٣١١

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٧-١٠٩	٣١٣	١٤٢-١٤٣	٣٤٠
١١٠-١١٢	٣١٤	١٤٤-١٤٥	٣٤١
١١٣	٣١٥	١٤٦-١٤٧	٣٤٢
١١٤	٣١٦	١٤٨-١٤٩	٣٤٣
١١٥	٣١٧	١٥٠-١٥١	٣٤٤
١١٦-١١٧	٣١٨	١٥٢-١٥٣	٣٤٥
١١٨-١١٩	٣١٩	١٥٤	٣٤٦
١٢٠	٣٢٠	١٥٥-١٥٦	٣٤٧
١٢١-١٢٣	٣٢١	١٥٧-١٥٨	٣٤٨
١٢٤-١٢٥	٣٢٣	١٥٩	٣٥٠
١٢٦-١٢٧	٣٢٦	١٦٠	٣٥١
١٢٨	٣٢٨	١٦١-١٦٢	٣٥٢
١٢٩	٣٢٩	١٦٣-١٦٤	٣٥٣
١٣٠	٣٣٠	١٦٥-١٦٦	٣٥٦
١٣١	٣٣١	١٦٧-١٦٩	٣٥٧
١٣٢-١٣٣	٣٣٢	١٧٠-١٧١	٣٥٨
١٣٤-١٣٥	٣٣٣	١٧٢-١٧٣	٣٦٠
١٣٦-١٣٧	٣٣٥	١٧٤	٣٦١
١٣٨-١٤٠	٣٣٧	١٧٥	٣٦١
١٤١	٣٣٨	١٧٦	٣٦٢

﴿سورة المائدة﴾

(٥)

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	٣٦٧	٢٨	٤٠٤
٢	٣٦٩	٢٩-٣٠	٤٠٥
٣	٣٧١	٣١	٤٠٦
٤	٣٧٦	٣٢	٤٠٩
٥	٣٧٨	٣٣	٤١١
٦	٣٨٢	٣٤	٤١٣
٧	٣٩٠	٣٥-٣٦	٤١٤
٨-١٠	٣٩١	٣٧-٣٨	٤١٥
١١-١٢	٣٩٢	٣٩	٤١٧
١٣	٣٩٣	٤٠-٤١	٤١٨
١٤	٣٩٤	٤٢	٤٢٠
١٥	٣٩٥	٤٣-٤٤	٤٢٢
١٦-١٨	٣٩٧	٤٥	٤٢٤
١٩	٣٩٨	٤٦-٤٧	٤٢٥
٢٠-٢١	٣٩٩	٤٨	٤٢٦
٢٢-٢٣	٤٠٠	٤٩	٤٢٧
٢٤-٢٥	٤٠١	٥٠	٤٢٨
٢٦	٤٠٢	٥١-٥٢	٤٢٩
٢٧	٤٠٣	٥٣	٤٣٠

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٤	٤٣١	٨٩	٤٨٢
٥٥	٤٣٣	٩٠	٤٨٥
٥٦	٤٣٦	٩٢-٩١	٤٨٧
٥٧	٤٣٧	٩٣	٤٨٨
٥٩-٥٨	٤٣٨	٩٤	٤٩١
٦٠	٤٣٩	٩٥	٤٩٢
٦٣-٦١	٤٤٠	٩٦	٤٩٦
٦٤	٤٤٢	٩٧	٤٩٧
٦٦-٦٥	٤٤٤	٩٩-٩٨	٤٩٨
٦٧	٤٤٥	١٠١-١٠٠	٤٩٩
٦٨	٤٦٧	١٠٣-١٠٢	٥٠٢
٧٠-٦٩	٤٦٨	١٠٤	٥٠٣
٧١	٤٦٩	١٠٥	٥٠٤
٧٣-٧٢	٤٧٠	١٠٦	٥٠٥
٧٥-٧٤	٤٧١	١٠٧	٥٠٦
٧٨-٧٦	٤٧٣	١٠٨	٥٠٧
٧٩	٤٧٤	١٠٩	٥٠٩
٨١-٨٠	٤٧٥	١١٠	٥١٠
٨٣-٨٢	٤٧٦	١١٢-١١١	٥١١
٨٥-٨٤	٤٧٧	١١٤-١١٣	٥١٢
٨٧-٨٦	٤٨٠	١١٥	٥١٣
٨٨	٤٨١	١١٦	٥١٦

الجزء الثاني: الفهرس ٥٣١

رقم الآية	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
١١٧	٥١٧	الفهرست	٥٢٣
١١٨ - ١١٩	٥١٨	مصادر التحقيق	٥٣٣
١٢٠	٥١٩		

مصادر التحقيق

- ١ - الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس - إيران.
- ٢ - إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر - بيروت.
- ٣ - إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.
- ٤ - أسرار الصلاة: للشهيد رحمته الله.
- ٥ - الاعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران - قم.
- ٦ - أعلام الوري لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - قم.
- ٧ - أقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٨ - الأُمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٩ - الأُمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران - قم.
- ١٠ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البضاوي، أُنست إيران.
- ١١ - بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ١٢ - البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران - قم.
- ١٣ - بصائر الدرجات: للشيخ محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران - طهران.

١٤ - تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٥ - التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦ - تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

١٧ - تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران - قم.

١٩ - تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٠ - تفسير روح البيان: للعلامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢١ - تفسير روح المعاني: للعلامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ - تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية، إيران - طهران.

٢٣ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلامة حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، منشورات دار الجليل - بيروت.

٢٤ - تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمد كاظم، إيران.

٢٥ - تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٢٦ - تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران - قم.

٢٧ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم.

٢٨ - تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران - قم.

٢٩- تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠- التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.

٣١- تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.

٣٢- ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.

٣٣- جامع الأصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات دار

الجيل - بيروت.

٣٥- الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧- جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران - طهران.

٣٨- الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام

إيران - قم.

٣٩- الحصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران - قم.

٤٠- الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي،

إيران - قم.

٤١- ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي - قم.

٤٢- الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣- روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران - قم.

٤٤- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة

للطباعة والنشر، إيران - قم.

٤٥- سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٤٦- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر - بيروت.

- ٤٧- سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٤٨- شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران - طهران.
- ٤٩- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.
- ٥٠- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
- ٥١- الصحيفة الكاملة السجادية: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٥٢- عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.
- ٥٣- علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٤- عوالي اللآلي العزيزية: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي - إيران.
- ٥٥- عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران - طهران.
- ٥٦- كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران - قم.
- ٥٧- كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالنديم.
- ٥٨- القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٥٩- الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٦٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.
- ٦١- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٦٢- كمال الدين وقام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.
- ٦٣- كنز العمال: للعلامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.
- ٦٤- لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥- مجازات النبوة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصري، إيران - قم.

٦٦- مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضوية، إيران - قم.

٦٧- مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨- المجموع شرح المذهب: للإمام التوري، منشورات دار الفكر - بيروت.

٦٩- محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران - قم.

٧٠- المحاسن: لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام.

إيران - قم.

٧١- مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء

التراث، إيران - قم.

٧٢- مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٧٣- مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧٤- مصباح المتجهد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري،

إيران.

٧٥- المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.

٧٦- معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران - قم.

٧٧- معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث

العربي - بيروت.

٧٨- مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.

٧٩- مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب

المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران - قم.

٨٠- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران -

طهران.

٨١- الميزان في تفسير القرآن: للعلامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران - قم.

- ٨٢- نور الثقلين: للعلامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلمية إسماعيليان، إيران - قم.
- ٨٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ٨٤- نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.
- ٨٥- الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان - إيران.
- ٨٦- وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلامية، إيران - طهران.

